مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

الجمهورية التونسية

وزارة التربية

كتاب النصوص

للثلاثية - السنة الثالثة من التعليم الثانوي

الجزء الثاني

اعداد لجنة من المربين

مرقم
الرمز 201 304 المركز القومي البيداغوجي

توطئة

هذه طبعة منقّحة من كتب النّصوص لتلاميذ المرحلة الأولى من التّعليم الثّانوي، طبعة اشتملت على عدد وفير من النّصوص الجديدة كما اشتملت على نصوص جيّدة نشرت في طبعات سابقة.

ولقد كان من وكدنا في التّنقيح الذي أنجزنا أن نحقّق في كتب هذه المرحلة التّعليميّة من التّدرّج والتّكامل ما يجعلها وحدات متصادية مترافدة يفضي بعضها إلى بعض ويواصل بعضها بعضا.

* * *

اهتممنا في هذا التّنقيح بالنّصوص وهل أهمّ منها غذاء للعقل ونشراً لكوامن الوجدان. أوَليست النّصوص التي يتلوها الواحد منّا على مقاعد المدرسة أو المعهد من أعلق ما يبقى في الذّهن ؟! تنتقش - إذا راقت - على صفحة الضّمير وتخالط النّفس فتكون في الكثير أفقا نرجع إليه ونصدر في استكناه الكون عنه.

وفي مراجعة النّصوص القديمة وانتخاب الجديدة راعينا جملة من الأسس، أسس بيداغوجية وأدبية وحضارية :

- فلقد حرصنا على أن تكون النّصوص ملائمة أحسن ملاءمة لمحاور البرنامج، مراعية لشواغل التّلاميذ في طور من العمر مخصوص، موافقة لنموّهم النّفسي، مناسبة لنضجهم الفكري.

- وحرصنا - ما سمحت لنا بذلك محاور البرنامج - على أن تكون من طبقة أدبية جيّدة وأن تكون ممثّلة لأهمّ أشكال التّعبير في الأدب العربي قديمه وحديثه.

- وسعينا - ما سمحت لنا به محاور البرنامج ومقتضيات البيداغوجيا - إلى المراوحة بين الأدب العربي القديم والأدب العربي الحديث والمعاصر كما سعينا جهدنا إلى الانتخاب من آثار مؤلّفين ينتسبون إلى البلاد العربية جميعا.

ولا بدّ في هذا السّياق من أن ننبّه إلى وجوه تصرّفنا في طائفة من النّصوص وأن نشير إلى طريقتنا في ترتيب المحاور :

ـ فلقد دُفعنا في بعض الحالات دفعا ـ شأن المشتغلين بالتآليف المدرسية جميعا ـ إلى التّصرّف في نصوص الأدباء الأصلية بالحذف أو التعديل أو بالحذف والتّعديل لنجعل منها وحدات نصيّة يمكن شرحها في الحصّة الواحدة أو لنجعلها ملائمة لتلاميذ المرحلة الأولى من التّعليم الثّانوي. وحرصنا مع ذلك الحرص كلّه على أن لا نخلّ بمقاصد الأدباء ـ أو ما اعتبرناه كذلك ـ ولا نربك عليهم بناء نصُوصهم. ولقد جعلنا حرف الجرّ «عن» قبل اسم الأديب في آخر النّصّ علامة تنبّه إلى التّصرّف إن كان تصرّف.

ـ ورتّبنا النّصوص داخل المحاور على نسق فيه تدرّج وعقدناها على علاقات من التّكامل أو التّقابل.

ـ وجعلنا عدد النّصوص في كلّ محور يفوق عدد الحصص المقرّرة بنسبة النّصف تقريبا حتّى توفّر للزّملاء الأساتذة مجالا للاختيار رحبا.

* * *

واهتممنا في هذا التّنقيح بالأجهزة البيداغوجية وهي سبل للمتعلّم هامّة تروّضه على القراءة. وهل أخطر من القراءة في التّعلّم ؟! القراءة بما هي حوار وسعي إلى استكشاف مسالك المكتوب (وغيره) واقتفاء لمسارب الدّلالات.

وجعلنا الأجهزة البيداغوجية أقساما ثلاثة : تراجم الكتّاب فشروح الألفاظ فأسئلة في النّصُوص.

أمّا تراجم الكتّاب فأردناها موجزة تعرّف التّلاميذ في هذا المستوى التّعليمي إلى ما اعتبرناه قدرا أدنى لا يمكن النّزول دونه وتقدّم لهم من المعلومات ما قد ينيرهم في فهم النّصوص ويغريهم بالمطالعة.

وأمّا شروح الألفاظ فقصدنا منها ترويض المتعلّمين على التّروّي والدّقة وتعويدهم على البحث في الفروق اللّطيفة بين معاني الكلمات المتقاربة. وحرصنا إلى ذلك في غالب الشّروح على تحديد نوع الكلمة المقصود شرحها حتّى نسهم في ترسيخ نظام العربية الصرفي في أذهان النّاشئة.

وأمّا الأسئلة فقصدنا بها إلى الإسهام في تهيئة التّلاميذ لحصص الشّرح ومساعدتهم على تفكيك النّصوص وإدراك ما بين أجزائها من علاقات وترويضهم على استخلاص المعاني من المباني كما قصدنا بها إلى الاسهام في تنمية الفكر النّقدي لديهم. وإذا بدا عدد الأسئلة في بعض الأجهزة للزّملاء الأساتذة كثيرا فلهم ـ بطبيعة الحال ـ أن يكلّفوا تلاميذهم بالإجابة عمّا يختارونه منها.

* * *

ورجاؤنا أن نكون بهذا التّنقيح الذي أنجزنا قد استجبنا على نحو مرضيٍ لما قدّمه زملاؤنا الأساتذة ـ في مناسبات عديدة ـ عن كتب النّصوص في المرحلة الأولى ثانوي من ملاحظات وتوصيات وأن نكون قد وفّرنا لهم من النّصوص ما يحلو لهم ويروق وقد أسهمنا شيئا ـ بما ألّفنا من أجهزة بيداغوجية ـ في تطوير درس شرح النّصوص في هذا المستوى التّعليمي.

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَبِ
رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقى
www.lisanarb.com
twitter
مكتبة لسان العرب
facebook
مكتبة لسان العرب
instagram
مكتبة لسان العرب

II - الكفاح من أجل الحرّيّة والكرامة

1 ــ الاضطهاد الاستعماري والتّضحية في سبيل الوطن

66 ــ إِلَى طُغَاةِ ٱلْعَالَمِ

[بحر المتقارب]

1 ــأَلاَ (1) أَيُّهَا (2) ٱلظَّالِمُ ٱلْمُسْتَبِدُّ (3) حَبِيبَ ٱلظَّلاَمِ ، عَدُوَّ ٱلْحَيَاهْ
سَخِرْتَ بِأَنَّاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ وَكَفُّكَ مَخْضُوبَةٌ (4) مِنْ دِمَاهْ
وَسِرْتَ تُشَوِّهُ سِحْرَ ٱلْوُجُودِ وَتَبْذُرُ شَوْكَ ٱلأَسَى فِي رُبَاهْ
رُوَيْدَكَ (5) ! لاَ يَخْدَعَنْكَ ٱلرَّبِيعُ وَصَحْوُ ٱلْفَضَاءِ وَضَوْءُ ٱلصَّبَاحْ

5 ــفَفِي ٱلأُفُقِ ٱلرَّحْبِ هَوْلُ ٱلظَّلاَمِ وَقَصْفُ ٱلرُّعُودِ وَعَصْفُ ٱلرِّيَاحْ
حَذَارِ ! فَتَحْتَ ٱلرَّمَادِ اللَّهِيبُ وَمَنْ يَبْذُرِ ٱلشَّوْكَ يَجْنِ ٱلْجِرَاحْ
تَأَمَّلْ ! هُنَالِكَ ... أَنَّى (6) حَصَدْتَ رُؤُوسَ ٱلْوَرَى (7) وَزُهُورَ ٱلأَمَلْ
وَرَوَّيْتَ بِٱلدَّمِ قَلْبَ ٱلتُّرَابِ وَأَشْرَبْتَهُ ٱلدَّمْعَ حَتَّى ثَمِلْ (8)
سَيَجْرِفُكَ ٱلسَّيْلُ ، سَيْلُ ٱلدِّمَاءِ وَيَأْكُلُكَ ٱلْعَاصِفُ ٱلْمُشْتَعِلْ (8)

أبو القاسم الشّابي

أغاني الحياة، الدّار التّونسيّة للنّشر 1970

ص ص 264ــ265

التّعريف بالشّاعر :

آنظر نصّ « قلب الأمّ » .

الشّــرح :

(1) ألا : أداة تفيد في السّياق الذي جاءت فيه من القصيدة التّوبيخ والإنكار في سياقات أخرى دلالات متنوّعة .

(2) أيّها : إسم يُتوصّل به إلى نداء ماكان معرّفا بالألف واللاّم .

لاحظ : يا رجلُ ــ يا أيّها ٱلرّجلُ
يا ٱمرأةُ ــ يا أيّتها ٱلْمرأةُ

(3) المستبدّ : إسم فاعل ــ استبدّ بالأمر يستبِدّ به استبدادا : إنفرد به دون غيره .

(4) مخضوبة : إسم مفعول ــ خضَب الشّيءَ يخضِبه خضبا : غيّر لونه بحُمرة . وكلّ ما غيّر لونه فهو مخضوب وخضيب يقال كفّ خضيب والجمع خُضُب .

(5) رويدك : إسم فعل للأمر معناه تمهّل . وهو في النّصّ يفيد التّحذير .

(6) أنّى : إسم يكون في بعض السّياقات بمعنى (مِنْ أَيْنَ) وفي بعض السّياقات الأخرى بمعنى (كيف) .

أمثلة :
أنّى لك هذا ؟ أي من أين لك هذا ؟
أنّى لك أن تفتح الحصن ؟ أي كيف لك أن تفتح الحصن (على أنّه يمكن في هذا المثال أن نعوّض (أنّى) بـ(من أين)) .

(7) الورى : إسم معناه الخَلْق .

(8) ثمِل : ثمِل يثمَل ثَمَلاً والصّفة المشبّهة منه ثَمِل : سكر وأخذ فيه الشّرابُ .

الأسئلة :

1 ــ ينعت الشّابي الشّعب بالضّعف ولكنّه يعتقد أنّه قويّ . إستخرج من النّصّ ما يدلّ على ذلك ؟

2 ــ لِمَ نعت الشّابي الظّالم في البيت الأوّل بأنّه « عدوّ الحياة » ؟

3 ــ بيّن أنّ جزءا من القصيدة تحليل للعبارة « عدوّ الحياة » ؟

4 ــ راوح الشّاعر في القصيدة بين أسلوبي الخبر والإنشاء . آذكر السّياقات التي آستعمل فيها كلاّ منهما ؟

5 ــ ما هي الوسائل التي أكسبت النّصّ روحا حماسيّا ؟

6 ــ للكلمات التّالية قيمة رمزيّة : « الظّلام ــ الرّبيع ــ قصف الرّعود ــ الشّكوك ــ السّيل » . حدّد دلالتها الرّمزيّة حسب المنوال التّالي :
« إستعمل الشّاعر كلمة « الظّلام » في غير معناها الحقيقي إذ هي ترمز في هذا النّصّ إلى « الموت والظّلم والشّرّ » .

الإنشـــاء والخبـــر

الأعمـال اللّغويّة :

يأتي الإنسان أعمالا كثيرة من قبيل المشي والأكل والضحك ... وهو يقوم بمثل هذه الأعمال دون حاجة إلى اللّغة . والأعمال التي يقوم بها الإنسان دون أن يحتاج إلى اللّغة أعمال غير لغويّة .

ويأتي الإنسان أعمالا أخرى من قبيل الإخبار والاستفهام والأمر والنّهي والتعجّب والنّداء والتّمنّي والتّرجّي والوعد والوعيد والاستحسان والاستقباح . وجميعها أعمال ينجزها الإنسان بواسطة كلام يقوله ، أي بواسطة اللّغة ، ولا يمكن أن نتصوّر القيام بها بدون اللّغة ، والأعمال التي لا وجود لها إلّا بفضل اللّغة تعدّ أعمالا لغويّة .

* **الخبر :**

إذا قلت «في الساحة شجرة» انجزت خبرا ، وأخبرت عن شيء . ووجود الشّجرة في السّاحة مستقلّ عن إخبارك . فهو حاصل سواء أخبرت أو لم تخبر . وكذلك إذا أخبرت فقلت «السّماء فوقنا» فالمعنى حاصل في الواقع بصرف النّظر عن الإخبار عنه .

فالخبر كلام حصول مضمونه وتحقّق معناه في الواقع مستقلّ عن التلفّظ به وإنجازه .

لذلك يصحّ أن تقول لقائل الخبر «صدقت» إذا وافق مضمون الخبر واقع الأشياء (مثل الشجرة في السّاحة ــ السّماء فوقنا) كما يصحّ أن نقول لقائله «كذبت» إذا خالف محتوى الخبر واقع الأشياء في القاعة ــ السّماء تحتنا) .

الإنشاء :

إذا قلت الطّقس جميل فإنّك تخبر عن جمال الطّقس ويمكن للسّامع أن يصدّق أو يكذّب فيقول : لا ليس الطّقس جميلا . وإذا قلت «ما أجمل الطّقس» أنجزت تعجّبا ولا يمكن للسّامع أن يقول لك لا لم تتعجّب فالتعجّب هو مضمون الكلام ومحتواه وهو عمل أنجزته بقولك ولم يكن موجودا قبل تلفّظك بهذه الجملة . وكذلك الشّأن إذا قلت «لا تجالس السّفهاء» فقد أنشأت نهيا هو مضمون كلامك وهذا النّهي لم يكن موجودا في الواقع قبل تلفّظك بهذه الجملة . والتّعجّب والنّهي أسلوبان إنشائيّان .

فالإنشاء : كلام لا يتحقّق مضمونه ولا يحصل معناه في الواقع إلّا إذا تمّ التلفّظ به .

ولمّا كان حصول معنى الأساليب الإنشائيّة رهين التلفّظ بها لم يجز أن يقال لقائلها صدقت أو كذبت .

الخبر المؤكّد والخبر غير المؤكّد :

والمتكلّم يصوغ الخبر خاليا من أساليب التّأكيد إذا قدّر أنّ السّامع خالي الذّهن من محتواه . مثال : ولد الجاحظ سنة كذا وتوفّي سنة كذا فإذا قدّر أنّ السّامع متردّد في التّصديق بالخبر أو شاكّ فيه أو منكر لمحتواه عمد إلى تأكيده بأسلوب أو أكثر من أساليب التأكيد مثل : «والعصر إنّ الانسان لفي خسر» .

(من أساليب التأكيد : القسم ، لام التّوكيد ، إسميّة الجملة ، إنّ ، نون التّوكيد ، قد مع الفعل الماضي ، ضمير الفصل ، من والباء بعد النّفي ، التّقديم والتّأخير ، التّوكيد المعنوي ، المفعول المطلق ...)

والمتكلّم يستعمل التّأكيد بحسب ما يقتضيه المقام .

مقاصد الخبر :

* يستعمل الأسلوب الخبري في الأصل لإفادة المخاطب مضمون الخبر ومحتواه ، مثل : زحف بنو هلال على إفريقيّة سنة 555 هـ .

يتبخّر الماء إذا بلغ المائة درجة ...

وقد يخرج الخبر إلى إفادة مقاصد أخرى تفهم من السياق ، كالمدح والتّفجّع والفخر والتّحسّر والشّماتة ...

أمثلة :

* ملأنا البرّ حتّى ضاق عنا ... قالها عمرو بن كلثوم مفتخرا بقومه
* يذكّرني طلوع الشّمس صخرا قالتها الخنساء متفجّعة متحسّرة
* نال الغشّاش ما يستحقّ تقولها شامتا ...
* قربت العطلة تقولها معبّرا عن الفرح
* قربت السّاعة تقولها لغيرك منذرا متوعّدا أو لنفسك نادما
* طال الانتظار تقولها ضجرا متبرّما

والملاحظ أن الأسلوب الخبري متى خرج عن مقصده الأصلي أصبح مرفوقا بشحنة تعبيريّة ذاتيّة تعكس الحالة النّفسيّة للمتكلّم وانفعاله أو تعكس رغبته في التّأثير في المخاطب ...

الإنشاء الطلبي والإنشاء غير الطلبي :

وتصنّف الأساليب الإنشائيّة صنفين :

الإنشاء الطّلبيّ : وهو أن تطلب شيئا غير موجود وقت الطّلب ومن الإنشاء الطلبي :

1) الأمر : وهو طلب القيام بالفعل.

2) النّهي : وهو طلب الكفّ والإمساك عن القيام بالفعل

3) الاستفهام : هو طلب العلم بشيء لا يعلمه المتكلّم

4) التّرجّي : وهو طلب حصول شيء ممكن
5) التّمنّي : وطلب حصول شيء غير ممكن
6) التّحضيض : هو الحثّ على القيام بالفعل والتّرغيب فيه بشدّة .
7) العرض : وهو طلب القيام بالفعل في أدب ولين
8) الالتماس : هو طلب الشّيء من النّدّ للنّدّ .
9) الدّعاء : وهو التّوجّه إلى قوى غيبيّة لتحقيق شيء خيرا أو شرّا
10) النّداء : وهو تنبيه المخاطب لربط الصّلة به .

الإنشاء غير الطّلبي :

هو إنشاء لا يستدعي أمرا مطلوبا

ومن الإنشاء غير الطّلبي :

1) التّعجّب : أسلوب به يعبّر المتكلّم عن تعجّبه من الشّيء مستحسنا أو مستقبحا
2) المدح : أسلوب به يعبّر المتكلّم عن استحسانه الشّيء .
3) النّدم : أسلوب به يعبّر المتكلّم عن استقباحه الشّيء
4) القسم : أسلوب به يؤكّد المتكلّم كلامه .

معاني الأساليب الإنشائيّة :

الأصل أن يعبّر كلّ أسلوب إنشائيّ عن المعنى الخاصّ به . وقد يخرج المتكلّم بهذه الأساليب للتّعبير عن مقاصد أخرى يحدّدها السّياق والمقام .

فالاستفهام الذي يفيد في الأصل طلب العلم بشيء مجهول ، قد يقصد به المتكلّم أغراضا أخرى منها :

* الإثبات : ألم نشرح لك صدرك ؟ ** أي : قد شرحنا لك صدرك
* الحيرة : ما الذي أخّره ؟ ** أي : أنا حائر لا أعرف سبب تأخّره

* الاستبطاء : متى تأتي الحافلة ؟ ** أي : أستبطئ قدوم الحافلة
* التّبرّم : متى يرحل عنّا هذا الضّيف ؟ ** أي : أنا متبرّم منه
* التّعجّب: كيف خرجت والباب مغلق؟ ** أي:أتعجّب من خروجك ...
* الوعيد : أين المفرّ ؟ ** يمكن أن تقولها متوعّدا بالشّرّ
* اليأس : ما الحيلة ؟ ** يمكن أن تقولها بائسا عاجزا
* الإنكار : أتعاشر السّفهاء ؟ ** أي : أستنكر معاشرتك السّفهاء إلخ ...

67 ــ ٱلزَّيْتُونُ ... لاَ يَمُوتُ

حِينَ تَنَفَّسَ ٱلصَّبَاحُ ... تَنَفَّسَ بَصِيصٌ [1] مِنَ ٱلنُّورِ دَاخِلَ زَنْزَانَتِهِ [2] ... فَتَحَ عَيْنَيْهِ ... أَخَذَ يَسْتَعِيدُ ٱلْأَحْدَاثَ فِي خَاطِرِهِ .

تَسَاءَلَ : لِمَ ضَرَبُوهُ بِكُلِّ هَذِهِ ٱلضَّرَاوَةِ [3] ؟ لِمَاذَا أَدْمَوْا وَجْهَهُ ... لِمَاذَا يَسْأَلُونَهُ بِكُلِّ هَذِهِ ٱلْقَسَاوَةِ ؟ ...

تَذَكَّرَ عَامِلَ ٱلْبَلَدِيَّةِ ... قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ عَلَيْهِ بِسَاعَاتٍ كَانَا يَمْشِيَانِ مَعًا ... لَقَدْ عَرَفَ فِي عَامِلِ ٱلْبَلَدِيَّةِ عُنْفُوَانَ ٱلشَّبَابِ رَغْمَ كِبَرِ سِنِّهِ ... رَأَى فِيهِ مِشْعَلاً لاَ يَنْطَفِئُ كَٱلزَّيْتُونَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ . كَانَ يَنْظُرُ فِي إِعْجَابٍ إِلَى تِلْكَ ٱلْحَيَوِيَّةِ ٱلْمُتَدَفِّقَةِ مِنْ وَرَاءِ قِشْرَةِ جِلْدِهِ ٱلْهَرِمِ . هُنَاكَ أُنَاسٌ يُخْمِدُ حَمَاسَهُمْ ٱلْكِبَرُ وَٱلشَّيْخُوخَةُ ... هُنَاكَ مَنْ يَظَلُّ أَقْوَى مِنَ ٱلشَّبَابِ ... هُنَاكَ مَنْ يُؤْمِنُ بِشَبَابٍ دَائِمٍ لاَ يَنْتَهِي . إِنَّ عَامِلَ ٱلْبَلَدِيَّةِ زَيْتُونَةٌ مُبَارَكَةٌ يُضِيءُ زَيْتُهَا ... فِي كُلِّ شَارِعٍ مِنَ ٱلْعَاصِمَةِ عَامِلٌ بَلَدِيٌّ ، فَرْعٌ مِنْ هَذِهِ ٱلزَّيْتُونَةِ، بَلْ زَيْتُونَةٌ كَامِلَةٌ لَهَا فُرُوعُهَا ... وَهُنَاكَ دَاخِلَ ٱلْمَنَازِلِ وَفِي ٱلدَّكَاكِينِ وَفِي ٱلْقُرَى سَيَظَلُّ ٱلزَّيْتُونُ يَنْبُتُ وَيَكْتَسِحُ ٱلْأَرْضَ ٱلطَّيِّبَةَ .

تَذَكَّرَ أَنَّ عَامِلَ ٱلْبَلَدِيَّةِ قَالَ لَهُ :

إِنِّي أَكْنُسُ ٱلشَّارِعَ كُلَّ لَيْلَةٍ ... لِمَاذَا ؟ إِنِّي أَرْفَعُ ٱلْمِكْنَسَةَ وَأَهْوِي بِهَا عَلَى ٱلْبَلاَطِ [4] فَأَدْفَعُهَا أَمَامِي ، وَأَدْفَعُ بِهَا ٱلْأَوْسَاخَ حَتَّى نِهَايَةِ ٱلشَّارِعِ ... ثُمَّ أَضَعُ هَذِهِ ٱلْأَوْسَاخَ فِي ٱلْقُمَامَةِ [5] ... لَوْ لَمْ أَكُنْ مُؤْمِنًا بِأَنَّ ٱلشَّارِعَ سَيُصْبِحُ بَعْدَ ذَلِكَ نَظِيفًا ، مَا كُنْتُ لأُتْعِبَ عَضَلاَتِي ٱلْهَرِمَةَ .

فِي لَحْظَةٍ نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ ... نَسِيَ أَنَّهُ مَشْدُودٌ إِلَى ٱلْحَيَاةِ بِقَلْبِهِ ...

بِنَبضَاتِهِ ... وَحِينَ تَتَعَطَّلُ هَذِهِ ٱلنَّبضَاتُ لَنْ يَرَى عَامِلَ ٱلْبَلَدِيَّةِ ، لَنْ يَرَى وُجُوهَ ٱلنَّاسِ مَرَّةً أُخْرَى وَهُمْ يَنْحَدِرُونَ إِلَى ٱلْأَزِقَّةِ ... لَنْ يَرَاهُمْ وَهُمْ يَهْتِفُونَ بِحَيَاةِ « تُونِسِهِ وَتُونِسِهِمْ ٱلْجَمِيلَةِ » لَنْ يَرَى عُرُوقَهُمْ ٱلنَّابِضَةَ بِٱلْحُبِّ وَٱلْعَزْمِ ... وَلَنْ يَرَى تِلْكَ ٱلْغُرْفَةَ ٱلَّتِي نَامَ فِيهَا لَيْلَةً وَنِصْفَ لَيْلَةٍ ...

فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ تَسَمَّرَتْ ذَاكِرَتُهُ ... وَحَوَاسُّهُ ... وَبَدَأَ يَعُدُّ ٱللَّحَظَاتِ ٱلَّتِي تَفْصِلُهُ عَنِ ٱلْقَبْرِ . تَفْصِلُهُ عَنِ ٱلْعَمُودِ ... عَنِ ٱلْأَيْدِي ٱلَّتِي سَتَمْتَدُّ بِقُمَاشٍ وَتُغْمِضُ عَيْنَيْهِ إِلَى ٱلْأَبَدِ .

دَفَعُوهُ أَمَامَهُمْ ... وَخَرَجُوا بِهِ مِنْ جَحِيمِ ٱلْإِسْتِنْطَاقِ (6) . كَانَ ٱلظَّلَامُ شَدِيدًا ، لَقَدْ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى بَعْضَ ٱلْبِنَاءَاتِ ... وَبَعْضَ ٱلْأَضْوَاءِ ٱلْمُتَّكِئَةِ عَلَى هَذِهِ ٱلْبِنَاءَاتِ وَٱلَّتِي تُشْبِهُ ٱلْفَوَانِيسَ ٱلصَّغِيرَةَ ... هُوَ أَيْضًا فَانُوسٌ صَغِيرٌ كَانَ يُضِيءُ ... وَهُوَ أَيْضًا عَزَمَ عَلَى أَنْ يَظَلَّ مُشْتَعِلاً دَافِئًا ... كَانَ يُفَكِّرُ أَنَّهُ فَانُوسٌ كَكُلِّ هَذِهِ ٱلْفَوَانِيسِ ٱلْمُضِيئَةِ ، وَيَوْمًا مَا سَتَتَّسِعُ دَائِرَةُ هَذِهِ ٱلْفَوَانِيسِ .

وَهَا هُوَ يُخْطَفُ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ ٱلْفَوَانِيسِ ... غَيْرَ أَنَّهُ مُتَيَقِّنٌ بِأَنَّ مَكَانَهُ لَنْ يَظَلَّ شَاغِرًا .

قَالُوا لَهُ :

ــ إِنَّا سَنُعْدِمُكَ ، إِقْتَرِبْ مِنْ هَذَا ٱلْعَمُودِ ... إِتَّكِئْ عَلَيْهِ ... إِنَّكَ سَتَمُوتُ ...

ــ إِنَّنِي لَنْ أَمُوتَ ...

ـ وَلَكِنَّنَا سَنُطْلِقُ عَلَيْكَ ٱلرَّصَاصَ .

ـ وَرَغْمَ ذَلِكَ فَلَنْ أَمُوتَ ...

ـ إِنَّ ٱلرَّصَاصَ سَيَخْتَرِقُ صَدْرَكَ .

ـ إِنَّنِي لَنْ أَمُوتَ .

ـ إِنَّنَا سَنُهِيلُ عَلَيْكَ ٱلتُّرَابَ .

ـ مَعَ ذَلِكَ فَلَنْ أَمُوتَ .

ـ سَتَبْقَى دَائِمًا تَحْتَ ٱلتُّرَابِ ...

ـ سَأَظَلُّ حَيًّا .

ـ سَيَتَعَفَّنُ هَذَا ٱللَّحْمُ ... وَتَنْطَلِقُ مِنْكَ رَائِحَةٌ .

ـ أَنَا لَنْ أَمُوتَ ...

وَأَحَسَّ بِأَنَّ الظَّلاَمَ يُدَاهِمُ عَيْنَيْهِ ... وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنَامَ ... أَنْ يَسْقُطَ عَلَى ٱلأَرْضِ ... وَكَانَ ٱللَّيْلُ آنَئِذٍ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَجْرٍ .

عبد القادر بالحاج نصر

الزّيتون لا يموت

ص ص 95ـ99

الشركة التونسية للنّشر الطّبعة الرابعة - 1980

التّعريف بالكاتب :

عبد القادر بالحاج نصر قصّاص تونسيّ معاصر ولد بقفصة سنة 1946 . تحصّل على الإجازة في الأدب العربيّ ودرّس بالمعاهد الثّانويّة اشتغل بالمعهد القومي لعلوم التّربية .

نال سنة 1969 جائزة 9 أفريل 1938 بقصّة « الزّيتون لن يموت » .

ولقد نشر سنة 1970 مجموعة قصصيّة بعنوان « صلعاء يا حبيبتي » .

الشّـرح :

(1) **بصيص** : مصدر ــ بَصَّ يَبِصُّ ــ لمع وتلألأ .

(2) زنزانة : إسم ــ الغرفة من غرف السّجن .

(3) الضّراوة : مصدر ــ ضَرِيَ بالأمر يَضْرَى ضَرَاوَةً : لهِج به .
أَضْرَى فلان كلبه على الصّيد يضريه : عوّده عليه وأغراه به .

(4) البلاط : إسم ــ البَلاط : الأرض المستوية الملساء .
يقال : بلَطت الدّارَ أبلُطها بَلْطًا: فرشتها بالحجارة أو الرّخام أو الآجرّ.

(5) القُمامة : إسم على وزن (فُعالة) وكثيرا ما تصاغ على هذا الوزن الكلمات التي تفيد البقايا . **أمثلة** : كُناسة ــ قُلامة ...
قَمّ البيت يقمُّه قمّا : كنسه .

(6) إستنطاق : مصدر من استنطق يستنطق استنطاقا : أي طلب من شخص أن ينطق ويتكلّم . وتستعمل الكلمة للدّلالة على استجواب الشرطة أو القضاء للمتّهمين .

الأسئلـة :

1 ــ إستخرج من النّصّ ما يبيّن سبب دخول الشّخصيّة إلى السّجن ؟

2 ــ آذكر صفات عامل البلديّة في عبارات موجزة .

3 ــ لعامل البلديّة قيمة رمزيّة . بيّن ذلك .

4 ــ إستخرج من النّصّ كلّ ما يعبّر عن النّور . هل تلاحظ في ذلك ترتيبا ؟ ما هو ؟

5 ــ بيّن ما لمصادر النّور في النّصّ من دلالة رمزيّة ؟

6 ــ أشر إلى المواطن التي بدت فيها الشّخصيّة متعلّقة بالحياة رغم آستعدادها للتّضحيّة في سبيل الوطن .

7 ــ في آخر النّصّ خطابان : خطاب يؤكد الفناء وخطاب يؤكّد البقاء .
بيّن بالاستناد إليهما ما في الموت والبقاء من تناسب وآجتماع .

8 ــ إستخرج العبارات التي تشير إلى أنّ بعض أحداث النّصّ كانت تدور في مخيّلة السّجين ؟

68 ــ اِغْتِيَالُ فَرْحَاتٍ [1]

تَفَتَّحَتْ عَيْنَاهُ فَجْرَ يَوْمِ ٱدْلَهَمَّتْ [2] سُحُبُهُ وَتَثَاقَلَتْ سَاعَاتُهُ كَأَنَّهَا تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا فَوَاجِعَ مُفَاجِئَةً ... يَوْمٌ مُمْطِرٌ ، جَوٌّ مُتَقَلِّبٌ . هَوَاءٌ فَاتِرٌ [3] وَفَيَاضَانَاتُ وَادِي مَجْرَدَةَ وَوَادِي زُرُود وَوَادِي ٱلزَّرْقَة ...

وَنَهَضَ كَعَادَتِهِ يَسْتَقْبِلُ نُورَ ٱلصَّبَاحِ وَٱبْتَسَمَ لأَبْنَائِهِ وَقَبَّلَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ... وَقَبْلَ أَنْ يَمْتَطِيَ سَيَّارَتَهُ ٱلصَّغِيرَةَ ٱلسَّوْدَاءَ قَالَ :

ــ كُلُّ شَيْءٍ سَيَعُودُ إِلَى نِصَابِهِ [4] .

رَدَّتْ زَوْجَتُهُ فِي حَيْرَةٍ :

ــ مَاذَا ؟

ــ وَعَادَ إِلَى غُمُوضِهِ :

ــ ... لاَ شَيْءَ ...

قَالَتْ زَوْجَتُهُ :

ــ مَا أَشَدَّ بُرُودَةَ ٱلطَّقْسِ هَذَا ٱلصَّبَاحَ !

ــ أَجَلْ . يَوْمٌ مُمْطِرٌ ...

وَأَشَارَ إِلَى أَبْنَائِهِ وَهْوَ يُدَاعِبُهُمْ :

ــ قَبْلَ ٱلسَّاعَةِ ٱلثَّامِنَةِ وَدَائِمًا كَٱلْعَادَةِ تَكُونُونَ أَمَامَ بَابِ ٱلْمَدْرَسَةِ ... سَأَعُودُ بَعْدَ ٱلزَّوَالِ وَمَعِي ٱلْحَلْوَى وَٱلشُّكُلاَطَةُ ...

ثُمَّ ٱتَّجَهَ إِلَى زَوْجَتِهِ يُوَدِّعُهَا :

ـ رُبَّمَا لاَ آتِي إلاَّ لَيْلاً فَالأَشْغَالُ كَثِيرَةٌ ...

ـ أَرَى أَنْ تَبْقَى بِٱلْمَنْزِلِ هَذَا ٱلنَّهَارَ فَٱلْجَوُّ ثَقِيلٌ يَا فَرْحَاتُ .

ـ هَذَا مُسْتَحِيلٌ ... عَمَلِي ... رِسَالَتِي ... ٱلاتِّحَادُ ... ٱلْبِلاَدُ غَارِقَةٌ فِي ظَلاَمٍ ! مَنْ يَرْعَاهَا ... ؟ عَلَى كُلٍّ سَأَعُودُ مَتَى أَنْهَيْتُ أَشْغَالِي ٱلْعَدِيدَةَ هَذَا ٱلْيَوْمَ ... تَعْرِفِينَنِي لاَ أَخَافُ ٱلْمَطَرَ ... بَلْ إِنِّي أُحِبُّهُ وَأَتَمَنَّاهُ ...

وَتَابَعَ سَيْرَهُ مِنْ مَحَطَّةِ « رَادِسَ » فِي طَرِيقِهِ نَحْوَ ٱلْعَاصِمَةِ ... كَانَ وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ مُؤْمِنًا بِٱلْمَصِيرِ ... صُلْبَ ٱلشَّكِيمَةِ [5] مَفْتُولَ ٱلسَّاعِدِ ... ثَاقِبَ ٱلْفِكْرِ [6] يَعْرِفُ ٱلطَّرِيقَ إِلَى ٱلْحُرِّيَّةِ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً . سَاوَرَتْهُ ٱلظُّنُونُ ... إِنَّهُ يَسِيرُ وَحْدَهُ فِي ٱلطَّرِيقِ ... لاَ بُدَّ مِنْ حُدُوثِ مُفَاجَأَةٍ مَا ... وَحِينَ ٱقْتَرَبَتْ مِنْهُ سَيَّارَةٌ سَوْدَاءُ مَالَ صَوْبَ ٱلطَّرِيقِ ٱلرَّمْلِيِّ لَكِنَّ ٱلرَّصَاصَ وُجِّهَ نَحْوَهُ فَجْأَةً فَحَاوَلَ إِيقَافَ ٱلسَّيَّارَةِ ... « هَذَا رَصَاصُ ٱلْمُفَاجَأَةِ ... سَأُسْرِعُ فِي سَيْرِي نَحْوَ هَذِهِ ٱلسَّيَّارَةِ ٱلْقَادِمَةِ نَحْوِي ... إِنِّي لَمْ أُصَبْ بِأَيِّ أَذًى ... لَقَدْ نَجَوْتُ مِنَ ٱلْخَطَرِ ٱلْمُحْدِقِ ... »

ـ آهٍ ... لَقَدْ تَوَقَّفَتْ سَيَّارَتِي ... أَتَسْمَحُونَ لِي بِٱلرُّكُوبِ ؟ إِنَّ سَيَّارَتِي تَعَطَّبَتْ، أَصَابَهَا بَعْضُ ٱللُّصُوصِ بِرَصَاصَاتٍ مَقْصُودَةٍ ... نَعَمْ أَلَمْ تُشَاهِدُوهُمْ ؟ إِنَّهُمْ فَرُّوا مِنْ هُنَا ...

وَصَرَخَ فَرْحَاتٌ مِنْ قَلْبِهِ وَرَدَّ نِدَاءَ ٱلتَّضْحِيَةِ مِنْ أَعْمَاقِهِ وَتَفَطَّنَ لِلْغَدْرِ ٱلْمُبَيَّتِ وَٱلْخِسَّةِ وَٱلنَّذَالَةِ :

ـ هَا نَحْنُ عَلَى مَوْعِدٍ ... تَفَضَّلْ ... اِرْكَبْ سَنَحْمِلُكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ ...

ـــ إِلَى ٱلْمُسْتَشْفَى ... إِنِّي مُصَابٌ بِرَصَاصَةٍ طَائِشَةٍ .

وَأَرَادَ أَنْ يُتَابِعَ حَدِيثَهُ . لَكِنَّ ٱلضَّحَكَاتِ ٱلسَّاخِرَةَ قَطَعَتْ لَهُ كُلَّ كَلِمَةٍ، لِمَنْ سَيَتَكَلَّمُ ... ؟ الآذَانُ صَمَّاءُ وَٱلْعُيُونُ بَاهِتَةٌ مُرْعِبَةٌ وَٱلأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ ... إِنَّهَا سَيَّارَةُ « ٱلْيَدِ ٱلْحَمْرَاءِ » ... مَاذَا ! أَوَقَعْتُ فِي ٱلْفَخِّ ؟ وَلَطَمَهُ أَحَدُهُمْ ، وَرَكَلَهُ آخَرُ بِرِجْلَيْهِ .

كَانَتِ ٱلرَّشَّاشَاتُ فِي ٱتِّجَاهِ وَجْهِهِ ٱلشَّاحِبِ ، لَكِنَّهُ سَيَصْمُدُ إِلَى ٱلنِّهَايَةِ لَنْ يَتَفَوَّهَ بِكَلِمَةٍ مَا ، سَيَبْتَسِمُ لِصَنِيعِهِمْ .

يَحْيَ محمّد

نداء الفجر ، ص 183ـــ184ـــ185
الشركة التونسية للنّشر الطّبعة الرابعة – 1981

التّعريف بالكاتب :

يحي محمّد قصّاص تونسيّ معاصر ، وُلِد بتونس سنة 1931 . تخرّج في جامع الزّيتونة واشتغل موظّفا بوزارة العدل .

نشر بالمجلاّت التّونسية في الخمسينات قصائد من الشّعر الحرّ كما نشر دراسات في الأدب الجزائري .

من مؤلّفاته المطبوعة : نداء الفجر (1969) ـــ حوار في الظّلّ (1973) .

الشّـرح :

(1) فرحات حشّاد (1914ـــ1952) : زعيم نقابي وُلد بقرقنة واشتغل بشركة النّقل العمومي بالسّاحل . إنخرط بالمنظّمة النّقابيّة الفرنسيّة (C.G.T) ثمّ انسلخ عنها وأسّس نقابة وطنيّة هي الاتّحاد العام التّونسيّ للشّغل . وتمّ ذلك في 20 جانفي 1946 . ولقد سخّر هذا الزّعيم حياته كلّها للدّفاع عن العمّال وتحرير الوطن .

اغتالته العصابة الاستعماريّة المعروفة باليد الحمراء يوم 5 ديسمبر 1952 .

(2) اِدْلَهَمَّتْ: اِدلهمّ فعل رباعي مزيد على وزن اِفْعَلَلَّ كاطمأنّ واقشعرّ .
يقال : اِدلهمّ اللّيل : كثُف واسودّ .
ويقال : أسودُ مدلهمّ أي مبالَغ فيه .

(3) فاتر : صفة مشبّهة ــ فتَر الهواء يفتِر فُتُورا : كان بين البارد والحارّ .
يقال : ماء فاتر أي بين البارد والحارّ . فتَر جسمُه يفتُر فتورا : ضعُف.

(4) النّصاب : إسم معناه الأصل .

(5) صُلب الشّكيمة : عبارة تطلق على الشّخص الأبيّ الذي لا ينقاد . والشّكيمة هي في الأصل الحديدة من اللّجام المعترضة في فم الفرس ثمّ أصبحت تطلق مجازا على الحزم وقوّة القلب .

(6) ثاقب الفكر : ثاقب صفة مشبّهة ــ ثقب ذهنُه يثقُب ثُقُوبا : نفذ في المسألة فعرف دخائلها .

الأسئلـة :

1 ــ كيف هيّأ الكاتب لأحداث النّصّ ؟

2 ــ لماذا اُعتنى الكاتب بوصف حشّاد وهو يتهيّأ للخروج من منزله ؟

3 ــ رَتِّبِ الْكلمات التّالية حسب أهميّتها عند « حشّاد » مدعّما ترتيبك بأدلّة من النّصّ : عائلته ــ نفسه ــ وطنه ؟

4 ــ اِستخرج من النّصّ الخطّة التي وضعتها « اليد الحمراء » لاغتيال « حشّاد » ؟

5 ــ ما هي خصال « حشّاد » كما وردت في النّصّ ؟

69 ــ غَــارَةٌ

أَخْرَجَ ٱلْمُنْجِي رَأْسَهُ مِنْ وَرَاءِ ٱلْجَرِيدَةِ وَصَوَّبَ نَظَرَاتِهِ بَيْنَ حَمَّادِي رَابح والطَّاهِر بُوذَرَاع . وَقَالَ فِي حُنْقٍ وَسُخْطٍ :

ــ كُنْتُ أُحْصِي عَلَى ٱلْجَرِيدَةِ عَدَدَ أَعْمِدَةِ ٱلْهَاتِفِ الَّتِي خُرِّبَتْ ، وَقُضْبَانِ ٱلسِّكَكِ الَّتِي نُسِفَتْ [1] وَٱلْقَنَابِلِ ٱلزَّمَنِيَّةِ الَّتِي ٱنْفَجَرَتْ فِي ٱلأَحْيَاءِ وَٱلإِدَارَاتِ وَٱلْمُؤَسَّسَاتِ و ... و ... إِلَى آخِرِهِ ، إِلَى آخِرِهِ ...

كَوَّرَ ٱلْجَرِيدَةَ ، وَرَمَى بِهَا أَرْضَ ٱلْمَغَارَةِ ، وَتَعَالَى لِلْمَرَّةِ ٱلثَّالِثَةِ هَدِيرُ طَائِرَةٍ يُمَزِّقُ سُكُونَ ٱلْجَبَلِ . وَمَادَ صَدَى ٱلْهَدِيرِ بَيْنَ جَنَبَاتِ ٱلصُّخُورِ ، وَٱقْتَرَبَ وَٱشْتَدَّ ، فَرَمَقَ حَمَّادِي بَابَ ٱلْمَغَارَةِ ...

دَوَّى قَصْفٌ يُصِمُّ الآذَانَ ، وَقَفَزَ ٱلْكَلْبُ « فُوكِسْ » إِلَى أَحْضَانِ ٱلْمُنْجِي ، وشَخَصَتِ ٱلْعُيُونُ . كَانَ رَذَاذُ ٱلْحَصَى وَٱلْغُبَارِ يَسْتَعِرُ فِي لَوْلَبَةٍ مِنَ ٱلدُّخَانِ تَصْفَعُ جَنَبَاتِ بَابِ ٱلْمَغَارَةِ . وَوَثَبَ ٱلْمُنْجِي وَاقِفًا ، فَأَمْسَكَهُ حَمَّادِي مِنْ بَنْطَلُونِهِ ، زَاغَتْ نَظَرَاتُهُ ٱلْمَحْمُومَةُ ...

قَالَ ٱلْمُنْجِي فِي صَوْتٍ مُتَضَعْضِعٍ يُغَمُّهُ ٱلْغَيْظُ وَٱلاِشْمِئْزَازُ :

ــ لِمَاذَا يَبْقَى مَسْعُودُ الفَالِحُ وَرَفِيقَاهُ خَارِجَ ٱلْمَغَارَةِ ؟ لَيْسَ لَنَا مَا نُجَابِهُ بِهِ هَذِهِ ٱلْغَارَةَ ٱلْعَنِيفَةَ .

وَٱبْتَعَدَ ٱلأَزِيزُ ، وهَمَدَتْ لَوْلَبَةُ ٱلدُّخَانِ . كَانَ حَرُّ ٱلصَّيْفِ قَدْ تَضَاعَفَ بِشَنِّ ٱلطَّائِرَةِ لِهَذِهِ ٱلْغَارَةِ ٱلْمَسْعُورَةِ ، وَبِأَنْفَاسِ ٱلثُّوَّارِ ٱلْمَحْشُورِينَ فِي أَعْمَاقِ هَذَا ٱلْكَهْفِ ٱلْحَجَرِيِّ ٱلصَّلْدِ ، وَٱنْتَصَبَ خَيَالُ مَسْعُود ، كَانَ وَجْهُهُ قَاتِمًا وعَيْنَاهُ سَاهِمَتَيْنِ .

ـــ أَيُّهَا ٱلْقائدُ ، تَلُوحُ مِنْ بَعِيدٍ أَسْفَلَ ٱلسَّهْبِ ، أَشْبَاحُ مُدَرَّعَاتٍ حَرْبِيَّةٍ تَزْحَفُ نَحْوَ ٱلْجَبَلِ .

عَادَ أَزِيزُ ٱلطَّائِرَةِ إِلى ٱلْاِقْتِرَابِ ، فَصَاحَ ٱلْمُنْجِي فِي عَجَلَةٍ ، وَهُوَ يَنْدَفِعُ خَارِجَ ٱلْكَهْفِ :

ـــ اِلْزَمُوا مَكَانَكُمْ .

وَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ، وَهُوَ يَتَوَارَى زَاحِفًا بَيْنَ ٱلصُّخُورِ . كَانَتْ طَائِرَتَانِ تَلْتَمِعَانِ فِي وَهَجِ ٱلشَّمْسِ وَتَبْدُوَانِ كَنَجْمَيْنِ يَشُقَّانِ كَبِدَ ٱلسَّمَاءِ فِي إِصْرَارٍ وَبُطْءٍ عَلَى حِينِ ظَلَّ هَدِيرُ ٱلطَّائِرَةِ ٱلثَّالِثَةِ يَزْحَفُ فِي مَكَانٍ مَّا وَيُرْعِدُ فَوْقَ ٱلصُّخُورِ . ثُمَّ وَمَضَ ضَوْءٌ خَاطِفٌ وَٱنْسَحَبَ كَٱلْبَرْقِ يُمَزِّقُ بِهَدِيرِهِ جَوَّ ٱلسَّمَاءِ وَقَدَحَ عَلَى ٱلْأَثَرِ لَهِيبٌ أَزْرَقُ فَجَّرَ فِي صَمْتِ ٱلْجَبَلِ دَوِيًّا عَنِيفًا . لَعَنَ ٱلْمُنْجِي ٱلْعَدُوَّ سَاخِطًا وَهُوَ يَصْرِفُ بِأَسْنَانِهِ فِي غَيْظٍ وَقَهْرٍ. وَأَدَارَ عُنُقَه إِلَى ٱلسَّهْبِ [2] . وَحَدَّقَ ... كَانَتْ هَيَاكِلُ صغيرةٌ سَوْدَاءُ تَزْحَفُ نَحْوَ ٱلْجَبَلِ وَأَحَسَّ بِقَامَةٍ تَنْحَطُّ فِي خِفَّةٍ بِقُرْبِهِ فَأَدَارَ نَحْوَهَا وَجْهَهُ وَإِذَا هُوَ أَحَدُ رَفِيقَيْ مسعود وقَدِ ٱنْدَفَعَ يُكَلِّمُهُ مُشِيرًا إِلَى صَاحِبِهِ ٱلْمُمَدَّدِ فِي أُخْدُودٍ [3] قَرِيبٍ :

ـــ يُرِيدُ أَنْ يُطْلِقَ ٱلرَّصَاصَ عَلَى ٱلطَّائِرَةِ .

فَمَطَّ ٱلْمُنْجِي شَفَتَيْهِ فِي ٱسْتِخْفَافٍ :

ـــ رَشَّاشَةٌ ضِدَّ طَائِرَةٍ كَكَلْبٍ يَنْبَحُ لِكَيْ يَعَضَّ ٱلْقِطَارَ ؟

وَأَشَارَ إِلَى أُخْدُودٍ قَرِيبٍ ، وَأَضَافَ قَائِلاً :

ـــ اِنْسَحِبْ أَنْتَ وَرَفِيقُك دَاخِلَ ٱلْمَغَارَةِ ... وَلْيَأْتِ إِلَى هُنَا حَمَّادِي وَمَسْعُودٌ .

وَلَهَثَ فِي وَجْهِ ٱلْمُنْجِي وَهْوَ يُقَدِّمُهَا إِلَيْهِ :

ــ رِبْحُ ، أَيُّهَا ٱلْقَائِدُ ؟

« ... رِبْح !؟ »

وَغَرَزَ نَظَرَاتِهِ ٱلْمُتَوَتِّرَةَ فِي وَجْهِهَا ، وَقَالَ فِي صَرَامَةٍ وَكَرْبٍ [4] :

ــ مَا جَاءَ بِكَ فِي هَذَا ٱلْوَقْتِ ؟

كَانَتِ ٱبْتِسَامَةٌ رَخِيَّةٌ تَرِفُّ فَوْقَ عَيْنَيْهَا وَهْيَ تَقُولُ :

ــ جَاءَنَا مَعَ ٱلصُّبْحِ فَارِسٌ مِنْ قَبِيلَةِ الظَّوَاهِرِيَّةِ . وَأَخْبَرَنَا بِأَنَّ قُوَّةً كَبِيرَةً مِنَ ٱلْجَيْشِ ٱلْفِرَنْسِيِّ ، خَرَجَتْ مِنْ « قَفْصَةَ » مُتَّجِهَةً لِلْهُجُومِ عَلَى جَبَلِ « عرباط » ، فَقَوَّضْنَا ٱلْخِيَامَ وَشَدَدْنَا ٱلرِّحَالَ . وَطَلَبَ مِنِّي شُيُوخُ ٱلْقَبِيلَةِ أَنْ أُسْرِعَ بِإِخْبَارِكُمْ ...

رَشَقَهَا حَمّادي بِنَظْرَةٍ حَانِيَةٍ ، وَسَأَلَهَا وَقَلْبُهُ يَتَمَطَّى بَيْنَ ضُلُوعِهِ :

ــ أَوَ تَعْرِفِينَ مَسَالِكَ ٱلْجَبَلِ ؟

فَوَمَضَ عِقْدُ أَسْنَانِهَا وَهْيَ تَقُولُ فِي فَخْرٍ :

ــ إِنَّنِي بَدَوِيَّةٌ .

وَزَفَرَ ٱلْمُنْجِي مُتَفَرِّسًا فِي وُجُوهِ عِصَابَتِهِ ، وَقَالَ فِي قُنُوطٍ وَضِيقٍ :

ــ يَجِبُ أَنْ نَنْسَحِبَ .

وَجَذَبَ حَمَّادِي نَظَرَاتِهِ عَنْ رِبْحَ ، وَسَأَلَ ٱلْمُنْجِي :

ــ إِلَى أَيْنَ ؟

ـــ إِلَى أَيْنَ ؟! إِنَّ سَلاَسِلَ ٱلْجِبَالِ ٱلْمُتَغَلْغِلَةِ فِي أَرْضِنَا تَمْتَدُّ فِي تَمَاسُكٍ إِلَى مَرَّاكِشَ .

وَقَالَ مَسْعُودٌ فِي ثَبَاتٍ وَإِعْمَالِ نَظَرٍ :

ـــ لاَ طَاقَةَ لَنَا بِمُوَاجَهَةِ هَذَا ٱلْفَيْلَقِ . وَهُمْ بِدَوْرِهِمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ مُحَاصَرَةَ هَذَا ٱلْجَبَلَ ٱلْعَرِيضَ ، فَلْنَلْتَزِمِ ٱلسَّيْرَ مُعْتَصِمِينَ بالأَخَادِيدِ عَنْ مَرْأَى ٱلطَّائِرَاتِ ، وَلْنَتَّجِهْ شَرْقِيَّ ٱلْجَبَلِ وَنُعَسْكِرْ فِي ٱلْمَغَارَةِ ٱلَّتِي كَانَ يَحْتَلُّهَا مِيلُودُ .

3 ـــ ضَرَبَ ٱلْمُنْجِي يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ قَائِلاً :

ـــ إِلَى ٱلْعَمَلِ ... حَمَّادِي سِرْ مَعَ رِبْحَ فِي ٱلطَّلِيعَةِ وَسَأَكُونُ فِي ٱلْمُؤَخَّرَةِ ... وَأَنْتَ ، يَا مَسْعُودُ ، اِزْحَفْ مِنَ ٱلآنِ بَيْنَ الأَخَادِيدِ ، وَأَرْشِدِ ٱلرِّفَاقَ إِلَى كَيْفِيَّةِ ٱلتَّحَرُّكِ لِتَغْطِيَةِ ٱنْسِحَابِنَا ... هَيَّا إِلَى ٱلْعَمَلِ ...

سَارَتْ رِبْحُ وَرَاءَ حَمَّادِي ، وَقَلْبُهَا يَدُقُّ ... اِعْتَلَى صَخْرَةً . وَمَدَّ لَهَا يَدَهُ . فَأَسْلَسَتْ لَهُ رَاحَتَهَا وَوَثَبَتْ ، وَٱنْفَلَتَتْ وَرَاءَهُ ، وَٱنْقَضَّ ٱلأَزِيزُ ، وَهَوَمَّتْ أَجْنِحَةٌ مُلْتَمِعَةٌ وَصَعَقَتِ ٱلصُّخُورُ ، وَٱرْتَعَدَ وَهَجُ ٱلشَّمْسِ وَٱنْفَجَرَ ٱلظَّلاَمُ ... أَيْنَ هُوَ ؟ وَكَنَسَتِ ٱلدُّخَانَ عَنْ أَحْدَاقِهَا ، وَعَادَ ٱلْبَرْقُ ، وَهَوَى ٱلْهَدِيرُ . فَشَعُرَتْ بِقَبْضَتِهِ تَدْفَعُهَا إِلَى ٱلْجُرْفِ (5) ثُمَّ ٱنْفَجَرَ لَهِيبٌ أَزْرَقُ ...

ـــ رِبْحُ ! ... رِبْحُ ! ...

وَٱحْتَوَاهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ ، فَٱرْتَعَدَتْ فَرَائِصُهَا (6) ، وَأَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا ، وَقَالَتْ فِي ٱضْطِرَابٍ :

ـــ سِي ٱلْمُنْجِي ! ... سِي ٱلْمُنْجِي ! ...

كَانَتْ دَائِمًا تَعْتَقِدُهُ ٱلْمُنْجِي ، وَفتحَتْ أَجْفَانَهَا ، فَإِذَا بِنَظْرَتِهِ ٱلثَّابِتَةِ جَامِدَةٌ مُطْفَأَةٌ ، فَدَقَّ قَلْبُهَا بِعُنْفٍ ، وَفَزِعَتْ وَدَفَعَتْ أَصَابِعَ رَاحَتِهَا إِلَى عُنُقِهِ ، وجَمَدَتْ ! مَا هَذَا ؟! لِمَاذَا تَنْضَحُ رَقَبَتُهُ بِٱللُّزُوجَةِ [7] وَٱلْحَرَارَةِ ! وَلَهَثَتْ صَائِحَةً :

ــ سِي ٱلْمُنْجِي ... سِي ٱلْمُنْجِي ...

وَٱنْدَفَعَتْ تَحْتَضِنُهُ ، ثُمَّ جَذَبَتْ يَدَيْهَا فِي ذُعْرٍ ، فَٱنْزَلَقَتْ عَلَى عُنُقِهَا خُيُوطٌ حَمْرَاءُ ، عَرِيضَةٌ ، حَارَّةٌ وَأَصْبَحَتْ يَدَاهَا فِي مُسْتَوَى ٱلنَّظَرِ ، فَحَدَّقَتْ فِيهِمَا (دِمَاءٌ !؟) وَفَزِعَتْ فِي عُنْفٍ فَٱنْبَثَقَتْ فَلَذَاتٌ مِنَ ٱلدَّمِ ، وٱنْزَرَعَتْ عَلَى ٱلْمُلاَءَةِ فَوْقَ صَدْرِهَا . وٱنْكَفَأَ وَجْهُ حَمَّادِي فِي ٱرْتِخَاءٍ، وٱصْطَدَمَ بِحَافَةِ صَخْرَةٍ فِي جَوْفِ ٱلْجُرْفِ .

محمّد المختار جنّات

أرجـوان

التّعريف بالكاتب :

محمّد المختار جنّات روائيّ تونسيّ ولد بقفصة سنة 1930 . تخرّج في الزّيتونة وٱشتغل لمدّة طويلة بالتّدريس في المدارس الابتدائيّة . هو من قصّاص البطولة الوطنيّة إذ كتب روايات سجّل فيها فصولا من معارك التحرير الوطنيّ .

من رواياته : « أرجوان » (تونس 1970) ــ « نوافذ الزّمن » (تونس 1974) .

وله عدّة أقاصيص جمعها تحت عنوان « الفرجة من ٱلثُّقب » (تونس 1981) .

الشّـرح :

(1) نسفت : نسَفت الشّيء تنسِفه نسفا : اِقتلعته بأصله .

(2) السّهب : الأرض المستوية البعيدة .

(3) أخدود : شقّ مستطيل في الأرض .
خدّ السّيل في الأرض : شقّها بجريه .

(4) الكَرْبُ : الحزن والغمّ ــ كَرَبه الأمرُ يكرُبه كرْبا : غمّه .

(5) ٱلْجُرْفُ : اِسم ــ هو المكان المنخفض الذي أكلته السّيول من الأرض .

(6) فرائص : اِسم مفرده فريصة والفريصة هي العضلة على الكتف أو الصدر ترتعش من غضب أو فزع .

(7) لزوجة : مصدر ــ لزِج الشّيء يلزَج : كان فيه تمطّط كما لو كان لصاقا .

الأسئلـة :

1 ــ ما هي أساليب المقاومة التي عمد إليها الثوّار حسب ما جاء في النّصّ ؟ وما أثر ما قاموا به من أعمال في المستعمر حسب ما يُفهَم من أحداث النّصّ ؟

2 ــ لماذا كان الثوّار يعتصمون بالجبال ؟ دعّم جوابك بما جاء في النّصّ .

3 ــ اِستخرج من النّصّ العبارات التي وصف بها الكاتب حالة الشّخصيات النّفسيّة ثمّ أدرسها .

4 ــ ما علاقة القبيلة بالثوّار ؟ وماذا تستخلص من ذلك ؟

70 ــ إِلَى جَمِيلَةَ بُوحِيرد [1]

يَأْتِيكِ مِنْ وَهْرَانَ [2] ــ يَا لَلزِّحَامِ ! ــ
حَشْدٌ [3] مُشِعٌّ بِٱشْتِعَالِ ٱلْمغيب ،

يَأْتِيكِ كُلُّ ٱلنَّاسِ ، كُلُّ ٱلأَنَام [4] ،
يَرْجُونَ مِمَّا تَبْذُلِينَ ٱلطَّعَام
وَٱلْأَمْنَ وَٱلنَّعْمَاءَ وٱلْعَافِيه
وَأَنْتِ مِثْلُ ٱلدَّوْحَةِ [5] ٱلْعَارِيه ،
لَمْ يُبْقِ مِنْكِ ٱلْبَغْيُ [6] إِلاَّ ٱلْجُذُور
ٱلْمَوْتُ وَاهٍ [7] دُونَهَا ، وَٱلنُّشُورْ [8]
فِيهَا وَتَجْرِي دُونَكِ ٱلسَّاقِيه
مَا شَبَّ فِي وَهْرَانَ مِنْ بُرْعُمٍ
أَوْ أَزْهَرَتْ ، فِي أَطْلَسٍ [9] عَوْسَجه [10]
إِلاَّ وَدَبَّتْ فِي مَسِيلِ ٱلدَّمِ
نَمْنَمَةٌ مُنْعِشَةٌ مُبْهِجَه
تُوحِي بِأَنَّ ٱلأَرْضَ ظَلَّتْ تَدُورْ
طَاحُونَةً لِلْقَاتِلِ ٱلْمُجْرِمِ
تَسْحَقُ مِنْهُ وَاهِنَ [11] ٱلأَعْظُمِ ،
وَأَنَّ أَلْوَانَ ٱلأَذَى وَٱلْعَذَاب
ذُخْرٌ [12] لَنَا ، نَجْلُوهُ يَوْمَ ٱلْحِسَاب
نَسْقِي بِهِ ٱلْبَاغِينَ ، نُرَوِّي ٱلتُّرَاب
مِنْ لَفْحِهِ ــ أَنَّ ٱلْهَوَى وَٱلشَّبَاب

لَمْ يَذْهَبَا ــ أَنَّ ٱلْبِعَادَ ٱقْتِرَاب ــ
أَنَّ مِنَ ٱلدَّمْعِ ٱلَّذِي تَسْكُبِين
أَسْلِحَةٌ فِي أَذْرُعِ ٱلثَّائِرِينْ

بدر شاكر السيّاب

من قصيدة : « إلى جميلة بوحيرد »

الأعمال الكاملة ، دار العودة ، بيروت 1971

التّعريف بالشاعر :

بدر شاكر السيّاب شاعر عراقيّ من أشهر روّاد الشّعر الحرّ . وُلِد في قرية (جَيْكور) قرب البصرة سنة 1926 ــ وقد كان بقريته في شعره مفتونا ــ وتوفي لمرض أصابه سنة 1964 .

تحصّل على الإجازة في اللّغة والآداب الانكليزيّة من « دار المعلّمين العليا » ببغداد واشتغل بالتّدريس زمنا . ناهض السيّاب طغيان الحكم القائم بالعراق آنذاك فسامه الحكم ألوانا من العذاب فلقد فُصِل عن الوظيفة ولقد أُودِع السّجن ولقد اضطرّ إلى اللّجوء إلى الكويت .

كان السيّاب معجبا بالمتنبّي والجاحظ وأبي العلاء المعرّي كما كان معجبا بـ(ت. س. إليوت) و(إديت ستويل) ، (آنظر : مجلّة الآداب البيروتيّة أكتوبر 1956، صفحة 22) .

ولقد دار شعره في الغالب على قضايا الإنسان التّالية : الحرب والسّلم ــ الكفاح ضدّ الاستغلال والاستعمار ــ الحبّ والموت ــ الحب والفداء ــ الحياة والموت. جُمع شعره ونُشِر في ديوان .

الشّـرح :

(1) جميلة بوحيدر : مناضلة جزائريّة قبض عليها الجيش الاستعماريّ الفرنسيّ سنة

1957 وصبّ عليها أبشع التّعذيب . ولقد قضت المحكمة الاستعماريّة بإعدامها لكنّ الحكم لم ينفّذ فيها لما عبّر عنه الرّأي العام العربيّ والعالميّ من احتجاج صارم . ولقد أفرج عنها على إثر اتّفاقيّات وقف إطلاق النّار .

وجميلة بوحيرد هي في الذّاكرة الشعبيّة العربيّة الحديثة رمز من أفصح رموز النّضال النّسائي .

(2) وهران : مدينة جزائريّة تقع في شمال الجزائر الشرقيّ . لها ميناء على البحر الأبيض المتوسّط . وكانت من أهمّ القواعد البحريّة الفرنسيّة بشمال إفريقيا .

(3) حشد : اِسم يُطلَق على الجماعة من النّاس .
حشَدَ القوم يحشُدهم : جمعهم .

(4) الأنام : اِسم ــ ما ظهر على الأرض من جميع ٱلْخَلْقِ .

(5) ٱلدَّوْحَةُ : اِسم ــ هي الشّجرة العظيمة المتّسعة من أيّ شجر كانت . والجمع دَوْحٌ وَأَدْوَاحُ هو جمع الجمع .
داحت الشّجرة تَدُوح إذا عظمت فهي دَائِحَة .

(6) بغي : مصدر ــ الظلم والتعدّي بغَى الرّجلُ علينا يبغِي بَغْيًا : عدل عن الحقّ واستطال .

(7) واه : صفة مشبّهة ــ وَهَى الشّيء ووَهِيَ يَهِي وَهْيًا : ضعُف .
وَهَى الثّوبُ يهِي وَهْيًا : بَلِي وتَخَرَّقَ .

(8) نشور : مصدر ــ نشَر اللهُ الميتَ ينشُره نَشْرًا ونُشُورًا : أحياه ــ بعثه .

(9) الأطلس : مجموعة سلاسل جبليّة في بلدان المغرب العربي طولها 2500 كلم تمتدّ من مصبّ وادي سوس على المحيط الأطلسي في جنوب غربيّ المغرب إلى شمال شرقيّ تونس .

(10) عَوْسَجَةٌ : واحدة العَوْسَجِ وهو شجر كثير الشّوك له ثمر أحمر مدوّر فيه حموضة .

(11) واهِن : صفة مشبّهة ــ وهَن ووهِن يهِن وَهْنًا : ضعُف وفتَر .

(12) ذُخْرٌ : مصدر ــ ذَخَر الشّيء يذخُره ذخرا : خبّأه لوقت الحاجة .

الأسئلــة :

1 ــ اِستخرج من أفعال المقطع الأوّل المنزلة التي جعل فيها الشّاعر جميلة بوحيرد ؟

2 ــ ما هي صورة الشهيدة كما تبدو لك من المقطع الأوّل ؟

3 ــ لِمَ شبّه الشّاعر « جميلة » بالدّوحة ؟ وكيف عبّر عن قوّة الحياة فيها ؟

4 ــ بيّن ــ اعتمادا على الصّور التي استعملها الشّاعر ــ أنّ مسيل الدّم تنبثق منه الحياة ؟

5 ــ ما هي الوسائل التي آستعملها الشّاعر للتّعبير عن حتميّة انتصار المظلوم على الظّالم ؟

6 ــ تتبّع العبارات الدّالة على نشوء الحياة وتَدَرُّجها نحو القوّة وبيّن إلاَمَ قصد بها الشّاعر ؟

71 ــ أَرْضُ ٱلْبُرْتُقَالِ ٱلْحَزِينِ

عِنْدما خَرجْنا مِنْ يَافَا [1] إِلَى عَكَّا [2] لم يكنْ في ذَلِكَ أَيَّةُ مَأْسَاةٍ... كُنَّا كَمَنْ يَخْرُجُ كُلَّ عَامٍ لِيُمْضِيَ أَيَّامَ الْعِيدِ فِي مَدِينَةٍ غَيْرِ مَدِينَتِهِ. وَمَرَّتْ أَيَّامُنَا في عَكَّا مُرُورًا عَادِيًّا لاَ غَرَابَةَ فِيهِ ، بَلْ رُبَّما كُنْتُ لِصِغَرِي وَقْتَذَاكَ أَسْتَمْتِعُ بِتِلْكَ ٱلأَيَّامِ لأَنَّهَا حَالَتْ دُونِي وَدُونَ ٱلذَّهَابِ لِلْمَدْرَسَةِ ... مَهْمَا يَكُنْ، فَفِي لَيْلَةِ الْهُجُومِ ٱلْكَبِيرِ عَلَى عَكَّا بَدَأَتْ تَتَوَضَّحُ الصُّورَةُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ... وَمَضَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ قَاسِيَةً مُرَّةً بَيْنَ وُجُومِ [3] ٱلرِّجَالِ ، وَبَيْنَ أَدْعِيَةِ ٱلنِّسْوَةِ... لَقَدْ كُنَّا أَنَا وَأَنْتَ وَمَنْ فِي جِيلِنَا، صِغَارًا لاَ نَفْهَمُ مَاذَا تَعْنِي ٱلْحِكَايَةُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ... وَلَكِنْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بَدَأَتِ الْخُيُوطُ تَتَوَضَّحُ. وَفِي ٱلصَّبَاحِ ، سَاعَةَ اِنْسَحَبَ ٱلْيَهُودُ مُتَوَعِّدِينَ مُزْبِدِينَ [4] ... كَانَتْ سَيَّارَةُ شَحْنٍ كَبِيرَةٌ تَقِفُ فِي بَابِ دَارِنَا ... وَكَانَتْ مَجْمُوعَةٌ بَسِيطَةٌ مِن أَشْيَاءِ ٱلنَّوْمِ تُقْذَفُ إِلَيْهَا مِنْ هُنَا وَهُنَاك بِحَرَكَاتٍ سَرِيعَةٍ مَحْمُومَةٍ ... كُنْتُ أَقِفُ مُتَّكِئًا بِظَهْرِي عَلَى حَائِطِ ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ عِنْدَمَا رَأَيْتُ أُمَّكَ تَصْعَدُ إِلَى ٱلسَّيَّارَةِ ، ثُمَّ خَالَتَكَ ثُمَّ ٱلصِّغَارَ وَأَخَذَ أَبُوكَ يَقْذِفُ بِكَ وَبِإِخْوَتِكَ إِلَى ٱلسَّيَّارَةِ فَوْقَ ٱلأَمْتِعَةِ، ثُمَّ ٱنْتَشَلَنِي [5] مِنْ زَاوِيَتِي وَرَفَعَنِي فَوْقَ رَأْسِهِ إِلَى ٱلْقَفَصِ ٱلْحَدِيدِيِّ، فِي سَقْفِ غُرْفَةِ ٱلسَّائِقِ حَيْثُ وَجَدْتُ أَخِي « رِيَاض » جَالِسًا بِهُدُوءٍ ... وَقَبْلَ أَنْ أُثْبِتَ نَفْسِي فِي وَضْعٍ مُلاَئِمٍ ، كَانَتْ ٱلسَّيَّارَةُ قَدْ تَحَرَّكَتْ ... وَكَانَتْ عَكَّا ٱلْحَبِيبَةُ تَخْتَفِي شَيْئًا فَشَيْئًا فِي مُنْعَرَجَاتِ الْطُّرُقِ ٱلصَّاعِدَةِ إِلَى رَأْسِ النَّاقُورَةِ [6] ...

كَانَ ٱلْجَوُّ غَائِمًا بَعْضَ ٱلشَّيْءِ ، وَإِحْسَاسٌ بَارِدٌ يَفْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى جَسَدِي ، كَانَ « رِيَاضٌ » جَالِسًا بِهُدُوءٍ شَدِيدٍ ، رَافِعًا سَاقَيْهِ إِلَى مَا فَوْقَ حَافَةِ ٱلْقَفَصِ ، وَمُتَّكِئًا بِظَهْرِهِ عَلَى الأَمْتِعَةِ مُحَدِّقًا فِي ٱلسَّمَاءِ ... وَكُنْتُ

أَنَا جَالِسًا بِصَمْتٍ ، وَاضِعًا ذَقْنِي بَيْنَ رُكْبَتَيَّ طَاوِيًا فَوْقَهُمَا ذِرَاعَيَّ ... وَحُقُولُ ٱلْبُرْتُقَالِ تَتَوَالَى عَلَى ٱلطَّرِيقِ ... وَشُعُورٌ بِٱلْخَوْفِ يَتَآكَلُنَا جَمِيعًا ... وَٱلسَّيَّارَةُ تَصْعَدُ لاَهِثَةً فَوْقَ ٱلتُّرَابِ ٱلنَّدِيِّ ... وَطَلَقَاتٌ بَعِيدَةٌ كَأَنَّهَا تَحِيَّةُ ٱلْوَدَاعِ ...

وَعِنْدَمَا بَدَأَتْ رَأْسُ ٱلنَّاقُورَةِ تَلُوحُ مِنْ بَعِيدٍ ، غَائِمَةً فِي ٱلأُفْقِ ٱلأَزْرَقِ ، وَقَفَتِ ٱلسَّيَّارَةُ ... وَنَزَلَتِ ٱلنِّسْوَةُ مِنْ بَيْنِ ٱلأَمْتِعَةِ وَتَوَجَّهْنَ إِلَى فَلاَّحٍ كَانَ يَجْلِسُ ٱلْقُرْفُصَاءَ وَاضِعًا سَلَّةَ بُرْتُقَالٍ أَمَامَهُ مُبَاشَرَةً ... وَحَمَلْنَ ٱلْبُرْتُقَالَ ... وَوَصَلَنَا صَوْتُ بُكَائِهِنَّ ... وَبَدَا لِي آنَذَاكَ أَنَّ ٱلْبُرْتُقَالَ شَيْءٌ حَبِيبٌ ... وَأَنَّ هَذِهِ ٱلْحَبَّاتِ ٱلْكَبِيرَةَ ٱلنَّظِيفَةَ هِيَ شَيْءٌ عَزِيزٌ عَلَيْنَا ... كَانَتِ ٱلنِّسَاءُ قَدْ ٱشْتَرَيْنَ بُرْتُقَالاَتٍ حَمَلْنَهَا مَعَهُنَّ إِلَى ٱلسَّيَّارَةِ ، وَنَزَلَ أَبُوكَ مِنْ جَانِبِ ٱلسَّائِقِ ، وَمَدَّ كَفَّهُ فَحَمَلَ بُرْتُقَالَةً مِنْهَا ... أَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِصَمْتٍ ... ثُمَّ ٱنْفَجَرَ يَبْكِي كَطِفْلٍ بَائِسٍ ...

فِي رَأْسِ ٱلنَّاقُورَةِ ... وَقَفَتْ سَيَّارَتُنَا بِجَانِبِ سَيَّارَاتٍ كَثِيرَةٍ ... وَبَدَأَ ٱلرِّجَالُ يُسَلِّمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ إِلَى رِجَالِ ٱلشُّرْطَةِ ٱلْوَاقِفِينَ لِهَذَا ٱلْغَرَضِ ... وَعِنْدَمَا أَتَى دَوْرُنَا ، وَرَأَيْتُ ٱلْبَنَادِقَ وَٱلرَّشَّاشَاتِ مُلْقَاةً عَلَى ٱلطَّاوِلَةِ ... وَرَأَيْتُ صَفَّ ٱلسَّيَّارَاتِ ٱلْكَبِيرَةِ يَدْخُلُ لُبْنَانَ طَاوِيًا مَعَارِجَ طُرُقَاتِهَا مُمْعِنًا فِي ٱلْبُعْدِ عَنْ أَرْضِ ٱلْبُرْتُقَالِ ... أَخَذْتُ أَنَا الآخَرُ ، أَبْكِي بِنَشِيجٍ حَادٍّ (7) . أُمُّكَ لاَ تَزَالُ تَنْظُرُ إِلَى ٱلْبُرْتُقَالَةِ بِصَمْتٍ ... وَكَانَتْ تَلْتَمِعُ فِي عَيْنَيْ أَبِيكَ كُلُّ أَشْجَارِ ٱلْبُرْتُقَالِ ٱلَّتِي تَرَكَهَا لِلْيَهُودِ ... كُلُّ أَشْجَارِ ٱلْبُرْتُقَالِ ٱلنَّظِيفِ ٱلَّتِي ٱشْتَرَاهَا شَجَرَةً شَجَرَةً ، كُلُّهَا كَانَتْ تَرْتَسِمُ فِي وَجْهِهِ ... وَتَرْتَسِمُ لَمَّاعَةً فِي دُمُوعٍ لَمْ يَتَمَالَكْهَا أَمَامَ ضَابِطِ ٱلْمَخْفَرِ (8) .

وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا صَيْدَا [9] فِي ٱلْعَصْرِ ، صِرْنَا لاَجِئِينَ ...

عن غسّان كنفاني

« أرض البرتقال الحزين »

ص ص 73ـــ75

التّعريف بالكاتب :

غسّان كنفاني أديب ورسّام فلسطيني . ولد بمدينة عكّا سنة 1936 . وٱغتاله الصهاينة صباح 8 جويلية 1972 ببيروت . هاجرت أسرته ـــ إثر نكبة فلسطين 1948 ـــ إلى لبنان فسوريا . كان يشتغل ويدرّس في آن فلقد ٱشتغل عاملا في المطابع وموزّعا للصّحف وعاملا في مطعم . ولمّا تحصّل على شهادة ختم الدّروس الثانويّة التحق بجامعة دمشق فتخرّج فيها مجازا في اللغة العربيّة .

له إنتاج غزير متنوّع يشتمل على لوحات فنيّة ومقالات وتحاليل سياسيّة وخواطر أدبيّة ودراسات ومسرحيّات وقصص وروايات .

من مؤلّفاته : رجال في الشّمس (رواية) ـــ عائد إلى حيفا (رواية) ـــ عن الرّجال والبنادق (قصص) ـــ أدب المقاومة في فلسطين (دراسة) .

الشّـرح :

(1) يافا : مدينة تقع غربيّ فلسطين على البحر الأبيض المتوسّط وهي ثغر بيت المقدس . ٱستولى عليها الصّليبيون في القرن الثاني عشر للميلاد ثمّ ٱستعادها العرب.

(2) عكّا : مدينة بشمال فلسطين تقع على خليج بٱسمها وهي مواجهة لمدينة حيفا . فتحها العرب سنة 638م وٱحتلّها الصّليبيون من سنة 1104 إلى سنة 1187. نصّ مشروع تقسيم فلسطين لسنة 1948 على أن تؤول «عكّا» إلى العرب .

(3) وجوم : مصدر ــ وجَم يجِم وُجُومًا : سكت لحزن . والصّفة المشبّهة المتعلّقة بهذا الفعل هي واجم .

(4) مزبدين : اِسم فاعل من أزبد . يقال أزبد الإنسان يُزبِد إذا غضب وظهر علي صَماغيه زبدتان (والصّماغان هما جانبا الفم) ويقال : أزبد البحر إذا هاج موجه وخرجت منه رغوة .

(5) اِنتشلني : اِنتشل الشّيءَ ينتشِله آنتشالا : أخذه في سرعة .

(6) رأس النّاقورة : قرية فلسطينيّة تقع في أقصى الشّمال الغربي من فلسطين على الحدود اللّبنانيّة .

(7) نشيج : مصدر ــ نشَج الباكي ينشِج نَشْجًا ونشيجا : غصّ بالبكاء فحدث عن ذلك صوت في الحلق متردّد .
يقال نشَج القدر ينشِج إذا غَلى ما فيه حتّى يسمع له صوت .

(8) آلْمَخْفِر : اِسم مكان ــ خفَر فلانٌ يخفِره خَفْرًا : أمّنه ووفّر له الحماية والخفير هو من يؤمّنك ويجيرك والكلمة تستعمل في بعض بلاد المشرق لأعوان الأمن والمخفِر هو ما يوافق عندنا في تونس مركز الأمن .

(9) صيدا : ثغر على البحر الأبيض المتوسّط بلبنان تقع على بعد 47 كلم جنوب بيروت . وهي مدينة فينيقيّة قديمة آشتهرت بالملاحة والتّجارة .
فتحها العرب في خلافة عمر بن الخطاب سنة 638م . اِحتلّها الصّليبيون وحرّرها صلاح الدين الأيّوبي سنة 1182م .

الأسئلـة :

1 ــ كيف كان الطّفل ليلة الهجوم ثمّ كيف أصبح آبتداء منها ؟
اِستخرج من النّصّ العبارات المبرّرة لإجابتك .

2 ــ اِستخرج من الفقرة الأولى ثلاثة أحداث تدلّ على السّرعة في الهجرة .

3 ــ بيّن أنّ الرّاوي يصف أحاسيس الجماعة من خلال الحديث عن نفسه في الطريق التي تشقّ حقول البرتقال ؟

4 ــ ما هي المظاهر الدّالة على أنّ البرتقال « شيء حبيب » إلى نفوس الجماعة ؟ وماذا يعني الكاتب « بأرض البرتقال » ؟ أيمكن أن نستنتج أنّ للبرتقال قيمة (...) ؟ (ضع الكلمة المناسبة بعد كلمة قيمة ثمّ أجب عن السّؤال) .

5 ــ « وعندما وصلنا صيدا ، صرنا لاجئين » .
ما هو الحدث الأساسي الأخير الذي جعلهم يتحوّلون إلى لاجئين ؟

72 ــ بَرْقِيَّةٌ مِنَ ٱلسِّجْنِ

مِنْ آخِرِ ٱلسِّجْنِ ، طَارَتْ كَفُّ أَشْعَارِي
تَشُدُّ أَيْدِيكُمْ رِيحًا ... عَلَى نَارِ

أَنَا هُنَا ، وَوَرَاءَ ٱلسُّورِ ، أَشْجَارِي
تُطَوِّعُ (1) ٱلْجَبَلَ ٱلْمَغْرُورَ ... أَشْجَارِي

مُذْ جِئْتُ أَدْفَعُ مَهْرَ (2) ٱلْحَرْفِ ، مَا ٱرْتَفَعَتْ
غَيْرُ ٱلنُّجُومِ عَلَى أَسْلاَكِ أَسْوَارِي

أَقُولُ لِلْمُحْكِمِ (3) الأَصْفَادَ (4) حَوْلَ يَدِي :
هَذِي أَسَاوِرُ (5) أَشْعَارِي وَإِصْرَارِي

فِي حَجْمِ مَجْدِكُمْ نَعْلِي ، وَقَيْدُ يَدِي
فِي طُولِ عُمْرِكُمُ ٱلمَجْدُولِ (6) بِٱلْعَارِ :

أَقُولُ لِلنَّاسِ ، لِلأَحْبَابِ : نَحْنُ هُنَا
أَسْرَى مَحَبَّتِكُمْ فِي ٱلْمَوْكِبِ ٱلسَّارِي (7)

فِي ٱلْيَوْمِ ، أَكْبَرُ عَامًا فِي هَوَى وَطَنِي
فَعَانِقُونِي عِنَاقَ ٱلرِّيحِ لِلنَّارِ

ديوان محمود درويش
دار العودة، بيروت 1984
ص ص 107ــ108

التّعريف بالشّاعر :

محمود درويش شاعر فلسطيني معاصر وُلِد بقرية البروة سنة 1941 . ناضل سنوات داخل الأرض المحتلّة ثمّ غادر فلسطين سنة 1971 والتحق بالثورة فحارب من الخارج كما كان يحارب من الدّاخل وكان سلاحه في نضاله الشّعر بالدّرجة الأولى .

ومحمود درويش عضو اللّجنة التّنفيذيّة لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة ورئيس اتّحاد الكتّاب والصّحفيين الفلسطينيّين ورئيس تحرير مجلّة « الكرمل » وهي مجلّة هذا الاتّحاد .

نشر مجموعات شعريّة عديدة نذكر منها :

أوراق الزّيتون (1964) ــ عاشق من فلسطين (1966) ــ العصافير تموت في الجليل (1970) ــ حبيبتي تنهض من نومها (1970) ــ أحبّك أو لا أحبّك (1972) ــ محاولة رقم ٧ (1974) ــ أعراس ــ حصار لمدائح البحر (1984) ...

الشّــرح :

(1) تطوّع : طَوَّعَ يُطوِّع تطويعا : جعله يلين وينقاد .
يقال : ناقة طَوْعَةُ القياد : ليّنة لا تنازع قائدها .

(2) مَهْرٌ : اِسم جمعه مهور ، والمهْرُ هو ما يدفعه الرّجل إلى المرأة عند كتابة عقد الزّواج .

(3) المحكم : اِسم فاعل من فعل أحكم . أحكم الأمر يُحكِمه إحكاما : أتقنه .

(4) الأصفاد : اِسم مفرده الصَّفْد والصَّفَدُ وهو القيد والوَثاق .
صفَده يصفِده صَفْدًا وصُفُودًا وصَفَّدَهُ : أوثقه وشدّه وقيّده في الحديد وغيره .

(5) مجدول : اِسم مفعول من فعل جدَل ــ جدَل الشّيءَ يجدِله ويجدُله جَدْلاً : أحكم فَتْلَهُ .

(6) السّاري : اِسم فاعل من فعل سرى ــ سَرى يَسْرِي سرًى أي سار ليلا .

الأسئلــة :

1 ــ قارن بين ما جاء في أوّل القصيدة وما جاء في نهايتها . ماذا تستخلص من ذلك ؟

2 ــ في القصيدة فضاءان : فضاء السّجن والفضاء الخارجي . اِستخرج ما يتعلّق بكلّ منهما وبيّن العلاقة بين عناصر الفضاءين ؟

3 ــ اِستخرج من القصيدة الألفاظ المعبّرة عن الارتقاء وبيّن قيمتها في بناء معاني النّصّ ؟

4 ــ تحدّث الشّاعر عن شعره بصُوَرٍ متنوّعة . اِستخرجها وحاول أن تستخلص منها وظيفة الشّاعر كما يراها محمود درويش .

5 ــ بيّن سبب حديث الشّاعر عن نفسه في بداية القصيدة بضمير المتكلّم المفرد وفي نهايتها بضمير المتكلّم الجمع ؟

6 ــ هل أمكن للعدوّ أن يسجن الشّاعر بالفعل ويفصله عن أحبابه ؟ علّل جوابك .

73 ــ أَعْرِفُ لِمَاذَا أَمُوتُ

فِي فَتْرَةِ تَوَقُّفِ ٱلْقِتَالِ جَلَسَ ٱلْفِدَائِيُّونَ جَمِيعًا لِلْعَشَاءِ ... لَمْ تَكُنْ ٱلْمَعْرَكَةُ ٱلأَخِيرَةُ قَدْ بَدَأَتْ بَعْدُ ... كَانَ جَوٌّ مِنَ ٱلتَّوَتُّرِ يُخَيِّمُ عَلَيْهِمْ ... خَرَجَ سَمِيحٌ فَجْأَةً عَنْ صَمْتِهِ قَائِلاً فِي تَرَدُّدٍ كَمَنْ يَتَحَدَّثُ مَعَ نَفْسِهِ :

ــ أَتَكُونُ هَذِهِ لَيْلَتُنَا ٱلأَخِيرَةَ ؟

كَأَنَّمَا ذَكَّرَهُمْ بِشَيءٍ قَدْ نَسُوهُ ... تَوَقَّفُوا عَنْ تَنَاوُلِ ٱلطَّعَامِ وَحَمْلَقُوا فِيهِ بِدَهْشَةٍ ... نَهَضَ ٱلْقَائِدُ فِي صَمْتٍ دُونَ أَنْ يُعَلِّقَ بِشَيْءٍ وَأَخَذَ يَتَجَوَّلُ فِي جَوَانِبِ ٱلْمَوْقِعِ ... يَتَفَقَّدُ تَحْصِينَاتِهِ [1] وَيُهَيِّءُ وَسَائِلَ ٱلدِّفَاعِ ٱسْتِعْدَادًا لِلْمَعْرَكَةِ بَيْنَمَا كَانَ ٱلثَّلاَثَةُ ٱلآخَرُونَ يَنْظُرُونَ إِلَى بَعْضِهِمْ فِي صَمْتٍ ... وَنَظَرَاتُ لَوْمٍ تَتَّجِهُ نَحْوَ سَمِيحٍ .

أَخَذَ حَسَنٌ يَمْسَحُ بِيَدِهِ عَلَى شَارِبِهِ ٱلْكَثِّ [2] ثُمَّ يَمْسَحُ صَفْحَةَ يَدَيْهِ بِجَوَانِبِهِ وَيَنْظُرُ إِلَى سَمِيحٍ نَظْرَةً صَارِمَةً [3] ... ثُمَّ قَالَ بِلَهْجَةٍ بَارِدَةٍ كَالثَّلْجِ :

ــ هل تَشْعُرُ بِخَوْفٍ ؟

قَالَ سَمِيحٌ مُسْتَنْكِرًا وَقَدْ أَحَسَّ بِٱلذَّنْبِ :

ــ أَنَا ؟ لاَ ... هَلْ تَظُنُّ أَنَّنِي خَائِفٌ بِسَبَبِ مَا قُلْتُ ؟ إِذَا كُنْتُ أَنْتَظِرُ ٱلْمَوْتَ فَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّنِي أَخَافُهُ ، نَعَمْ أَخَافُ ٱلْمَوْتَ بِٱسْتِمْرَارٍ فِي ٱلْمُخَيَّمِ ... أَنْتَ تَعْرِفُ ... تَأْتِي ٱلطَّائِرَاتُ فَتُفْرِغُ حُمُولَتَهَا فَوْقَ ٱلْمُخَيَّمِ وَتَذْهَبُ ، وَيَنْتَشِرُ ٱلْفَزَعُ وَٱلْمَوْتُ ... كُنْتُ دَائِمًا أَخْشَى أَنْ يُفَاجِئَنِي ٱلْمَوْتُ دُونَ أَنْ أَكُونَ مُسْتَعِدًّا لَهُ ... أَنْ أَمُوتَ بِلاَ مَعْنًى ... ٱلآنَ أُوَاجِهُ

ٱلْمَوْتَ بِخَوْفٍ أَقَلَّ ، لأَنَّنِي أَعْرِفُ لِمَاذَا أَمُوتُ ...

قَالَ حَسَنٌ بِلَهْجَةٍ تَبْعَثُ ٱلثِّقَةَ بِٱلنَّفْسِ :

ــ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ لاَ يَخَافُ ٱلْمَوْتَ ... وَلَكِنَّ هَذَا لاَ يَمْنَعُكَ مِنْ مُوَاجَهَتِهِ عِنْدَمَا تَكُونُ عَلَى حَقٍّ ... هَلْ تَدْرِي ؟ أَنَا هُنَا مُنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ... وَمَاذَا تَعَلَّمْتُ ... كُنْتُ أُحِسُّ بِٱلْخَوْفِ أَكْثَرَ قَبْلَ أَنْ أَجِيءَ إِلَى هُنَا ... الآنَ تَغَيَّرَ إِحْسَاسِي ... عَرَفْتُ أَنَّ ٱلْخَوْفَ لاَ يَأْتِي مِنَ ٱلْخَارِجِ . ٱلْخَوْفُ يَعِيشُ فِي دَاخِلِنَا ... عِنْدَمَا ٱنْتَقَلْتُ مِنْ هُنَاكَ زَالَ خَوْفِي ... أَنْتَ هُنَاكَ تُوَاجِهُ ٱلْمَوْتَ بِٱسْتِسْلاَمٍ فَتَظَلُّ تَعِيشُ فِي خَوْفٍ دَائِمٍ عَلَى نَفْسِكَ ، عَلَى مَصِيرِكَ عَلَى أَبْنَائِكَ وَعَائِلَتِكَ ... أَنْتَ هُنَاكَ فِي ٱلْمُخَيَّمِ تَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَكِنْ هُنَا ، إِذَا كَانَ لَكَ نَصِيبٌ أَنْ تَمُوتَ ، فَسَوْفَ تَمُوتُ مَرَّةً وَاحِدَةً لأَنَّكَ عِنْدَمَا تُوَاجِهُ ٱلْمَوْتَ تَتَخَلَّصُ مِنْ خَوْفِكَ ... إِذَنْ لَمْ يَعُدِ ٱلْمَوْتُ يَسْتَدْعِي كُلَّ هَذَا ٱلْخَوْفِ لأَنَّكَ تَعِيشُ مَعَهُ بِٱسْتِمْرَارٍ ، تَقِفُ مُتَحَدِّيًا لَهُ وَهُوَ يَعِيشُ مَعَكَ جُزْءًا مِنْ حَيَاتِكَ ... قَدْ أَكُونُ مُبَالِغًا إِذَا قُلْتُ لَكَ إِنَّهُ فِي لَحْظَةٍ مَا يُصْبِحُ لِلْمَوْتِ مَعْنًى أَكْبَرُ مِنَ ٱلْحَيَاةِ ، وَعِنْدَهَا سَوْفَ تَسْتَطِيبُ ٱلْمَوْتَ ... لاَ بُدَّ أَنْ يُخَالِجَكَ مِثْلُ هَذَا ٱلشُّعُورِ ... صَدِّقْنِي !

عَادَ ٱلْقَائِدُ مِنْ جَوْلَتِهِ مُتَجَهِّمًا ، وَقَفَ بِقُرْبِهِم وَقَالَ بِلَهْجَةٍ مُفَاجِئَةٍ وَلَكِنَّهَا حَازِمَةً :

ــ ٱسْتَمِعُوا إِلَيَّ ... أَنَا لَنْ أُجْبِرَكُمْ عَلَى خَوْضِ ٱلْمَعْرَكَةِ ٱلأَخِيرَةِ ... مَنْ كَانَ لَدَيْهِ تَفْكِيرٌ فِي ٱلْهَرَبِ أَوِ ٱلاسْتِسْلاَمِ فَلْيَقُلْ ... ٱلآنَ لاَ نَمْلِكُ سِوَى سِلاَحِنَا وَإِرَادَتِنَا ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لاَ يُرِيدُ ٱلْمَوْتَ فَلْيَقُلْ .

وَقَطَعَ كَلاَمَ ٱلْقَائِدِ صَوْتُ ٱنْفِجَارِ قَذِيفَةٍ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ فَقَالَ مُسْرِعًا :

ــ هَيَّا لِيَتَّخِذْ كُلٌّ مِنْكُمْ مَوْقِعَهُ ...

بَدَأَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ ٱلأَخِيرَةُ ، وَٱسْتَمَرَّتْ طُولَ ٱللَّيْلِ ...

فِي ٱلْخَامِسَةِ صَبَاحًا دَخَلَتْ قُوَّةٌ عَسْكَرِيَّةٌ إِلَى ٱلْمَوْقِعِ ، كَانَتْ هُنَاكَ أَرْبَعُ جُثَثٍ تَتَنَاثَرُ فِي ٱلْمَوْقِعِ . صَوَّبَ ٱلْجُنُودُ أَسْلِحَتَهُمْ نَحْوَ ٱلْجُثَثِ وَهُمْ يَقْتَرِبُونَ بِوَجَلٍ (4) وَتَهَيُّبٍ (5) كَأَنَّمَا يَخْشَوْنَ أَنْ تُبْعَثَ فِيهَا ٱلْحَيَاةُ مِنْ جَدِيدٍ . طَفِقُوا (6) يَبْحَثُونَ فِي ٱلْمَوْقِعِ عَنْ جُثَثٍ أُخْرَى فَلَمْ يَجِدُوا . أَخَذُوا يَنْظُرُونَ إِلَى بَعْضِهِمْ فِي دَهْشَةٍ . تَسَاءَلَ ٱلْكُولُونِيل :

ــ أَيْنَ ٱلْبَاقُونَ ؟

ــ لَمْ نَجِدْ سِوَى هَؤُلاَءِ .

عَادَ يَقُولُ بِصَوْتٍ آخَرَ وَهْوَ يَهُزُّ رَأْسَهُ هَزَّاتٍ مُتَتَابِعَةً :

ــ مُسْتَحِيلٌ . لاَ أُصَدِّقُ . فَتِّشُوا جَيِّدًا .

وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُمْ يُفَتِّشُونَ فِي غَيْرِ طَائِلٍ . ٱلْتَفَتَ إِلَى مُسَاعِدِهِ وَقَالَ :

ــ إِنَّ إِرَادَةَ ٱلْمَوْتِ عِنْدَ هَؤُلاَءِ مِنْ إِرَادَةِ ٱلْحَيَاةِ ...

ثُمَّ أَضَافَ بَيْنَمَا كَانَ ٱلْجُنُودُ يَتَفَحَّصُونَ ٱلْجُثَثَ وَيَجْمَعُونَ أَسْلِحَتَهَا :

ــ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْمُدَ هَكَذَا إِلاَّ إِنْسَانٌ يَعْرِفُ لِمَاذَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ ...

جمال بنّورة

الموت الفلسطيني ، ص ص 36ــ41
دار الكرمل للنّشر والتّوزيع
الطّبعة الأولى ، عمّان 1986

التّعريف بالكاتب :

جمال بنّورة قصّاص فلسطيني معاصر يعيش في الأراضي المحتلّة .

الشّـرح :

(1) تحصينات : إسم مفرده تحصين وهو كلّ ما يُجعل للحماية والدّفاع .
تحصّن الإنسان أي دخل الحِصْن واحتمى به والحِصْن ــ في الأصل ــ هو كلّ موضع يصعب الوصول إلى داخله .

(2) كثّ : صفة مشبّهة . كثّت اللّحيةُ تكَثّ كثاثة فهي كثّة وكثّاء : كثر شعرها وقصُرت وجعُدت (أي لم يكن شعرها منبسطا) .

(3) صارمة : صفة مشبّهة . صرَم الشّيءَ : قطعه .
نظرة صارمة : حادّة ثابتة .

(4) وجل : مصدر ــ وجِل يوجَل وجَلا : خاف وفزع .

(5) تهيّب : مصدر ــ ومعناه الحذر والخوف .

(6) طفقوا : فعل من أفعال الشّروع بمعنى أخذ .

الأسئلـة :

1 ــ لماذا ساد الصّمتُ الجماعة وتوقّفوا عن الطّعام ؟ ألكونهم يستنكرون كلام « سميح » أم لأنّهم يوافقونه ؟ برّر إجابتك بعبارات تستمدّها من النّصّ .

2 ــ بيّن دور سؤال « سميح » في نشأة النّصّ ؟

3 ــ لماذا كان « سميح » يخاف الموت ؟ ولماذا صار لا يخافه ؟

4 ــ عبّر « حسن » عند إجابته لسميح عن شعور وموقف . ما هما ؟ أيّهما الأهمّ عنده ؟ علّل إجابتك بعناصر تستمدّها من النّصّ .

5 ــ كيف تغيّر موقف « حسن » من الموت ؟ وماذا أصبح الموت يمثّل بالنّسبة إليه ؟

6 ــ ما هي المعاني التي تستخلصها من الفقرة الأخيرة في النّصّ ؟

74 ــ أَطْفَالُ غَزَّةَ ! [1]

(1)

مِنْ غَزَّةَ الآنَ ، قَبْلَ ٱلآنَ قَدْ وَثَبُوا
أَمَا سَمِعْتُمْ بِهِمْ يَا أَيُّهَا الْعَرَبُ
أَطْفَالٌ فِي عُمُرِ ٱلأَزْهَارِ ، مَا عَرَفُوا
لَهْوَ ٱلصِّغَارِ ، وَلاَ أَغْرَاهُمُ ٱللَّعِبُ
مِنَ ٱلْخِيَامِ ٱلَّتِي فِي ٱلرِّيحِ نَازِفَةٌ [2]
جِرَاحُهَا ، طَلَعَ الأَطْفَالُ وَٱنْتَصَبُوا

(2)

يُوَاجِهُونَ رَصَاصَ ٱلْغَاصِبِينَ [3] فَمَا
لَدَيْهِمُو مِنْ سِلاَحٍ غَيْرَ مَا ٱحْتَسَبُوا
فَبِالْحِجَارَةِ رَجْمًا ، وَالْعِصِيِّ قَنًا [4]
يُقَاتِلُونَ وَمَا ٱرْتَدُّوا ، وَلاَ هَرَبُوا

(3)

أَطْفَالُ غَزَّةَ نَبْتُ ٱلثَّأْرِ مَا غَفَلَتْ
عَيْنٌ لَهُمْ ، أَوْ خَبَا [5] فِي نَبْضِهِم أَرَبُ [6]
عُيُونُهُمْ وَهْيَ فِي ٱلأَنْحَاءِ جَائِلَة
مَاذَا تَرَى غَيْرَ مَنْ جَارُوا وَمَنْ سَلَبُوا

(4)

أَطْفَالُ غَزَّةَ ، يَدْرِي ٱلْمُعْتَدِي أَبَدًا
مَاذَا لَدَيهِمْ ، وَمَا فِي ٱلصَّدْرِ يَصْطَخِبُ
يُقَاتِلُونَ فَمَا كَلَّتْ [7] سَوَاعِدُهُمْ
يَوْمًا ، وَلاَ دَبَّ فِيهَا ٱلْيَأْسُ وَٱلتَّعَبُ

(5)

تُسَائِلُ ٱلأُمُّ : أَيْنَ ٱلْعَزْمُ يَا وَلَدِي
وَأَيْنَ تَمْضِي ، وَهَذَا ٱلْهَوْلُ يَلْتَهِبُ
يَقُولُ : أَيْنَ أَبِي يَا أُمُّ ، أَيْنَ أَخِي
وَأَيْنَ أَهْلِي ، وَأَحْبَابِي تُرَى ذَهَبُوا
مَضَوْا عَلَى ٱلدَّرْبِ لِلتَّحْرِيرِ غَايَتُهُمْ
وَٱسْتُشْهِدُوا ، وَأَنَا لِلأَهْلِ أَنْتَسِبُ
فَإِنْ تَخَاذَلَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
عَنِ ٱلطَّرِيقِ ، فَإِنِّي ٱلْيَوْمَ أَقْتَرِبُ
قَدْ لاَ أَرَاكِ مَسَاءَ ٱلْيَوْمِ ذَا قَدَرِي
فَكَيْفَ عَنْ قَدَرِي يَا أُمُّ أَحْتَجِبُ

(6)

مِنْ « خَانِيُونُسَ » [8] نَأْتِيهِمْ وَمِنْ « رَفَحٍ » [9]
مِنَ « ٱلْبُرَيْجِ » [10] يَسِيلُ ٱلدَّمُ يَنْسَكِبُ
يُطَهِّرُ ٱلأَرْضَ مِنْ رِجْسٍ يُدَنِّسُهَا
فَيَنْبُتُ ٱلزَّهْرُ ، وَٱلْحُنُّونُ وَٱلْعُشُبُ

وَتُشْرِقُ ٱلشَّمْسُ يَا أُمَّاهُ بَاسِمَةً
وَتَخْتَفِي هَذِهِ ٱلْغِرْبَانُ تَنْسَحِبُ

هَارون هاشم رشيد

يوميّات الصّمود والحزن، ط. 1، 1983، ص ص 83ــ85

التّعريف بالشّاعر :

هارون هاشم رشيد : شاعر فلسطيني معاصر وُلد بغزّة سنة 1927 . اشتغل مدرّسا وصحافيا وهو يشتغل حاليا بالجامعة العربية . وإنّ شعره سجلّ لكفاح الشّعب الفلسطيني .

ولقد نشر المجموعات الشّعريّة التّالية :

عودة الغرباء ــ حتّى يعود شعبنا ــ سفينة الغضب ــ غزّة في خطّ النّار .

الشّــرح :

(1) غزّة : مدينة فلسطينية تقع غربيّ فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسّط. فتحها العرب سنة 634م واستولى عليها الكيان الصّهيوني إثر حرب 1967 .

(2) نازفة : صفة مشبّهة ــ نزَف الدّم ينزِف نزْفا أي خرج منه كثير .

(3) الغاصبين : مفرده الغاصب اِسم فاعل ــ غصَب الشّيء يغصِبُه غصْبا ، أخذه ظلما .

(4) قنًا : اِسم جنس جمعي (واِسم الجنس الجمعي هو ما يفرّق بينه وبين مفرده بزيادة تاء. أمثلة : بقر/بقرة ــ شجر/شجرة) والقناة هي الرّمح .

(5) خبا : خبا اللّهبُ يخبو خُبُوًّا : خمد .

(6) أرب : حاجة ــ أرِب إلى الشّيء يأرَب أرَبا : اِحتاج .

(7) كلّت : كَلَّت تَكِلُّ كَلاَلَةً : تعبت وأعيت .

(8) خانيونس : مدينة فلسطينية بقطاع غزّة تقع على بعد 20 كلم من الحدود المصريّة . لجأ إليها عدد كبير من سكّان المدن الفلسطينيّة التي احتلّها الصهاينة سنة 1948 . وقد احتلّها الصّهاينة سنة 1967 .

(9) رفح : مدينة فلسطينية بقطاع غزّة . احتلّها الصّهاينة سنة 1967 .

(10) البريج : قرية فلسطينية تقع في الجنوب الغربي من مدينة القدس .

الأسئلـة :

1 ــ ما هي ملامح الطّفل الفلسطيني كما تبدو في المقطع الأوّل من القصيدة ؟

2 ــ ما هي الخصال التي يتّصف بها الطفل الفلسطيني في مقاومته للغاصبين ؟

3 ــ ما هو شعور الغاصب إزاء أطفال غزّة ؟ دعّم رأيك بما جاء في القصيدة .

4 ــ حلّل الفرق بين موقف الأمّ وموقف الطّفل في المقطع الخامس .

5 ــ هل ترى الطّفل في المقطع الخامس مستسلما للقدر أم مختارا له ؟ دعّم جوابك بأدلّة من القصيدة .

6 ــ تنتهي القصيدة بمجموعة من الصّور تعبّر عن موقف . عيّن هذه الصّور وبيّن الموقف .

– 2 –

مُقاومـة التّخلّـف

75 ــ مِنَ ٱلْفُرُوعِ إِلَى ٱلْجُذُورِ

نَحْنُ يَا أَخِي بَيْنَ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ نَخْرُجَ مِنَ ٱلتَّخَلُّفِ بِصُورَةٍ آلِيَّةٍ سَطْحِيَّةٍ فَنَقْتَبِسَ (1) عَنِ ٱلْغَيْرِ ... عَنِ ٱلشُّعُوبِ ٱلْمُتَقَدِّمَةِ جُمْلَةً مِنَ ٱلْفُنُونِ وَٱلصِّنَاعَاتِ وَٱلْمَرَافِقِ ٱلْمَادِّيَّةِ لِنَسْتَطِيعَ بِوَاسِطَتِهَا أَنْ نَتَغَلَّبَ عَلَى ٱلأَوْضَاعِ ٱلَّتِي نُسَمِّيهَا عَادَةً بَالِيَةً (2) فَاسِدَةً وَقَدِيمَةً وَرِجْعِيَّةً (3) وَنُطَوِّرَ تِلْكَ ٱلأَوْضَاعَ شَيْئًا فَشَيْئًا فَنُصَنِّعَ ٱلْبِلاَدَ وَنُشَغِّلَ ٱلْعَاطِلِينَ وَنُشَيِّدَ آلاَفَ ٱلْبِنَايَاتِ لِيَزْدَهِرَ ٱلْعُمْرَانُ ... وَلَكِنَّ جُهُودَنَا تَبْقَى سَطْحِيَّةً إِذَا ٱقْتَصَرْنَا عَلَى مُحَارَبَةِ ٱلتَّخَلُّفِ ٱلاجْتِمَاعِيِّ وَٱلاقْتِصَادِيِّ وَأَهْمَلْنَا مُقَاوَمَةَ أَصْلِ ذَلِكَ ٱلتَّخَلُّفِ فَتَجَاوَزْنَا فُرُوعَ ٱلْعِلَّةِ إِلَى جُذُورِهَا وَحَاوَلْنَا ٱسْتِئْصَالَهَا (4) ... فَإِمَّا أَنْ نَكُونَ هَكَذَا مُقَلِّدِينَ سَلْبِيِّينَ وَإِمَّا أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ عِلَّةَ ٱلتَّخَلُّفِ كَامِنَةٌ فِي غَيْرِ هَذَا ، عِلَّةُ ٱلتَّخَلُّفِ يَا أَخِي فِي ٱلْفِكْرِ ... وَعَلَيْنَا نَحْنُ أَنْ نُعِيدَ لِلْفِكْرِ وَظِيفَتَهُ ٱلأَسَاسِيَّةَ وَأَنْ نَزْرَعَ فِيهِ ٱلْقُدْرَةَ عَلَى ٱلابْتِكَارِ ... عَلَى ٱلْخَلْقِ ... وَلاَ يَكُونُ ذَلِكَ إِلاَّ إِذَا ٱعْتَبَرْنَا أَنَّ لِكُلِّ مُثَقَّفٍ رِسَالَةً ، وَأَنَّ رِسَالَتَهُ لَيْسَتْ فِي ٱنْطِوَائِهِ (5) عَلَى فَنِّهِ وَفِكْرِهِ وَأَدَبِهِ بَلْ فِي ٱتِّصَالِهِ بِٱلْجُمْهُورِ وَفِي ٱلتَّفَاعُلِ (5) مَعَهُ وَٱلْمُسَاهَمَةِ فِي خَلْقِ حَضَارَةٍ جَدِيدَةٍ يُمْكِنُهَا أَنْ تُسَاهِمَ بِدَوْرِهَا فِي تَنْمِيَةِ ٱلتُّرَاثِ ٱلإِنْسَانِيِّ ... وَهَذَا بِٱلضَّبْطِ مَا نَفْهَمُهُ مِنَ ٱلإِلْتِزَامِ (6) وَلاَ يَحُدُّ هَذَا ٱلْمَفْهُومُ مِنْ حُرِّيَّةِ ٱلْمُثَقَّفِ ... مِنْ حُرِّيَّتِكَ بِوَصْفِكَ فَنَّانًا ... وَلاَ يَفْرِضُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْقُيُودِ غَيْرَ ٱلَّتِي تَفْرِضُهَا أَنْتَ عَلَى نَفْسِكَ لأَنَّهَا فِي صَمِيمِ ٱلرِّسَالَةِ ٱلَّتِي تُؤْمِنُ بِهَا وَتَعْمَلُ عَلَى تَحَمُّلِ أَعْبَائِهَا (7) .

مصطفى الفارسي

المنعرج

طبعة الدّار التونسيّة للنّشر، 1972

ص 25

التّعريف بالكاتب :

مصطفى الفارسي أديب تونسي معاصر ولد بصفاقس سنة 1931 .

تحصّل على الإجازة في الأدب العربي من جامعة باريس واشتغل في قطاعي الإعلام والثّقافة . كتب روايات ومسرحيات .

من مؤلّفاته : « المنعرج » ــ « القنطرة هي الحياة » ــ « سرقت القمر » ــ « الطّوفان » ــ « حركات » .

الشّــرح :

(1) اِقْتَبَسَ : يقتبِسُ اقتباسا ، الشّيء أخذه من قِبسِه أي أصله من قبس النارَ يقبِسُ قَبْسًا أوقدها أو طلبها . ومنه الاقتباسُ وهو أنْ يستفيد المرء من غيره عِلمًا أو رأيا .

(2) بَالِيَةٌ : صفة مشبّهة على وزن اسم الفاعل من بَلِيَ الثوب يبْلَى بِلًى رَثّ وقَدُم .

(3) رَجْعِيَّةٌ : كلمة مُحدَثَة تعني البقاء على القديم في الأفكار والعادات دون مسايرة التطوّر .

(4) اِسْتِئْصَالٌ : مصدر استأْصل الشّيءَ انتزعه من أصله .

(5) اِنطواء : مصدر انطوى على نفسه انفرد بها وانزوى .

(6) الالْتِزَامُ : مصدر التزم والالتزام هو أن يَقِفَ المرء من قضايا عصره موقفا ينتصر له ويدافع عنه .

(7) الأَعْبَاءُ : جمعٌ مفردُه عِبْءٌ ، الحِمْل والثِّقْل من أيّ شيء كان .

الأسئلــة :

1 ــ ما هي الجوانب التي اقتبسها مجتمعنا من الشّعوب المتقدّمة حسب ما جاء في النّصّ ؟

2 ــ ما هي مقاصد مجتمعنا من الاقتباس حسب ما جاء في النّصّ ؟

3 ــ في النصّ مقابلة بين السّطح والعمق . أبرزها .

4 ــ ما هي جذور التخلّف العميقة حسب الكاتب ؟

5 ــ ما هي القدرات التي يريد الكاتب أن يذكيها ؟ وما قيمة ذلك في الخروج من التخلّف حسب رأيك ؟

6 ــ لِم تحدّث الكاتب في الفقرة الأخيرة من النّصّ عن المثقّفين دون غيرهم ؟ وإلام دعاهم ؟

76 ــ عُمُرُ ٱلشَّجَرَةِ

قَالَتِ ٱلْعَصَا :

ــ نَسْمَعُ فِي بِلاَدِنَا مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ بَعْضَ ٱلْمُنْتَقِدِينَ يَحْمِلُونَ عَلَى نِظَامِنَا ٱلإِجْتِمَاعِيِّ وَنَشَاطِنَا ٱلْعِلْمِيِّ وَٱلأَدَبِيِّ وَٱلْفَنِّيِّ بِقَوْلِهِمْ : « ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلْمُجْتَمَعِ فِي أُورُوبَّا تَجِدُوا ٱلرُّقِيَّ وَٱلتَّقَدُّمَ . أَمَّا هُنَا فَإِنَّكُمْ تَجِدُونَ ٱلْجَهْلَ وَٱلتَّخَلُّفَ ، ٱنْظُرُوا إِلَى عُلَمَائِهِمْ وَأُدَبَائِهِمْ وَفَنَّانِيهِمْ تَجِدُوا ٱلْمَحْصُولَ ٱلْوَافِرَ، وَٱلإِنْتَاجَ ٱلنَّاضِجَ ، أَمَّا عِنْدَنَا فَإِنَّكُمْ تَجِدُونَ ٱلأَثَرَ ٱلْهَزِيلَ وَٱلثَّمَرَ ٱلضَّئِيلَ ... » . هَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّنَا مِنْ طِينَةٍ أُخْرَى غَيْرِ طِينَةِ ٱلأُورُوبِيِّينَ وَأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ لَهُمُ ٱلْفَوْزُ وَكُتِبَ عَلَيْنَا ٱلْعَجْزُ ؟!

قُلْتُ :

ــ شَأْنُ هَذَا ٱلطِّرَازِ [1] مِنَ ٱلْمُنْتَقِدِينَ شَأْنُ مَنْ يَمُرُّ بِشَجَرَةِ تُفَّاحٍ عُمُرُهَا عَشْرَةُ أَعْوَامٍ قَدْ تَمَكَّنَتْ جُذُورُهَا مِنَ ٱلأَرْضِ ، فَكَثُرَ إِنْتَاجُهَا وَنَضُجَ ثَمَرُهَا فَيُعْجَبُ بِمَنْظَرِهَا ، ثُمَّ يُبْصِرُ إِلَى جِوَارِهَا شَجَرَةَ تُفَّاحٍ أُخْرَى عُمُرُهَا عَامَانِ فَقَطْ ، لَمْ تَمْتَدَّ بَعْدُ جُذُورُهَا فِي ٱلأَرْضِ ، فَهَزُلَ مَحْصُولُهَا وَضَؤُلَ ثَمَرُهَا ... فَيَقِفُ مِنْهَا مَوْقِفَ ٱلسَّائِلِ قَائِلاً : « ٱنْظُرُوا ... أَيْنَ هَـذِهِ مِنْ تِلْكَ ؟ ... » . إِلَى أَنْ يَمُرَّ بِهِ مَنْ يَسْخَرُ بِحُكْمِهِ ٱلسَّاذَجِ لاَفِتًا نَظَرَهُ إِلَى أَهَمِّيَةِ ٱلْعُمُرِ وَٱلسِّنِّ وَٱلزَّمَنِ ... قَائِلاً لَهُ : « أَعْطِ هَذِهِ مِنَ ٱلْوَقْتِ مَا أُعْطِي لِتِلْكَ ثُمَّ ٱحْكُمْ ! ... » .

قَبْلَ أَنْ نَحْكُمَ عَلَى مُجْتَمَعِنَا ٱلْحَدِيثِ يَجِبُ أَنْ نَسْأَلَ عَنْ عُمُرِ دَعَائِمِهِ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى أَعْمَارِ ذَلِكَ فِي نَظَائِرِهِ [2] ... وَقَبْلَ أَنْ نَعِيبَ عِلْمَنَا أَوْ أَدَبَنَا

أَوْ فَنَّنَا ٱلْحَدِيثَ يَجِبُ أَنْ نَبْحَثَ مُتَعَمِّقِينَ مَتَى وُضِعَتْ بِٱلضَّبْطِ أُسُسُهُ ٱلْجَدِيدَةُ ؟ وَمَتَى بَدَأَتْ أُسُسُ ٱلنَّهْضَاتِ لِلْعُلُومِ وَٱلآدَابِ وَٱلْفُنُونِ فِي أُمَمِ أُورُوبَّا ؟! ...

قَالَتِ ٱلْعَصَا :

ــ لاَ يَظْهَرُ ٱلْحُكْمُ ٱلْمُتَّزِنُ إِلاَّ عِنْدَمَا تَظْهَرُ تَبَاشِيرُ (3) ٱلنُّضْجِ ! ...

توفيق الحكيم

عصا الحكيم، ص 107ــ108

دار الهلال، مصر، نوفمبر 1973

التّعريف بالكاتب :

آنظر نصّ « ما العمل ؟ » الجزء الأوّل ، ص 53 .

الشّــرح :

(1) ٱلطِّرَازُ : اِسم ، النّمط والشّكل جمعه طُرُزٌ وأَطْرِزَةٌ .

(2) نَظَائِرُهُ : جمع نظير ، صفة مشبّهة ، وهو ٱلمِثْلُ .

(3) تَبَاشِيرُ : اسم يستعمل في صيغة الجمع ، تباشيرُ كلّ شيء أوائلُه كتباشير الصّبح .

الأسئلــة :

1 ــ هل يُنكر الكاتب القولَ بتقدّم الغرب وتأخُّر الشّرق ؟ كيف ذلك ؟

2 ــ ما الذي يأخذه الكاتب على المنتقدين لتخلُّف الشّرق ؟

3 ــ هل وُفّق الكاتب في آستعارة صورة الشجرة للمقارنة بين الشّرق والغرب ؟ علّل جوابك .

4 ــ لماذا جعل الكاتب للزّمن أهميّةً كبرى في الخروج من التّخلّف ؟

77 ــ مَا أَشْبَهَ ٱلْعَمَلَ بِٱلصَّلاَةِ

مَا أَشْبَهَ ٱلْعَمَلَ بِٱلصَّلاَةِ ...

فَمَا ٱلصَّلاَةُ إِلاَّ تَأَمُّلٌ فِي صَمِيمِ ٱلْوُجُودِ ، وَتَرَفُّعٌ عَنْ تَوَافِهِ ٱلدُّنْيَا وَصَغَائِرِ ٱلْعَيْشِ . وَمَا ٱلْعَمَلُ إِلاَّ ٱسْتِغْرَاقٌ فِي أَعْمَاقِ ٱلْحَقَائِقِ ، وَعُزُوفٌ [1] عَنِ ٱلتَّفَاهَةِ وَٱلْفَرَاغِ ...

بِٱلصَّلاَةِ تَتَخَلَّصُ ٱلنَّفْسُ مِنْ شَوَائِبِهَا [2] ، فَتَتَسَامَى إِلَى آفَاقٍ عُلْوِيَّةٍ صَافِيَةٍ ، وَبِالْعَمَلِ تَتَجَرَّدُ ٱلنَّفْسُ لِلأَهْدَافِ ٱلْمَرْسُومَةِ ، وَتَتَحَرَّرُ مِنْ تِلْكَ ٱلنَّوَازِعِ [3] وَٱلنَّزَوَاتِ [4] ٱلَّتِي تَجُرُّ إِلَى ٱلشُّرُورِ وَٱلآثَامِ ...

إِذَا كَانَتِ ٱلصَّلاَةُ مَظْهَرَ ٱلطَّاعَةِ لِلَّهِ ، بِهَا يَسْتَمِدُّ الإِنْسَانُ عَلَى ظَهْرِ ٱلأَرْضِ قَبَسًا مِنْ نُورِ ٱلسَّمَاءِ ، فَٱلْعَمَلُ هُوَ جَوْهَرُ ٱلطَّاعَةِ وَٱلتَّعَبُّدِ وَٱلاِنْدِمَاجِ بَيْنَ ٱلْخَالِقِ وَٱلْمَخْلُوقِ ...

مَتَى أَخَذَ ٱلإِنْسَانُ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ عَمَلٍ ، فَهُوَ يُؤَدِّي ٱلْجَانِبَ ٱلَّذِي فَرَضَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ رِسَالَتِهِ إِلَى سَائِرِ ٱلنَّاسِ ، رِسَالَةِ ٱلْعَمَلِ ، رِسَالَةِ ٱلْعُمْرَانِ عَلَى ٱخْتِلاَفِ مَدْلُولاَتِهِ وَمَعَانِيهِ .

أَنَا فِي إِقْبَالِي عَلَى عَمَلِي ٱلَّذِي أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ أُحِسُّ بِأَنِّي أُصَلِّي لِلَّهِ ، وَأُؤَدِّي مَا كَتَبَهُ عَلَيَّ ، وَكَأَنَّ يَدَ ٱللَّهِ تَدْفَعُ بِي ، وَتُبَارِكُ جُهْدِي ، وَتَحُفُّنِي [5] بِٱلرِّعَايَةِ وَٱلرِّضْوَانِ ...

وَأُصَارِحُ بِأَنِّي فِي بَعْضِ ٱلأَحْيَانِ قَدْ أَضِيقُ بِعَمَلِي ، وَأَحْسَبُنِي مِنْهُ فِي ضِيقٍ [6] ، وَأَكَادُ أَهُمُّ بِأَنْ أَثُورَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا أَجِدُنِي قَدْ

سَكَنَتْ ثَوْرَتِي ، وَذَهَبَ عَنِّي ٱلضِّيقُ ، وَٱحْتَمَلْتُ لِلْعَمَلِ مَا يُجَشِّمُنِي مِنْ جُهْدٍ ، وَأَهِمُّ بِأَنْ أَنْحَنِيَ عَلَى أَوْرَاقِي أَسْتَغْفِرُهَا مِمَّا أَبْدَيْتُ لَهَا مِنْ غَضَاضَةٍ (7) وَإِعْرَاضٍ ، إِذْ يَتَمَثَّلُ لِي عَدُوِّي ٱلأَوَّلُ ٱلَّذِي هَزَمْتُهُ فِي مَرَاحِلِ حَيَاتِي ٱلسَّالِفَةِ ، ذَلِكَ ٱلشَّبَحُ ٱلْمَرْهُوبُ ، شَبَحُ ٱلْفَرَاغِ ، شَبَحُ ٱلإِقْفَارِ مِنَ ٱلأَهْدَافِ، شَبَحُ ٱلْجَدْبِ ٱلَّذِي يَطْبَعُ ٱلْحَيَاةَ بِطَابَعِ ٱلتَّفَاهَةِ وَٱلْعُقْمِ . فَأَرَانِي قَدْ هَشَشْتُ لِعَمَلِي وَمِلْتُ إِلَيْهِ ، وَٱرْتَضَيْتُهُ ظَهِيرًا (8) لِي فِي ٱلظَّفَرِ بِمَعْنَى ٱلْحَيَاةِ وَجَوْهَرِ ٱلْعَيْشِ ، فَأَجْلِسُ إِلَى مَكْتَبِي ، آخِذًا بِقَلَمِي ، مُنْكَبًّا عَلَى أَوْرَاقِي ، أَسْتَمْرِئُ (9) نَشْوَةَ ٱلانْتِصَارِ ...

محمود تيمور

الإنسان النّبّي

ص 103ـــ104ـــ105

التّعريف بالكاتب :

محمود تيمور : آنظر نصّ « الفنّ ها هو ؟ » .

الشّـرح :

(1) عُزُوفٌ : مصدر عَزَف عن الشّيء يعزِفُ : إنصرف عنه وزهد فيه ، فهو عَزُوف ، وهي صفة تستعمل للمذكّر والمؤنّث .

(2) شَوَائِبُها : مفرد شائبة : اسم فاعل من شاب ، يَشُوب شَوْبا : الشّيءَ خلطه ومزجه ، وسمّيت الشوائب كذلك لأنّها العيوب والأدناس التي تمتزج بها النّفس البشريّة ...

(3) النّوازع : مفردها النّازعة : اسم فاعل من نزع إلى الشّيء ينزِعُ نزوعا : مال إليه وآشتاق .

(4) النَّزَوَاتُ : مفرده النّزوة وهي إسم مرّة من نَزَا يَنْزُو نَزْوًا وَنُزُوًّا : وثب ونزا قلبه إلى كذا : طمح ونزع إليه ، وسمّيت النزوات كذلك لأنّها الميول الطارئة على الإنسان فتجعله كأنّه يثب إلى الشيء الطّارئ .

(5) تَحُفّنِي : حفَّ القومُ بالرّجل يَحُفُّون : إستداروا به ...

(6) رَهَقٌ : مصدر من رَهِقَهُ يَرْهَقُ : حمله على ما لا يُطيقُه .

(7) غَضَاضَةٌ : مصدر غضَّ الشّيءَ يَغُضُّه غضًّا وغضاضة : وضع من قدره .

(8) ظَهِيرًا : ظهيرك ، صفة مشبّهة هو معينك ومساعدك من ظهر يظهَرُ ظَهْرا وظُهورا عليه : أعانه وساعده .

(9) أَسْتَمْرِئُ : إستمرأ الطّعامَ : استطابه ووجده مريئا أي مُستساغا .

الأسئلـة :

1 ــ إستخرج المصادر والأفعال التي اُستعملها الكاتب في حديثه عن فضائل الصّلاة ثم اُستخلص من ذلك المعاني الجامعة التي تدور عليها .

2 ــ لماذا عمد الكاتب إلى عقد علاقة مشابهة بين العمل والصّلاة ؟

3 ــ صوّر الكاتب في الفقرة الأخيرة صراعا عاشه في بعض الأحيان . ألا تجد في ذلك الصّراع مظهرا من مظاهر جهد الإنسان في سبيل تحقيق عزّته ؟ بيّن ذلك.

4 ــ هل تعتبر أنّ الإيمان بقيمة العمل شرط من شروط مقاومة التّخلّف ؟ كيف ذلك ؟

78 ـ ٱلْعَمَـلُ وَٱلْحَيَـاةُ

يَقُولُ ٱلْمُوسِيقَارُ ٱلْكَبِيرُ «بَابْلُو كَاسَالْ» ٱلَّذِي ٱحْتَفَلَ هَذَا ٱلْعَامَ بِعِيدِ مِيلاَدِهِ ٱلْخَامِسِ وَٱلتِّسْعِينَ : « إِنَّ عَمَلِي هُوَ حَيَاتِي ... وَأَنَا لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُفَكِّرَ فِي أَحَدِهِمَا دُونَ الآخَرِ إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَنِي ، مَتَى تَتَقَاعَدُ ؟ » وَأَنَا أَقُولُ : « وَكَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ مِنِّي أَنْ أَقُولَ لَكُمْ مَتَى أَمُوتُ ... » فَالتَّقَاعُدُ هُوَ نِهَايَةُ ٱلْحَيَاةِ وَبِدَايَةُ ٱلْمَوْتِ ...

وَيَسْأَلُونَنِي : « لَقَدْ تَقَدَّمَ بِكَ ٱلْعُمْرُ ، وَمِنْ حَقِّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ أَنْ تُرِيحَهَا » . وَأَنَا أَقُولُ : « إِنَّ ٱلَّذِي يَعْمَلُ وَٱلَّذِي لاَ يُحِسُّ بِٱلْمَلَلِ فِي عَمَلِهِ أَيًّا كَانَ نَوْعُ هَذَا ٱلْعَمَلِ لاَ يَشْعُرُ بِٱلشَّيْخُوخَةِ أَبَدًا... إِنَّنِي أُحِسُّ بِأَنَّنِي قَدْ وُلِدْتُ مِنْ جَدِيدٍ مَعَ شَمْسِ كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٍ ... لَقَدْ أَمْضَيْتُ ٱلأَعْوَامَ ٱلثَّمَانِينَ ٱلأَخِيرَةَ أُؤَدِّي عَمَلِي ٱلَّذِي عَشِقْتُهُ وَوَهَبْتُهُ حَيَاتِي ... كُنْتُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أُعِيدُ مَا فَعَلْتُهُ بِٱلأَمْسِ ... شَيْءٌ وَاحِدٌ كَانَ فِي تَغَيُّرٍ مُسْتَمِرٍّ ... إِنَّهُ لَوْنُ إِنْتَاجِي مِنْ تِلْكَ ٱلأَنْغَامِ ٱلَّتِي أَضَعُهَا وَأَعْزِفُهَا... كَانَتْ هَذِهِ ٱلأَلْوَانُ ٱلْجَدِيدَةُ مِنَ ٱلْمُوسِيقَى تُعِيدُ إِلَى نَفْسِي ٱلْحَيَاةَ ...

مَا أَكْثَرَ ٱلَّذِينَ يَشْكُونَ مِنْ رَتَابَةِ [1] ٱلْحَيَاةِ وَآلِيَّتِهَا [2] وَأَنَا أَقُولُ لِهَؤُلاَءِ ، إِنَّ هَذِهِ ٱلرَّتَابَةَ هِيَ ٱلَّتِي تُذَكِّرُنَا بِأَنَّنَا مَازِلْنَا أَحْيَاءَ ... فَكُلُّ شَيْءٍ حَوْلَنَا رَتِيبٌ مُنَظَّمٌ ... ٱلشَّمْسُ تَغْرُبُ مِنْ بَعْدِ شُرُوقٍ ... وَٱلظَّلاَمُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ نُورٍ ... فَلِمَاذَا نَمَلُّ ٱلرُّوتِينَ [3] .

« إِنَّنِي لَمْ أَمَلَّ يَوْمًا ٱلْجُلُوسَ إِلَى ٱلْبِيَانُو لأَعْزِفَ أَلْحَانِي ٱلْجَدِيدَةَ ... وَكُنْتُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَسْمَعُ فِيهَا مُوسِيقَايَ ، يَحْتَوِينِي [4] هَذَا ٱلشُّعُورُ

الَّذِي يَمْلأُ كُلَّ إِنْسَانٍ حَيٍّ بِلَذَّةِ ٱلْحَيَاةِ ... » .

عن مجلّة العربي

العدد 170 ، جانفي 1973

ص 120ـــ121

الشّـرح :

(1) رَتَابَةٌ : مصدر رَتَب يَرْتُب الشّيءُ فهو رَتِيبٌ : ثَبت ولم يتحرّك ، والعيشُ تواصل على نمط واحد لا جديد فيه .

(2) آلِيَّة الحياة : تَوَاصُلُها على نسقٍ رتيب .

(3) الرُّوتِينُ : كلمة دَخيلة بمعنى الرَّتابة .

(4) يَحْتَويني الشّعورُ : مضارع احتوى الشعورُ الرّجلَ استولى عليه وملكه .

الأسئلـة :

1 ـــ ماذا يعني الموسيقار بقوله : « إنّ التقاعد هو نهاية الحياة وبداية الموت » ؟ هل تشاطرُه رأيه ؟

2 ـــ يرى الكاتب أنّ الإنسان الذي يعمل لا تُصيبه الشّيخوخة : كيف ذلك ؟

3 ـــ بيِّنْ لماذا أستخدم الكاتب أسلوب الحوار في تقديم الأفكار .

4 ـــ في النّصّ مَوقِفان من العمل متناقضان : ما علاقة كلٍّ منهما بتقدّم الأمم وتخلّفها ؟

79 ـ ٱلسَّعَادَةُ فِي ٱلإِنْتَاجِ

خُلِقَ ٱلإِنْسَانُ لِيَعْمَلَ لِيَحْيَا وَيَجْتَهِدَ كَيْ يُحَقِّقَ ٱلْمُهِمَّةَ ٱلَّتِي أُنِيطَتْ [1] بِهِ ، فَلِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ بَنِي ٱلْبَشَرِ مُهِمَّةٌ خَاصَّةٌ بِهِ لاَ يَقُومُ بِهَا سِوَاهُ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهَا ، إِذَا مَا تَرَاءَتْ لَهُ ، وَقَفَ نَفْسَهُ وَحَيَاتَهُ وَجُهُودَهُ عَلَى ٱلْبُلُوغِ بِهَا إِلَى أَسْمَى دَرَجَاتِ ٱلإِتْقَانِ فَتِلْكَ [2] هِيَ ٱلطَّرِيقَةُ ٱلْوَحِيدَةُ إِلَى ٱلسَّعَادَةِ . إِذْ لاَ سَعَادَةَ إِلاَّ بِٱلْعَمَلِ .

فَٱلْفَلاَّحُ بِجِدِّهِ وَٱجْتِهَادِهِ يَجْعَلُ مِنَ ٱلأَرْضِ ٱلْمَوَاتِ بَسَاتِينَ نَضِرَةً [3] وَجِنَانًا يَانِعَةً ، وَٱلْعَامِلُ بِحِذْقِهِ وَمَهَارَتِهِ يَقْلِبُ ٱلْمَوَادَّ ٱلأَوَّلِيَّةَ ٱلْخَشِنَةَ آلاَتٍ لَطِيفَةً مُفِيدَةً ، وَٱلْمُفَكِّرُ بِتَأَمُّلِهِ وَبَحْثِهِ عَنِ ٱلأَسْبَابِ ، يَكْشِفُ لَنَا طُرُقًا جَدِيدَةً لِلتَّوَصُّلِ إِلَى ٱلْحَقِيقَةِ وَلِتَنْظِيمِ عَيْشِنَا .

وَلَكِنَّ هَذَا ٱلتَّنْظِيمَ يَسْتَوْجِبُ أَنْ يَقُومَ كُلٌّ بِوَاجِبِهِ . فَإِذَا مَا أَخَلَّ بِهِ ، فَسَدَ ٱلنِّظَامُ ، وَتَرَاكَمَتِ ٱلأَعْمَالُ ، وَتَعَدَّدَتِ ٱلْعَقَبَاتُ ، وَأَخَذَتِ ٱلْجَمَاعَةُ ٱلْبَشَرِيَّةُ تَتَقَهْقَرُ ثُمَّ لاَ تَلْبَثُ أَنْ تَنْهَزِمَ . وَمِنْ ثَمَّ تَرَى أَنَّ ٱلْفَرْدَ ٱلْمُتَقَاعِسَ [4] عَنِ ٱلْعَمَلِ خَطَرٌ عَلَى ٱلْمَجْمُوعَةِ ، وَأَنَّهُ عُنْصُرٌ فَاسِدٌ لَيْسَ جَدِيرًا بِٱلْحَيَاةِ ، إِذْ لَمْ يَقُمْ بِشُكْرِ نِعْمَتِهَا ، بِٱسْتِثْمَارِهَا لِنَفْسِهِ وَلِعَائِلَتِهِ وَلِوَطَنِهِ وَلِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ بَلْ يَعِيشُ عَالَةً [5] عَلَى ٱلنَّاسِ ، يَسْتَنْزِفُ [6] دِمَاءَهُمْ، فَهُوَ أَشْبَهُ مَا يَكُونُ بِتِلْكَ ٱلنَّبَاتَاتِ ٱلطُّفَيْلِيَّةِ ٱلَّتِي تَلْتَصِقُ بِٱلأَشْجَارِ ٱلْمُثْمِرَةِ تُزَاحِمُهَا فِي غِذَائِهَا ٱلَّذِي تَسْتَمِدُّهُ مِنَ ٱلأَرْضِ عُرُوقُهَا .

إِنَّ ٱلْمُتَقَاعِسَ عَنِ ٱلْعَمَلِ سَاقِطٌ لاَ مَحَالَةَ فِي هُوَّةِ ٱلشَّقَاءِ . إِذْ أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ مَجْدُهُ وَمَالُهُ ٱلتَّالِدُ [7] لاَ يَعْرِفُ طَعْمَ ذَلِكَ ٱلشُّعُورِ ٱلَّذِي يَغْمُرُ ٱلْعَامِلَ ٱلْمُجِدَّ عِنْدَمَا يَفْرَغُ بِنَجَاحٍ مِنْ أَدَاءِ وَظِيفَتِهِ فِي ٱلْحَيَاةِ . فَيَرَى فِكْرَتَهُ

آلَتِي هِيَ جُزْءٌ مِنْ رُوحِهِ تَتَجَسَّمُ فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ آلْمَنْتُوجَاتِ آلْمُفِيدَةِ. إِنَّ آلسَّعَادَةَ فِي آلإِنْتَاجِ ، وَقِيمَةَ آلْمَرْءِ آلْحَقِيقِيَّةَ لاَ تُقَدَّرُ بِمَا يَمْلِكُ أَوْ يَحْسَبُ أَنَّهُ يَمْلِكُ ، وَلَكِنْ بِمَا أَنْتَجَتْهُ قَرِيحَتُهُ (8) أَوْ صَنَعَتْهُ يَدَاهُ .

محمّد الرّشيد ملين

مجلة المباحث، عدد 25، أفريل 1946، ص 3ـــ7

التّعريف بالكاتب :

محمد الرّشيد ملين : كاتب مغربيّ معاصر كتب بمجلّة المباحث التّونسيّة وأحرز على جائزة مسابقتها الأدبية سنة 1946 ، من مؤلّفاته : عصر المنصور الموحّدي أو الحياة السّياسيّة والفكريّة والدّينيّة في المغرب الأقصى من سنة 580هـ إلى 595هـ ، أصدرته المطبعة المحمّدية بالرّباط .

الشّـرح :

(1) أُنِيطَتْ به : فعل مزيد مسند إلى نائب الفاعل ، والمجرّد منه نَاطَ يَنُوط نَوْطًا ونِيَاطًا الأمرَ بفلان علّقه به .

(2) وَقَفَ نفسَه على : صرف كلّ جهده في القيام بعمل وٱنقطع إليه ٱنقطاعًا .

(3) نَضِرة : صفة مشبّهة من نضُر ينضُر نَضَارة نَعُم وحسُن وكان جميلا .

(4) ٱلْمتقاعِس : اِسم فاعل من تَقَاعَس عن الأمر : تأخّر عنه ولم يُنجزه .

(5) عَالَةٌ : اسم من عال فلانٌ يَعيل عَيْلا وعيْلةُ : اِفتقر وعاش عالةً على غيره اِتّكل على غيره ولم يستقلّ بأمره .

(6) يَستَنْزِف : مزيد من نَزَف الشّيءُ يَنْزِفُ نَزْفًا . نَفِد وفَنِيَ ، وٱستنزف الرّجلُ المالَ ونحوه : أخذ منه حتّى نفد .

(7) التَّالِدُ : صفة مشبّهة على وزن اِسم الفاعل من تَلَد يتْلُد ويتلِد تُلُودًا ، الشّيءُ قَدُم .

(8) الْقَرِيحَةُ : اسم مفرد جمعه قرائح : الملكة التي يستطيع بها الإنسان الإبداع والإبتكار .

الأسئلـة :

1 ــ هل يتحدّث الكاتب في هذا النّصّ عن مجتمع بعينه ؟ دعّم جوابك بما جاء في النّصّ .

2 ــ ما هي الأصناف الاجتماعيّة التي ذكرها الكاتب في النّصّ ؟ وإلامَ تسعى بتفانيها في أعمالها ؟

3 ــ اِعتبر الكاتب أنّ في إخلال الفرد بواجبه خطرا على المجموعة . ما رأيك في ذلك ؟

4 ــ ما سرّ التّلازم بين العمل والسّعادة حسب رأيك ؟

80 ــ عَصِيرُ ٱلذِّهْنِ

قَالَتِ ٱلْعَصَا :

ــ هَلْ رَأَيْتَ هَذِهِ ٱلْمَكْتَبَةَ ٱلْعَامِرَةَ بِٱلْكُتُبِ كَيْفَ تَحَوَّلَتْ أَخِيرًا إِلَى حانُوتٍ لِلْمُرَطِّبَاتِ ؟! إِنَّ صَاحِبَهَا هُوَ صَاحِبُهَا لَمْ يَتَغَيَّرْ ... وَلَكِنَّهُ قَلَبَ نَفْسَهُ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ مِنْ « كُتُبِيٍّ » إِلَى « حَلْوَانِيٍّ » ! ... وَعِنْدَمَا سُئِلَ فِي ذَلِكَ قَالَ : « ٱلنَّاسُ لاَ يُرِيدُونَ ٱلْيَوْمَ عَصِيرَ ٱلذِّهْنِ ... إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ عَصِيرَ ٱللَّيْمُونِ ! » .

قُلْتُ :

ــ هَذَا صَحِيحٌ مَعَ ٱلأَسَفِ ... وَهِيَ ظَاهِرَةٌ خَطِيرَةٌ تَسْتَحِقُّ ٱلْعِنَايَةَ وَٱلْعِلاَجَ ، فَإِنَّ ٱنْصِرَافَ ٱلنَّاسِ عَنْ غِذَاءِ ٱلْعَقْلِ نَكْبَةٌ كُبْرَى لأُمَّةٍ فِي طَرِيقِ ٱلتَّحَضُّرِ ... وَمَا قِيمَةُ ٱلتَّعْلِيمِ فِي أُمَّةٍ إِذَنْ ، إِذَا كَانَتْ نَتِيجَتُهُ تَخْرِيجَ زَبَائِنَ لِلْمَشَارِبِ لاَ لِلْمَكَاتِبِ ؟! . إِنَّ أَبْقَى دَرْسٍ وَأَهَمَّ كَسْبٍ لِلطَّالِبِ فِي ٱلْمَدْرَسَةِ لَيْسَا فِي تِلْكَ ٱلْمَعْلُومَاتِ ٱلْمُحَدَّدَةِ ٱلَّتِي سَتُنْسَى حَتْمًا بَعْدَ حِينٍ ... لاَ خَيْرَ وَلاَ نَفْعَ فِي أَرْقَى ٱلْمَدَارِسِ وَٱلْجَامِعَاتِ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا ٱلطُّلاَّبُ يَلْعَنُونَ كُتُبَهُمْ وَيَخْتِمُونَ [1] بِٱلشَّمْعِ ٱلأَحْمَرِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، بَيْنَمَا ٱلطَّالِبُ ٱلَّذِي يَنْشَأُ فِيهِ حُبُّ ٱلْمُطَالَعَةِ وَٱلإِطِّلاَعِ ، تَنْشَأُ فِي عَيْنِ ٱلْوَقْتِ جَامِعَةٌ كُبْرَى فِي نَفْسِهِ تُزَوِّدُهُ بِٱلْمَعَارِفِ ٱلْمُتَجَدِّدَةِ طَوَالَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ ... ذَلِكَ وَاجِبُ ٱلْمَدْرَسَةِ الأَوَّلُ : تُعَلِّمُنَا حُبَّ ٱلْقِرَاءَةِ ... وَتُمَرِّنُ عَضَلاَتِنَا ٱلْفِكْرِيَّةَ عَلَى هَضْمِ أَغْذِيَةِ ٱلْعَقْلِ ... ثُمَّ تَدْفَعُنَا إِلَى ٱلْحَيَاةِ نَزْدَرِدُ [2] ثَمَرَاتِ ٱلذِّهْنِ ...

قَالَتِ ٱلْعَصَا :

ــ حَقًّا ... إِنَّ ٱلإِنْسَانَ يُولَدُ زَبُونًا بِالْفِطْرَةِ لِعَصِيرِ ٱللَّيْمُونِ ... وَلَكِنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يُعَدَّ إِعْدَادًا لِيَصِيرَ زَبُونًا لِعَصِيرِ ٱلذِّهْنِ !

توفيق الحكيم

عصا الحكيم ، ص 54ــ55

دار الهلال، مصر، نوفمبر 1973

التّعريف بالكاتب :

ٱنظر نصّ « ما العمل ؟ » الجزء الأوّل ، ص 53 .

الشّـرح :

(1) يَخْتِمُونَ : مُضارع خَتَمَ يَخْتِمُ خَتْمًا على الطّعام والشّراب وغيرهما . غَطَّى فُوَهَّةَ وِعَائِهِ بِطِينٍ أو شمع أو غيرهما ، حتّى لا يدخله شيءٌ ولا يخرج منه شيء .

(2) نَزْدَرِدُ : مضارع ٱزْدَرَدَ اللّقمة بلعها .

الأسئلـة :

1 ــ لماذا اعتبر الكاتب أنّ انصراف النّاس عن غذاء العقل نكبة كبرى لأمّة في طريق التحضّر ؟

2 ــ ما هو دور المدرسة الحقيقيّ في نظر الكاتب ؟

3 ــ ما الفرق بين كلام العصا في بداية النصّ وكلامها في نهايته ؟

4 ــ ما علاقة الإقبال على القراءة بالخروج من التّخلّف ؟

81 ــ مَرَايَـا

وَقَعَتْ هَذِهِ ٱلْقِصَّةُ ٱلْقَصِيرَةُ ٱلَّتِي تُغْرِي [1] بِٱلضَّحِكِ وَتُغْرِي بِٱلتَّفْكِيرِ ٱلْعَمِيقِ أَيْضًا وَقَعَتْ لأستاذِنا أحمدَ لطفي السيّد في بعضِ ٱلإِنْتِخَابَاتِ ٱلّتِي كَانَتْ تَجْرِي فِي مِصْرَ أَثْنَاءَ ٱلسِّنين ٱلأُولَى مِنْ هَذَا ٱلْقَرْنِ . ولَسْتُ أَذْكُرُ أَكَانَتْ فِي ٱنْتِخَابٍ لِمَجْلِسِ ٱلإِقْلِيمِ أَمْ كَانَتْ فِي ٱنْتِخَابٍ لِلْجَمْعِيَّةِ ٱلتّشريعيّةِ حين أُنْشِئَتْ وَلَكِنَّ ٱلْمُحَقَّقَ أنّ أستاذَنا ٱلْجليلَ رَشَّحَ نَفْسَهُ لأَحَدِ هَذِهِ ٱلإِنْتِخَابَاتِ وَكَانَ لَهُ مُنَافِسٌ لاَ يَرْقَى [2] إلى ثَقافَتِهِ ولا إلى عِلْمِهِ بَلْ كَانَ أُمِّيًّا أَوْ كَالأُمِّيِّ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ إِلَى حَدٍّ مُتَوَاضِعٍ جِدًّا وَلَكِنَّهُ كَانَ وَاسِعَ ٱلثَّرَاءِ عريضَ ٱلْجَاهِ [3] .

وَقَدِ ٱنْتَصَرَ عَلَى أُسْتَاذِنَا فِي ذَلِكَ ٱلانْتِخَابِ وَكَانَ سَبَبُ ٱنْتِصَارِهِ غَرِيبًا حَقّا فَقَدْ زَعَمَ لِلنَّاخِبِينَ أنّ أُسْتَاذَنا رَجُلٌ دِيمُقْرَاطِيٌّ وَأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لاَ يَصْلُحُ لِتَمْثِيلِ ٱلْمَدِينَةِ . فَلَمَّا سَأَلَهُ النَّاخِبُونَ عَنِ ٱلرَّجُلِ ٱلدِّيمُقرَاطِيِّ مَا هُو؟ قَالَ هُوَ ٱلَّذِي يُبِيحُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَدِّدَ أَزْوَاجَهَا ... وأَنْكَرَ ٱلنَّاخِبُونَ هَذِهِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا سَمِعُوا بِهَا وَلَمْ يُتَحْ لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَائِقَهَا. فَذَهَبَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ إِلَى أُسْتَاذِنا وَسَأَلُوهُ : أَفِي ٱلْحَقِّ أَنَّكَ دِيمُقْرَاطِيٌّ كَمَا يَزْعَمُ مُنَافِسُكَ فِي ٱلانْتِخَابِ ؟ فَقَالَ ٱلأُسْتَاذُ مُبْتَسِمًا ومُغْتَبِطًا أَيْضًا : أَجَلْ أَنَا دِيمُقْرَاطِيٌّ وَأَفْخَرُ بِدِيمُقْرَاطِيَّتِي . وَٱنْصَرَفَ ٱلنَّاخِبُونَ عَنْهُ وقَدِ ٱسْتَيْقَنُوا أَنَّهُ يُبِيحُ لِلْمَرْأَةِ أن تُعَدِّدَ أَزْوَاجَهَا ... وَصَوَّتُوا جَمِيعًا لِمُنَافِسِ أُسْتَاذِنَا ٱلْجَلِيلِ .

وَكُنَّا نُدَاعِبُ أُسْتَاذَنَا بِهَذِهِ ٱلْقِصَّةِ بَعْدَ أَنْ أَخْفَقَ فِي الانْتِخَابِ وَمِنَ ٱلْمُحَقَّقِ أَنَّ هَذِهِ الْقِصّةَ تَدْعُو كَمَا قُلْتُ إِلَى الضَّحِكِ وتُغْرِي كَمَا قُلْتُ

أَيْضًا بِالتَّفْكِيرِ ٱلْعَمِيقِ. فَقَدْ كَانَ ٱلنَّاخِبُونَ فِي تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ لاَ يَعْرِفُونَ الدِّيمُقْرَاطِيَّةَ بَلْ لَمْ يَكُونُوا قَدْ سَمِعُوا هَذَا ٱللَّفْظَ قَبْلَ أَنْ يَذْكُرَهُ لَهُمْ هَذَا ٱلْمُرَشَّحُ ٱلأُمِّيُّ أَو الَّذِي كَانَ قَرِيبًا جِدًّا مِنَ الأُمِّيَّةِ . وَلَمْ يَخْطُرْ لِأُسْتَاذِنا أَنْ يُفَسِّرَ لَهُمْ هَذِهِ ٱلْكَلِمَةَ بَلْ قَدَّرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَهَا .

كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَائِلِ هَذَا ٱلْقَرْنِ وَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّ مِصْرَ قَدْ خَطَتْ مُنْذُ ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ خُطُواتٍ وَاسِعَةً جِدًّا فِي نَشْرِ ٱلتَّعْلِيمِ وَالإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَفِي قِرَاءَةِ ٱلصُّحُفِ وَٱلاسْتِمَاعِ إِلَى ٱلإِذَاعَةِ مُنْذُ وُجِدَ ٱلرَّادِيُو . وَلَكِنِّي لاَ أَشُكُّ فِي ٱلْوَقْتِ نَفْسِهِ فِي أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى وَمِنَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَوْقَاتَهُمْ فِي ٱلزِّرَاعَةِ وَمَا يُشْبِهُهَا لاَ يَعْرِفُونَ إِلَى الآنَ حَقَائِقَ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ ... وَلَعَلَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ ٱلْمُدُنِ مِنَ الَّذِينَ أَصَابُوا حَظًّا (4) مِنَ ٱلتَّعْلِيمِ دُونَ أَنْ يُمْعِنُوا (5) فِيه قَدْ سَمِعُوا هَذِهِ ٱلْكَلِمَةَ وَقَرَؤُوهَا وَلَكِنَّهُمْ لا يُحَقِّقُونَ مَعْنَاهَا عَلَى رَغْمِ ٱلْحَيَاةِ النِّيَابِيَّةِ الَّتِي عَرَفَهَا ٱلْمِصْرِيُّونَ مُنْذُ صَدَرَ الدُّسْتُورُ فِي أَعْقَابِ ٱلْحَرْبِ ٱلْعَالَمِيَّةِ ٱلأُولَى .

عن طه حسين : كلمات

دار العلم للملايين، بيروت 1967

ص ص 18ـــ20

التّعريف بالكاتب :

آنظر ترجمته في نصّ « المستطيع بغيره » .

الشّـرح :

(1) تغري : أغرى يُغري إغراء : جذب .

(2) يرقى : رقِي فلانٌ إلى الشّيء يرقَى رُقِيًّا : صَعِدَ. رَقِيتُ في السُّلَّم : صعِدتُ .

(3) الجاه : اِسم بمعنى المنزلة والقدر .

(4) حظّ : اِسم ــ ولهذه الكلمة معنيان فهي تستعمل بمعنى النّصيب وتستعمل بمعنى البخْت . وهي تفيد في السّياق الذي جاء فيه بالنّصّ النّصيب .

(5) يمعنوا : أمعن في الشّيء يمعن إمعانا : غاص وتعمّق .

الأسئلـة :

1 ــ هل تعتبر أنّ أحمد لطفي السيّد مسؤول عن إخفاقه في الانتخاب أم لا ؟ وضّح رأيك .

2 ــ ما هي العوامل التي أسهمت في نشر الوعي لدى الشّعب المصري حسب ما جاء في النّصّ ؟ وهل أنّ طه حسين راض بما وصل إليه شعبه من وعي ؟

3 ــ كيف يساهم التّعليم وتساهم وسائل الإعلام في مقاومة التّخلّف حسب رأيك ؟

4 ــ ما هي مخاطر الجهل على الحياة الاجتماعيّة حسب ما تستفيد من النّصّ ؟

5 ــ ما هو الشّرط الأساسي لنجاح الدّيمقراطية حسب ما يستفاد من النّصّ ؟ وما رأيك في ذلك ؟

82 ــ فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلدِّيمُقْرَاطِيَّةِ

نحن إذا أردنا أَنْ نَخْتَصِرَ ٱلأَغْرَاضَ ٱلأَسَاسِيَّةَ التي يَجِبُ على الدّيمقراطيّةِ أَنْ تَكْفَلَهَا للشّعبِ لَمْ نَجِدْ أَوْجَزَ وَلاَ أَشْمَلَ وَلاَ أَصَحَّ مِنْ هَذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ ... وَهِيَ أَنَّ ٱلنِّظَامَ الدّيمقراطيَّ يَجِبُ أَنْ يَكْفَلَ لأبناءِ الشَّعبِ جميعا ٱلْحَيَاةَ وَٱلْحُرِّيَّةَ وَٱلسِّلْمَ .

فَلأَجْلِ أَنْ تَكْفَلَ [1] الدّيمقراطيّةُ للنّاسِ ٱلْحَيَاةَ يَجِبُ قبلَ كلِّ شيءٍ أن تَكْفَلَ لهم ٱلْقُدْرَةَ على الحياةِ أَيْ أَنْ تَكْفَلَ لهم ٱلتَّصَرُّفَ فيما يُمَكِّنُ ٱلْفَرْدَ مِنْ أَنْ يَكْسَبَ قُوتَهُ دون أن يَلْقَى في ذلك مَضَارَّة [2] أو عَنَتًا [3]. ومن الطّبيعيّ أَنَّ ٱلْحَيَاةَ ٱلّتِي يَجِبُ أَنْ تَكْفَلَهَا الدِّيمُقْرَاطِيّةُ لِلنّاسِ إِنَّمَا هِيَ ٱلْحَيَاةُ ٱلْقَابِلَةُ لِلتَّطَوُّرِ وَٱلرُّقِيِّ مِنْ نَاحِيَتِهَا ٱلْمَادِيَّةِ وَمِنْ نَاحِيَتِهَا ٱلْمَعْنَوِيَّةِ .

وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَبَ إِلَى ٱلدِّيمُقْرَاطِيَّةِ أَنْ تُوَزِّعَ عَلَى ٱلنَّاسِ أَقْوَاتَهُمْ وَتُشِيعَ فِيهِمْ ٱللَّذَّةَ وَٱلنَّعِيمَ وَهُمْ هَادِئُونَ مُطْمَئِنُّونَ ... إِنَّمَا الَّذِي يُطْلَبُ إِلَى الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَيُفْرَضُ عَلَيْهَا أَنْ تَمْنَحَ أَفْرَادَ الشَّعْبِ وَسَائِلَ ٱلْكَسْبِ الَّتِي يَسْعَوْنَ بِهَا فِي ٱلأَرْضِ وَيَلْتَمِسُونَ بِهَا الرِّزْقَ وَأَنْ تُزِيلَ مِنْ طَرِيقِهِمْ مَا قَدْ يَقُومُ فِيهَا مِنَ ٱلْعَقَبَاتِ الّتِي تَنْشَأُ عَنِ ٱلظُّلْمِ وَٱلْجَوْرِ وَعَنِ ٱلتَّحَكُّمِ وَٱلاسْتِبْدَادِ وَعَنْ مُقَاوَمَةِ ٱلطَّبِيعَةِ نَفْسِهَا لِتَصَرُّفِ ٱلإِنْسَانِ .

وَأَوَّلُ وَسِيلَةٍ مِنْ وَسَائِلِ ٱلْكَسْبِ الّتِي يَجِبُ عَلَى ٱلدِّيمُقْرَاطِيّةِ أَنْ تَضَعَهَا فِي أَيدِي ٱلأَفْرَادِ إِنَّمَا هُوَ التَّعْلِيمُ الَّذِي يُمَكِّنُ ٱلفَرْدَ مِنْ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَبِيئَتَهُ ٱلطَّبِيعِيَّةَ وَٱلْوَطَنِيَّةَ وَٱلإِنْسَانِيَّةَ وَأَنْ يَتَزَيَّدَ مِنْ هَذِهِ ٱلْمَعْرِفَةِ .

وَإِذَا كَانَتْ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ مُكَلَّفَةً أَنْ تَضْمَنَ لِلْأَفْرَادِ ٱلْحُرِّيَّةَ كَمَا ضَمِنَتْ لَهُمُ الحَيَاةَ فإنّ الحرّيّةَ لاَ تَسْتَقِيمُ مَعَ ٱلْجَهْلِ وَلاَ تُعَايِشُ ٱلْغَفْلَةَ وَٱلْغَبَاءَ . فَٱلدِّعَامَةُ (4) ٱلصَّحِيحَةُ لِلْحُرِّيَّةِ الصَّحِيحَةِ إِنَّمَا هِيَ التَّعْلِيمُ الّذِي يُشْعِرُ ٱلْفَرْدَ بِوَاجِبِهِ وَحَقِّهِ وَبِوَاجِبَاتِ نُظَرَائِهِ وَحُقُوقِهِمْ وَالّذِي يُشِيعُ فِي نَفْسِ ٱلْفَرْدِ هَذَا ٱلشُّعُورَ ٱلْمَدَنِيَّ ٱلشَّرِيفَ ، شُعُورَ ٱلتَّضَامُنِ الإِجْتِمَاعِيِّ الّذِي يَجْعَلُهُ حَرِيصًا عَلَى ٱحْتِرَامِ حُقُوقِ نُظَرَائِهِ عَلَيْهِ لِيَحْتَرِمَ نُظَرَاؤُهُ حُقُوقَهُ عَلَيْهِمْ .

وَإِذَا كَانَتِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ مُكَلَّفَةً أن تَضْمَنَ لِلنَّاسِ ٱلسِّلْمَ الّتِي تَحْمِيهِم مِنْ أَنْ يَعْدُوَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي دَاخِلِ حُدُودِهِمِ ٱلْجَغْرَافِيَّةِ وَالّتِي تَحْمِيهِمْ مِنْ أَن يَعْدُوَ عَلَيْهِم الأَجْنَبِيُّ فإنّ هَذِهِ ٱلسِّلْمَ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُوجَدَ لِأَنَّ الدّولةَ تُرِيدُها عَلَى ٱلْوُجُودِ . إِنَّمَا هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى مَادَّةٍ تُوجِدُهَا وَأَدَاةٍ تُحَقِّقُها . وَٱلْمُوَاطِنُونَ ٱلْأَحْرَارُ وَحْدَهُمْ هُمُ ٱلْقَادِرُونَ عَلَى إِيجَادِ هَذِهِ ٱلسِّلْمِ . هُمْ مَادَّتُها وَهُمْ أَدَوَاتُهَا .

فَلَنْ تَسْتَطِيعَ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ أَنْ تَكْفَلَ لِلنَّاسِ حَيَاةً وَلاَ حُرِّيَّةً وَلاَ سِلْمًا إِلَّا إِذَا كَفَلَتْ لَهُمْ تَعْلِيمًا يُتِيحُ لَهُمُ ٱلْحَيَاةَ وَيُبِيحُ لَهُمُ ٱلْحُرِّيَّةَ وَيُمَكِّنُهُمْ مِنَ ٱلسِّلْمِ .

عن طه حسين

مستقبل الثّقافة في مصر

الجزء الأوّل، طبعة القاهرة 1939

التّعريف بالكاتب :

آنظر ترجمته في نصّ « المستطيع بغيره » .

الشّـرح :

(1) تكفل : كفَل يكفُل كفُولا : ضمِن .

(2) مضارّة : مصدر من ضارّ بمعنى جلب المكروه .

(3) عنتا : مصدر بمعنى المشقّة .

(4) الدّعامة : اِسم ــ هي في الأصل تطلق على الخشبة التي يقوم عليها البناء ثمّ أصبحت تطلق على أساس الشّيء ــ مهما يكن ــ وركيزته .

الأسئلـة :

1 ــ يقوم النّصّ في بنائه على التّحليل . أوضح ذلك .

2 ــ كيف يُمكّن التّعليم من تحقيق الكسب حسب رأيك ؟

3 ــ ما هي أهميّة « أن يعرف الإنسان نفسه وبيئته الطّبيعيّة والوطنيّة والإنسانيّة » حسب رأيك ؟

4 ــ ما هو دور مراعاة الحقوق وأداء الواجب في الحياة الاجتماعيّة ؟ اِنطلق في الجواب من مواقف تتعلّق بك .

5 ــ يعتبر طه حسين أنّ الحريّة لا تستقيم مع الجهل . ما رأيك في ذلك ؟ دعّم جوابك .

ـ 3 ـ الوضع العمّالي بين الأمس واليوم

83 ـ عُمَّالُ ٱلْمَرَافِئِ

يَظَلُّ أَبُو رَشِيدٍ يَدُورُ فِي ٱلْمِينَاءِ، يُشْرِف وَيُرَاقِبُ وَيُدَقِّقُ وَيُسَيِّرُ حَرَكَةَ ٱلشَّحْنِ (1) وَٱلتَّفْرِيغِ بِنَفْسِ ٱلْبَسَاطَةِ وَٱلطِّيبَةِ ، حَتَّى إِذَا لاَحَ لَهُ ٱلْخَطَرُ مِنْ أَيَّةِ جِهَةٍ : مِنْ مُزَاحِمٍ ، مِنْ مُوَظَّفٍ ، مِنْ حَمَّالٍ ، مِنْ بَحَّارٍ ، مِنْ حَرَكَةِ تَضَامُنٍ ، مِنْ بَوَادِرِ (2) تَكَتُّلٍ نَقَابِيٍّ ، مِنْ تَمَرُّدٍ (3) صَاحِبِ شَاحِنَةٍ ، خَلَعَ ثَوْبَ ٱلْبَسَاطَةِ وَلَبِسَ ثَوْبَ ٱلْقُوَّةِ ، وَبَدَا عَجُوزًا مِقْدَامًا ضَارِيًا .

وَكَانَ ٱلْبَحَّارَةُ وَعُمَّالُ ٱلْمِينَاءِ يَعِيشُونَ فِي خَوْفٍ دَائِمٍ ، فَمَنْ يَرْضَى عَنْهُ أَبُو رَشِيدٍ يَشْتَغِلُ ، وَمَنْ يَغْضَبُ عَلَيْهِ يَتْرُكُ ٱلْمِينَاءَ .

وَكَانَ ٱلْعَمَلُ قَاسِيًا : تَقِفُ ٱلشَّاحِنَةُ عَلَى ٱلرَّصِيفِ ، وَيَنْقُلُ ٱلْحَمَّالُونَ ٱلأَكْيَاسَ وَٱلصَّنَادِيقَ إِلَى ٱلْمَاعُونِ (4) أَوْ يَنْقُلُونَهَا مِنْهَا إِلَى ٱلشَّاحِنَةِ ، ثُمَّ يُفْرِغُونَ حَمُولَةَ ٱلْمَوَاعِينِ فِي ٱلْبَوَاخِرِ ، وَحَمُولَةَ ٱلْبَوَاخِرِ فِي ٱلْمَوَاعِينِ ، وَيَصْعَدُونَ وَيَهْبِطُونَ ، مِنَ ٱلصَّبَاحِ إِلَى ٱلْمَسَاءِ ، حَامِلِينَ ٱلأَكْيَاسَ وَٱلصَّنَادِيقَ وَهُمْ يَرْتَجِفُونَ تَحْتَهَا ، وَظُهُورُهُمْ تَتَقَوَّسُ لِثِقَلِهَا ، وَعُرُوقُهُمْ تَنفُرُ (5) لِشِدَّتِهَا ، وَلَكِنَّهُمْ ، مَعَ ذَلِكَ ، لاَ يَبْرَحُونَ صَاعِدِينَ هَابِطِينَ ، وَرَائِحِينَ غَادِينَ ، لاَ يَسْتَطِيعُونَ ٱلتَّوَقُّفَ وَلاَ ٱلرَّاحَةَ وَلاَ ٱلْمُطَالَبَةَ بِحَقٍّ مِنَ ٱلْحُقُوقِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ، بَيْنَمَا كَانَ ٱلطُّرُوسِيُّ فِي ٱلْمِينَاءِ ، وَٱلْعُمَّالُ يُفْرِغُونَ إِحْدَى ٱلشَّاحِنَاتِ ، اِرْتَقَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَوْحًا خَشَبِيًّا وَعَلَى ظَهْرِهِ صُنْدُوقٌ كَبِيرٌ يَضْطَرِبُ تَحْتَهُ . كَانَ ٱلْعَامِلُ يَنْقُلُ خُطَاهُ بِمَشَقَّةٍ ، فَيَدْفَعُ إِحْدَى قَدَمَيْهِ بِحَذَرٍ ثُمَّ يَدْفَعُ ٱلأُخْرَى بِنَفْسِ ٱلطَّرِيقَةِ ، وَيَصْعَدُ بِحِمْلِهِ مَكْدُودًا ضَاغِطًا أَعْصَابَه بِعُنْفٍ شَدِيدٍ . هَذَا ٱلْمِسْكِينُ لَمْ يَسْتَطِعْ إِيصَالَ ٱلصُّنْدُوقِ إِلَى ٱلشَّاحِنَةِ . اِخْتَلَّ تَوَازُنُهُ فِي أَعْلَى ٱللَّوْحِ ، وَتَرَنَّحَ (6) ، وَسَقَطَ ٱلصُّنْدُوقُ وَسَقَطَ هُوَ فَوْقَ ٱلصُّنْدُوقِ ، وَصَاحَ ٱلْحَاضِرُونَ « يَا سَاتِرْ » ! وَهَرَعُوا إِلَيْهِ يُسْعِفُونَهُ ، وَيَمْسَحُونَ ٱلدَّمَ ٱلنَّازِفَ مِنْ جَبِينِهِ . كَانَ ٱلْمَشْهَدُ مُؤْلِمًا، مُثِيرًا لِلشَّفَقَةِ ، إِلاَّ أَنَّ وَكِيلَ أَبِي رَشِيدٍ لَمْ يُشْفِقْ وَلَمْ يَرْحَمْ ، بَلْ صَاحَ بِٱلْعَامِلِ وَشَتَمَهُ ، فَلَمَّا ٱعْتَرَضَ عَامِلٌ آخَرُ وَٱنْتَصَرَ لِزَمِيلِهِ أَمْسَكَ بِهِ مِنْ قَمِيصِهِ ، وَشَدَّهُ ، وَصَفَعَهُ .

رَأَى الطُّرُوسِيُّ ذَلِكَ بِأُمِّ عَيْنِهِ فَلَمْ يُطِقْ صَبْرًا عَلَى ٱلسُّكُوتِ . لَقَدْ سَافَرَ هُوَ الآخَرُ ، وَعَرَفَ ٱلْعَالَمَ ، وَأَبْصَرَ عُمَّالَ ٱلْمَرَافِئِ وَكَيْفَ يَعْمَلُونَ وَمَا هِيَ حُقُوقُهُمْ وَضَمَانَاتُهُمْ ، وَعَزَّ عَلَيْهِ مَا أَصَابَ مُوَاطِنَهُ ٱلْعَامِلَ ، وَمَا نَالَ زَمِيلَهُ الآخَرَ . آلَمَهُ ٱلْمَنْظَرُ أَشَدَّ ٱلأَلَمِ ، فَأَحَبَّ أَنْ يَقُولَ لِلضَّارِبِ كَلِمَتَيْنِ ، وَأَنْ يَلُومَهُ عَلَى تَصَرُّفِهِ ، غَيْرَ أَنَّ ٱلْوَكِيلَ صَدَّهُ بِغِلْظَةٍ ، بَلْ تَطَاوَلَ عَلَيْهِ ، وَكَادَ ٱلْمَوْقِفُ يَتَطَوَّرُ لَوْلاَ أَنْ حَضَرَ أَبُو رَشِيدٍ ، فَطَيَّبَ خَاطِرَ ٱلطُّرُوسِيِّ ، وَٱنْتَهَرَ وَكِيلَهُ وَدَفَعَهُ أَمَامَهُ ، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ لاَ يَرْضَى بِهَذِهِ ٱلْمُعَامَلَةِ وَلاَ يَتَسَامَحُ حِيَالَهَا .

هَلْ كَانَ صَادِقًا فِي ذَلِكَ ؟ رُبَّمَا ، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فَقَدْ عَرَفَ كَيْفَ يَتَصَرَّفُ ، وَكَيْفَ يُظْهِرُ ٱلشَّفَقَةَ عَلَى ٱلْعَامِلِ ٱلْجَرِيحِ ، أَمَّا ٱلْعَامِلُ ٱلآخَرُ، ٱلَّذِي ٱنْتَصَرَ لِزَمِيلِهِ ، فَلَمْ يَنْجُ مِنَ ٱلأَذَى : وَلَمْ يَكُنْ لِجُرْأَتِهِ مَجَالٌ

لِلْمُسَامَحَةِ . وَبَلَغَ ٱلطُّرُوسِيِّ أَنَّ هَذَا ٱلْعَامِلَ ضُرِبَ فِي ٱلْيَوْمِ نَفْسِهِ ، وَمُنِعَ مِنْ دُخُولِ ٱلْمِينَاءِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالِي . وَقَالَ أَبُو رَشِيدٍ فِي حَقِّ الطُّرُوسِيِّ مَا لاَ يُحِبُّ ، وَصَاحَ فِي جَمْعٍ مِنَ ٱلْعُمَّالِ وَٱلْبَحَّارَةِ : لاَ أُرِيدُ تَدَخُّلَ ٱلْغُرَبَاءِ فِي شُؤُونِ ٱلْمِينَاءِ وَلَنْ أَتَسَاهَلَ مَعَ أَحَدٍ مِنَ ٱلْبَحَّارَةِ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ .

وَغَضِبَ ٱلطُّرُوسِيُّ كَمَا لَمْ يَغْضَبْ قَطُّ : غَضِبَ لِوَصْفِهِ بِٱلْغَرِيبِ عَنِ ٱلْمِينَاءِ ، وَسَخِرَ مِنِ ٱتِّهَامِ أَبِي رَشِيدٍ لَهُ . أَكَانَ يَتَدَخَّلُ حَقًّا ؟ أَيُعَدُّ الانْتِصَارُ لِبَحَّارٍ تَدَخُّلاً فِي شُؤُونِ ٱلْبَحْرِ ؟ وَمَنْ مَلَّكَهَا لأَبِي رَشِيدٍ ؟ وَمَنْ سَوَّدَهُ عَلَيْهَا ؟ أَيُّ قَانُونٍ ؟! أَيَّةُ سُلْطَةٍ ؟

فَكَّرَ بِهَذَا كُلِّهِ ، بَلْ ٱضْطُرَّ إِلَى التَّفْكِيرِ بِهَذَا كُلِّهِ ، وَعَجِبَ لِهَذِهِ ٱلدُّنْيَا، وَعَجِبَ لِهَذَا ٱلظُّلْمِ ، وَتَسَاءَلَ مَغِيظًا (7) : « كَيْفَ ٱلْخَلاَصُ ؟ » .

عن حنّامينه : الشّراع والعاصفة

دار الآداب ، بيروت 1980

ص ص 35ـــ37

التّعريف بالكاتب :

آنظر ترجمته في نصّ « في قلب المحنة يشرق أمل الخلاص » .

الشّـرح :

(1) شحن : مصدر ـــ شحَن السّفينة يشحَنُها شَحْنًا : ملأها .

(2) بوادر : إسم مفرده بادرة وهي أوّل الشّيء جاء في معجم لسان العرب ما يلي : « بادرة النّبات : أوّل ما ينفطر عنه ... البادرة الحدّة وهو ما يبدر من حدّة الرّجل عند غضبه من قول أو فعل » .

(3) تَمَرُّدٌ : مصدر ــ تَمَرَّدَ : ثار وعتا .

(4) الماعون : المقصود به القوارب التي تصل إلى الميناء .

(5) تنفُر : نفرت العروق : برزت بسبب ما يبذله البحّارة من جهد .

(6) ترنّح : ترنّح يترنّح ترنّحا : تمايل .

(7) مغيظ : اِسم مفعول من غاظ ــ غاظه الشّيء يغيظه غيظا : أغضبه غضبا شديدا .

الأسئلـة :

1 ــ ما هي الجوانب التي وصفها الكاتب من حياة عمّال الميناء ؟

2 ــ ماذا كان أبو رشيد يخشى ؟ ولماذا ؟

3 ــ ما هو موقف العمّال من وضعيتهم حسب ما يستفاد من النّصّ ؟

4 ــ لماذا تمرّد الطّروسي دون سواه ؟

5 ــ ألا تعتبر أنّ نهاية النّصّ هي بداية لحركة ضدّ الظّلم ؟ وضّح ذلك .

84 ــ لَيْتَ ٱلأَرْضَ تَعُودُ

لَمْ يُبْصِرْ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ جَلَسُوا قُرْبَ ٱلْعَمُودِ ٱلْكَهْرَبَائِيِّ مُسْنِدِينَ ٱلظَّهْرَ إِلَى سِيَاجِ إِدَارَةِ ٱلأَشْغَالِ ٱلْعَامَّةِ يَنْتَظِرُونَ ضَاحِكِينَ صَامِتِينَ عَابِثِينَ بِكُلِّ عَظِيمٍ وَحَقِيرٍ ...

« لَحَظَاتٌ أَحْسَسْتُ أَثْنَاءَهَا بِٱلْفَضَاءِ يَضِيقُ ... سَأَعْمَلُ مُقَابِلَ أُجْرَةٍ ضَئِيلَةٍ أُحَوِّضُ ٱلسَّانِيَةَ ، أُهَذِّبُ ٱلسَّوَاقِي ، أَغْرِفُ ٱلْمَاءَ ، أَجُرُّهُ سَطْلاً سَطْلاً أَسْنِي [1] فَأَحُلُّ مَحَلَّ ٱلْبَغْلَةِ ، أَجُرُّ ٱلدَّلْوَ تِلْوَ ٱلدَّلْوِ دُونَ مَلَلٍ أَوْ كَلَلٍ . لَنْ أَقُولَ أَحْ . لاَ . بِٱللَّهِ . سَوْفَ لَنْ تُفَارِقَنِي ٱلْمِسْحَةُ . سَأُحَمِّرُ ٱلتُّرْبَةَ ٱلْحَمْرَاءَ وَٱلصَّفْرَاءَ » .

وَضَمَّ ٱلشَّفَتَيْنِ ... « لَيْتَنِي أَمْلِكُ سَانِيَةَ ٱلْحَاجِ . أَغْرِسُهَا عُودًا رَقِيقًا . أَزْرَعُهَا بَصْلاً وَثُومًا . لَيْتَ ٱلْعَائِلَةَ تَسْتَعِيدُ سَانِيَةَ ٱلطَّاحُونَةِ وَمِسَاحَتَهَا ٱلضَّيِّقَةَ . مَا أَبْرَكَ عَتَبَتَهَا . لَيْتَنَا جَدَّدْنَا ٱلْكَرْيَةَ . كَيْفَ نُجَدِّدُهَا ؟ ٱلْمَالُ؟ لَيْتَنَا نَسْتَطِيعُ » .

وَعَضَّ ٱلشَّفَتَيْنِ : « لَيْتَ ٱلأَرْضَ تَعُودُ . أَيَّامٌ مَا أَجْمَلَهَا . أَيَّامٌ . كَانَتِ ٱلْعَائِلَةُ تَقْضِي نَهَارَهَا عَامِلَةً زَاهِيَةً . سَاعَاتٌ مَا أَجْمَلَهَا . ثُمَّ تَجْلِسُ بَعْدَ ٱلْغُرُوبِ قُرْبَ « المعمّرة » [2] إِلَى ٱلْقَصْعَةِ ٱلْمُشْتَرَكَةِ فَتَغْرِفُ ٱلأَيَادِي صَامِتَةً مَا أَعَدَّتْهُ ٱلْوَالِدَةُ وَٱلأُخْتُ . لَيْتَ ٱلأَرْضَ ... نَصِيبًا مِنَ ٱلأَرْضِ . شِبْرًا مِنَ ٱلأَرْضِ » .

وَعَضَّ شَفَتَيْهِ حِينَ تَذَكَّرَ ... كَانَ ذَلِكَ زَمَنَ جَمْعِ ٱلزَّيْتُونِ حِينَ تَهْجُرُ ٱلْعَائِلَةُ سَانِيَةَ ٱلطَّاحُونَةِ لِتَعِيشَ شَهْرًا أَوْ يَزِيدُ مِنَ ٱلصُّبْحِ إِلَى ٱلْغُرُوبِ بَيْنَ

ٱلسَّلاَلِمِ وَٱلْفَرَارِيشِ وَحَبَّاتُ ٱلزَّيْتُونِ تَتَسَاقَطُ طَيِّبَةً عَلَى بِسَاطِ ٱلْمَرَحِ وٱلْعَرَقِ .

« وَقَفْتُ عِنْدَ سَانِيَةِ ٱلْعَايِبِ . فَتَحْتُ بَابًا ضُمَّتْ أَخْشَابُهُ إِلَى بَعْضِهَا دُونَ حِكْمَةٍ إِذْ شُدَّتْ بِأَسْلاَكٍ شَتَّى . وَاصَلْتُ ٱلسَّيْرَ بَيْنَ ٱلأَحْوَاضِ وَٱلأَشْجَارِ ثُمَّ ٱتَّجَهْتُ نَحْوَ ٱلْبِئْرِ : يَتَدَفَّقُ ٱلْمَاءُ حَيًّا جَمِيلاً » .

عَيْنَاهُ صَامِتَتَانِ . يَزْدَادُ ٱقْتِرَابًا . عَطِشَ . يَعْرِفُ ٱلْمَاءَ . يَسْتَنْشِقُهُ وَٱلنَّظْرَةُ حَالِمَةٌ جَائِعَةٌ . يَتَغَزَّلُ وَٱلْمَاءُ قَطَرَاتٌ تَتَسَاقَطُ عَلَى ذَقْنِهِ ... عَلَى عُنُقِهِ ... عَلَى ثِيَابِهِ . يَلْعَبُ .

وَفَجْأَةً تَجَلَّتْ عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلتُّرَابِيِّ لَوْعَةٌ تُشْبِهُ ٱلنِّقْمَةَ ...

« أَعْدَدْتُ ٱلْعُدَّةَ فَهَذَّبْتُ ٱلسَّوَاقِيَ ثُمَّ صَوَّبْتُ نَظْرَةً شَمِلَتْ كُلَّ ٱلْمُرَبَّعَاتِ ٱلْمُمْتَدَّةِ ثُمَّ وَضَعْتُ ٱلْمِسْحَةَ عَلَى كَتِفِي وَقَصَدْتُ مَجْرَى ٱلْمِيَاهِ ٱلرَّئِيسِيِّ حَازِمًا أَشْتَمُّ رَائِحَةَ ٱلأَشْجَارِ وَقَدِ ٱمْتَصَّتِ ٱلْقَيْلُولَةُ جُزْءًا مِنْ قُوَاهَا فَتَدَلَّتِ ٱلأَعْرَافُ مُتَثَاقِلَةً تَتَأَمَّلُ ٱلتُّرَابَ ٱلْيَابِسَ . ٱقْتَرَبْتُ مِنَ ٱلْمَصَبِّ . هَذَّبْتُ ٱلسَّوَاقِيَ ٱلْمُجَاوِرَةَ لِتَحْتَضِنَ ٱلْمَاءَ عِنْدَ تَدَفُّقِهِ ثُمَّ أَلْقَيْتُ بِمِسْحَتِي عَلَى ٱلأَرْضِ وَفَتَحْتُ « الفانة » [3] » .

عن عبد القادر بن الشّيخ : ونصيبي من الأفق

دار الجنوب للنّشر ، تونس 1984

ص ص 73ـ78

التّعريف بالكاتب :

عبد القادر بن الشّيخ أديب تونسي ولد بزغوان سنة 1929 . درس بإحدى الجامعات الفرنسيّة حيث ناقش أطروحة دكتوراه بعنوان « المقدرة القرائية في علاقتها بالتّربية والنموّ الثّقافي » .

يشتغل أستاذا بالتّعليم العالي .

الشّـرح :

(1) أسني : سَنَى يَسْنِي : جذب الماء من البئر للسّقي .

(2) المعمّرة : كلمة من الدّارجة التونسيّة تعني الكوخ البسيط .

(3) الفانة : كلمة فرنسيّة معناها آلة تنظّم الريّ .

الأسئلـة :

1 ــ ما هو النّموذج العمّالي الذي وصفه الكاتب في هذا النّصّ ؟

2 ــ ما هو التّحوّل الذي طرأ على وضعيّة هذه الشّخصيّة ؟

3 ــ في النّصّ مراوحة بين الماضي والحاضر . أبرزها ثم آذكر سببها .

4 ــ ميّز الفقرات التي وصف فيها الكاتب الشّخصيّة من الفقرات التي ترك فيها الشّخصيّة تتحدّث إلينا مباشرة . ثمّ بيّن السّبب الذي جعل الكاتب يختار هاتين الطّريقتين جميعا .

5 ــ هنالك جملة تكرّرت في النّصّ . متى تكرّرت ؟ ولماذا عمد الكاتب إلى تكرارها ؟

6 ــ ما علاقة هذه الشّخصيّة بالأرض والماء ؟ دعّم جوابك بما جاء في النّصّ .

85 ــ بَــدْءُ ٱلْكَــلاَمِ

ٱلْمَقَرُّ ٱلْوَاقِعُ فِي شَارِعِ « بَاسْ » مُزْدَحِمٌ بِٱلنَّاسِ . وَٱلصَّمْتُ عَمِيقٌ. فَلَوْ طَارَتْ ذُبَابَةٌ لَسُمِعَ صَوْتُ طَيَرَانِهَا . ٱلنَّاسُ يُصْغُونَ : إِنَّهُمْ رِجَالٌ مِنَ ٱلْقُرَى ، فَلاَّحُونَ حَمَلُوا إِلَى هَذَا ٱلْمَكَانِ رَائِحَتَهم ٱلْحَادَّةَ ٱلْقَوِيَّةَ ، رَائِحَةَ ٱلأَرْضِ ٱلْمَفْلُوحَةِ وَٱلْحُقُولِ . إِنَّهُمْ يُنْصِتُونَ بِلاَ حَرَاكٍ . إِنَّ وَاحِدًا يَتَحَدَّثُ. جَلاَبِيبُهُمْ ٱلسَّمْرَاءُ ٱلْخَشِنَةُ تَنْشُرُ بُخَارًا يَثْقُلُ بِهِ هَوَاءُ ٱلْمَقَرِّ ٱلرَّطْبِ . إِنَّ ٱلْجَلاَبِيبَ قَدِ ٱمْتَصَّتْ كُلَّ ٱلْمَطَرِ ٱلَّذِي ٱنْهَمَرَ عَلَى ظُهُورِهِمْ فِي ٱلصَّبَاحِ وَهُمْ آتُونَ مِنْ قُرَاهُمْ سَيْرًا عَلَى ٱلأَقْدَامِ . وَقَدْ تَجَوَّلُوا قَلِيلاً فِي ٱلْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَلاَقَوْا فِي هَذَا ٱلاِجْتِمَاعِ . إِنَّ ٱلْمُتَكَلِّمَ يَتَكَلَّمُ فِي آخِرِ ٱلْقَاعَةِ. فِي ٱلْجَوِّ ٱلدَّاكِنِ تَتَصَاعَدُ أَنْفَاسُ ٱلسَّجَائِرِ ، وَإِلَى ٱلْمَكَانِ يَتَسَلَّلُ نُورٌ عَنِيفٌ مِنْ نَافِذَةٍ عَالِيَةٍ . إِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ ٱلْكَلاَمَ وَاضِحًا .

« إِنَّ ٱلْعُمَّالَ ٱلزِّرَاعِيِّينَ أَصْبَحُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِهَذِهِ ٱلأُجُورِ ٱلزَّهِيدَةِ [1] ٱلَّتِي يَتَقَاضَوْنَهَا . إِنَّهُمْ سَيَتَظَاهَرُونَ بِقُوَّةٍ » .

وَضَرَبَ ٱلْخَطِيبُ عَلَى ذَلِكَ أَمْثِلَةً بِأَرَاضٍ يَعْرِفُهَا ٱلْفَلاَّحُونَ . « يَجِبُ أَنْ نَتَخَلَّصَ مِنْ هَذَا ٱلْبُؤْسِ » . إِنَّ عِبَارَاتِهِ ٱلْوَاضِحَةَ تُدْخِلُ ٱلطُّمَأْنِينَةَ إِلَى ٱلنَّفْسِ : إِنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ حَقٌّ . إِنَّ رَجُلاً يَتَحَدَّثُ عَلَى هَذَا ٱلنَّحْوِ ، يَثِقُ ٱلنَّاسُ بِهِ . لَيْسَ فِيمَا يَسُوقُهُ مِنْ حُجَجٍ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ هَوًى [2] .

إِنَّ لَهْجَتَهُ تَطْلُبُ مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مِنَ ٱلأَفْرَادِ أَنْ يَفْهَمَ ، فَمَا يَظَلُّ شَيْءٌ مِنَ ٱلأَشْيَاءِ غَامِضًا ، يَجِبُ تَوْضِيحُ كُلِّ أَمْرٍ وَتَبْدِيدُ كُلِّ إِبْهَامٍ [3] قَالَ ٱلْخَطِيبُ : إِنَّ ٱلْعُمَّالَ ٱلزِّرَاعِيِّينَ مُقْبِلُونَ عَلَى مَعَارِكَ كَبِيرَةٍ . إِنَّ لَهْجَةَ ٱلْخَطِيبِ هِيَ لَهْجَةُ مَنْ يُخَاطِبُ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ ٱلْجُمْهُورِ عَلَى حِدَةٍ.

فَهُوَ يَتَحَدَّثُ بِٱلأَمْرِ إِلَى هَذَا ، ثُمَّ إِلَى ذَاكَ ، ثُمَّ إِلَى ٱلثَّالِثِ ، وَهَكَذَا دَوَالَيْكَ .

« ٱلأُجُورُ لاَ تَزِيدُ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَوْ عَشَرَةِ فَرَنْكَاتٍ . لاَ ، هَذَا مُسْتَحِيلٌ، يَجِبُ ٱلْمُبَادَرَةُ فَوْرًا إِلَى تَحْسِينِ ظُرُوفِ مَعِيشَةِ ٱلْعُمَّالِ ٱلزِّرَاعِيِّينَ . عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ بِقُوَّةٍ وَعَزْمٍ لِلْوُصُولِ إِلَى هَذَا ٱلْهَدَفِ » .

إِنَّ فِي أَعْيُنِ ٱلرِّجَالِ نَظَرَاتٍ عَمِيقَةً .

« إِنَّ ٱلْعُمَّالَ ٱلْمُتَّحِدِينَ سَيَعْرِفُونَ كَيْفَ يَنْتَزِعُونَ هَذَا ٱلنَّصْرَ مِنَ ٱلْمُسْتَعْمِرِينَ وَمِنَ ٱلْحُكُومَةِ ٱلْعَامَّةِ . وَهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِلنِّضَالِ » .

هَذِهِ ٱلْكَلِمَاتُ ٱلَّتِي تَشْرَحُ ٱلْوَاقِعَ ، هَذِهِ ٱلْكَلِمَاتُ ٱلَّتِي تُعْلِنُ مَا يَعْرِفُهُ جَمِيعُ ٱلنَّاسِ وَمَا يَرَاهُ جَمِيعُ ٱلنَّاسِ ، غَرِيبٌ حَقًّا أَنْ يُوجَدَ بَيْنَ رِجَالِنَا مَنْ يَقُولُهَا ، غَرِيبٌ أَنْ يُوجَدَ بَيْنَ رِجَالِنَا مَنْ يَقُولُهَا عَلَى هَذَا ٱلنَّحْوِ ٱلْهَادِئِ ٱلْوَاضِحِ ، مِنْ غَيْرِ أَيِّ تَرَدُّدٍ .

لَقَدْ بَلَغَ شَقَاؤُنَا مِنَ ٱلشِّدَّةِ أَنَّهُ أَصْبَحَ يُعَدُّ هُوَ ٱلْحَيَاةُ ٱلطَّبِيعِيَّةُ لِشَعْبِنَا. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يُشِيرُ إِلَى هَذَا ٱلشَّقَاءِ ، مَنْ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِٱسْتِنْكَارِهِ أَوْ هَذَا مَا كُنَّا نَظُنُّهُ عَلَى ٱلأَقَلِّ . وَهَا هُمْ أُولاَءِ أُنَاسٌ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَّا ، وَيَضَعُونَ عَلَيْهِ ٱلإِصْبَعَ قَائِلِينَ : هَذِهِ هِيَ ٱلْعِلَّةُ . وَنَحْنُ لاَ يَسَعُنَا إِلاَّ أَنْ نُجِيبَ : نَعَمْ . هَؤُلاَءِ رِجَالٌ أَقْوِيَاءُ . إِنَّهُمْ عُلَمَاءُ بِٱلأُمُورِ ، وَإِنَّهُمْ شُجْعَانٌ . إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ ٱلْحَقِيقَةَ كَمَا نَعْرِفُهَا نَحْنُ . وَلَكِنَّهُمْ يَمْتَازُونَ عَلَيْنَا بِأَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِيهَا وَأَنْ يَعْرِضُوهَا كَمَا هِيَ . إِذَا حَاوَلْنَا نَحْنُ أَنْ نَفْتَحَ أَفْوَاهَنَا لِنَتَحَدَّثَ عَنْهَا ، أُرْتِجَ عَلَيْنَا (4) وَذَهِلْنَا عَنْ أَنْفُسِنَا . لأَنَّنَا لَمْ نَتَعَلَّمِ ٱلْكَلاَمَ بَعْدُ . وَهَذِهِ ٱلْحَيَاةُ هِيَ حَيَاتُنَا

مَعَ ذَلِكَ ، نَحْيَاهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ جَدِيدٍ . وَإِذَا كُنَّا نُحِسُّهَا إِحْسَاسًا أَقْوَى حِينَ يَكُونُ ٱلْمِحْرَاثُ أَوْ ٱلْفَأْسُ فِي أَيْدِينَا ، إِذَا كُنَّا نُحِسُّهَا إِحْسَاسًا أَقْوَى فِي ٱلثِّمَارِ ٱلَّتِي نَقْطِفُهَا وَفِي سَاقِ ٱلْقَمْحِ ٱلَّتِي نَقْطَعُهَا بِٱلْمِنْجَلِ فَإِنَّنَا حِينَ نَلْقَى رِجَالاً كَهَذَا ٱلرَّجُلِ يَتَحَدَّثُونَ إِلَيْنَا عَنْهَا بِهَذَا ٱلْعِلْمِ وَلاَ يُكَلِّمُونَنَا عَنْ أُمُورٍ بَعِيدَةٍ تُرْبِكُنَا (5) ، نَعْرِفُ كَيْفَ نُجِيبُ : نَعَمْ هَذِهِ هِيَ ٱلْحَقِيقَةُ . ذَلِكَ أَنَّنَا نَفْهَمُ . إِنَّ مَا تَنْطِقُ بِهِ أَفْوَاهُهُمْ هُوَ حَقًّا ٱلْحَيَاةُ ٱلَّتِي نَعِيشُهَا. إِنَّهُمْ يُوحُونَ إِلَيْنَا بِٱلثِّقَةِ . هَؤُلاَءِ ٱلرِّجَالُ ٱلَّذِينَ نَعْرِفُ أَنْفُسَنَا فِي أَقْوَالِهِمْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكَلِّمَهُمْ وَأَنْ نَمْشِيَ وَرَاءَهُمْ . نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَقَدَّمَ مَعَهُمْ بِخُطُوَاتٍ قَوِيَّةٍ إِلَى ٱلأَمَامِ .

عن محمّد ديب : الدّار الكبيرة

ترجمة سامي الدّروبي

دار الطّليعة ، بيروت 1968

ص ص 100ـــ103

التّعريف بالكاتب :

محمّد ديب : أديب جزائريّ وُلِد بتلمسان سنة 1920 . وهو من الرّوائيّين الذين يكتبون باللّسان الفرنسيّ .

من مؤلّفاته الرّوائيّة : الدّار الكبيرة ـــ الحريق ـــ ٱلنَّوْل .

الشّـرح :

(1) الزّهيدة : صفة مشبّهة من زهُد يزهُد بمعنى كان قليلا تافها .

(2) هَوَى : مصدر ـــ هوِي الشّيء يهواه : مال إليه وأحبّه .
(أمّا هَوَى يَهْوِي هَوِيًّا وَهُوِيًّا فمعناه سقط) .

(3) إبهام : مصدر ــ أبهم عليه ٱلأَمرُ : كان مُشْكِلاً خَفِيًّا غير واضحٍ.
جاء في معجم لسان العرب ما يلي : « كلام مُبهَم : لا يُعرَف له وجه يُؤتى منه مأخوذ من قولهم حائط مُبهَم إذا لم يكن فيه باب » .

(4) أُرْتِج علينا : يُقال : أَرْتَجَ ٱلْبَابَ أي أغلقه إغلاقا مُحْكَمًا . أُرتِجَ على القارئ أي لم يقدر على القراءة كأنّه أُطبِق عليه كما يُرتَج البابُ .

(5) تُرْبِكُنَا : أَرْبَكَ يُرْبِكُ إِرْبَاكًا .
الرَّبْكُ : أن تُلقِيَ إنسانا في وحل فيرتبك أي لا يستطيع الخروج منه .
اِرتبك في الأمرِ : إذا وقع فيه ولم يتخلّص منه .
اِرتبك في كلامه : تَتَعْتَعَ .

الأسئلـة :

1 ــ ماذا وصف الكاتب من الفلاّحين في الفقرة الأولى ؟ ولماذا ٱهتمّ بتلك الجوانب ؟

2 ــ لِمَ أثّر الخطيب في الفلاّحين حسب ما جاء في النّصّ ؟

3 ــ اِستخرج من النّصّ كلّ القرائن التي تشير إلى وضع عمّال الزّراعة ثمّ بيّن مطالبهم .

4 ــ ماذا يمثّل الخطيب بالنّسبة إلى الفلاّحين حسب ما جاء في الفقرة الأخيرة من النّصّ ؟

5 ــ من هو الرّاوي في النّصّ ؟ وما هي القرائن التي ٱعتمدتَ في جوابك ؟

86 ــ ٱلرِّحْلَةُ إِلَى ٱلدَّامُوسِ

تَنَاوَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ يَدِ عَمِّهِ فِنْجَانَ ٱلْقَهْوَةِ وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يَكْظِمَ [1] مَا تَعْتَمِلُ بِهِ جَوَانِحُهُ [2] :

ــ وَكَيْفَ ٱلْحَالُ ٱلآنَ ؟

ــ كَمَا تَرَى . أَعْمَلُ ثَمَانِي سَاعَاتٍ فِي ٱلْيَوْمِ تَحْتَ قَاعِ ٱلأَرْضِ... وَأَسْتَرِيحُ عَلَى ظَهْرِهَا بَقِيَّةَ ٱلْيَوْمِ وَمَعَ ذَلِكَ أَحْمَدُ ٱللَّهَ . ثَلاَثُمَائَةِ فِرَنْكٍ فِي ٱلنَّهَارِ وَهَذَا ٱلْمَبْلَغُ يَكْفِينَا .

ــ لِلأَكْلِ ... وَٱلْعَيْشِ ... وَٱلْكِرَاءِ ... وَٱلسَّفَرِ ... وَ ... ؟

دَارَتْ كَفُّ عَمِّهِ دَوْرَاتٍ فِي ٱلْهَوَاءِ ... وَقَالَ :

ــ ٱنْظُرْ حِيطَانَ ٱلدُّكَّانِ ٱلْمُزَاحَةَ ... وَٱلصُّدُوعَ وَٱلشُّقُوقَ ...

اِغْتَصَبَ ضِحْكَةً صَافِيَةً مِنْ أَعْمَاقِهِ ... وَٱنْهَمَكَ يُصْلِحُ « لَمْبَةَ ٱلْكَرْبُونِ ». يُفْرِغُهَا مِنْ رَمَادِهَا وَيَمْلَؤُهَا بِٱلْحَجَرِ ٱلْمُشْتَعِلِ وَيَنْفُخُ فِي مَاسُورَتِهَا وَإِبْرَاهِيمُ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ ذَلِكَ مَشْدُوهًا ... أَبِهَذِهِ ٱللَّمْبَةِ ٱلصَّغِيرَةِ يَقْتَحِمُونَ بُطُونَ ٱلْجِبَالِ ؟ وَبِضَوْئِهَا ٱلْخَافِتِ يَسْمُرُونَ ثَمَانِي سَاعَاتٍ لَيْلاً وَنَهَارًا تَحْتَ ٱلأَرْضِ ؟ يَغْنَمُونَ ٱلذَّهَبَ مِنَ ٱلتُّرَابِ !

اِرْتَدَى عَمُّهُ لِبَاسَهُ عَلَى عَجَلٍ وَهُوَ يُصْغِي بِرَهْبَةٍ إِلَى « عَيَّاطَةِ » ٱلسَّادِسَةِ صَبَاحًا . غَرَزَ مِخْطَافَ « ٱللَّمْبَةِ » فِي كَتِفِهِ وَرَشَقَهَا عَلَى ٱلظَّهْرِ وَخَرَجَ .

ٱلطَّوَابِيرُ ! صُفُوفُ ٱلْعُمَّالِ يَتَسَلَّقُونَ ٱلْمُنْعَرَجَاتِ فِي مَطْلَعِ هَذَا ٱلصَّبَا-

نَحْوَ أَسْوَارِ ٱلشُّوكِ فِي ٱلطَّرِيقِ إِلَى ٱلْمَحطَّةِ . هَا هُوَ عَمُّهُ قَدِ ٱلْتَقَى بِٱلصُّفُوفِ وَٱنْخَرَطَ مَحْنِيَّ الظَّهْرِ فِي ٱلْجَمَاعَاتِ . لَقَدْ تَقَوَّسَ مِنْهُ ٱلظَّهْرُ وَٱعْوَجَّتْ تِلْكَ ٱلرَّقَبَةُ ٱلَّتِي عَاشَتْ أَعْوَامَهَا ٱلسَّابِقَةَ مَرْفُوعَةً بِزَهْوِ (3) صَاحِبِهَا وَكِبْرِيَائِهِ . أَيْنَ هُوَ ٱلآنَ مِنْ ذَلِكَ ٱلْمُعَانِدِ ٱلَّذِي كَانَ يَمْلَأُ شَوَارِعَ ٱلْحُومَةِ ٱلْقَدِيمَةِ فِي مَسْقَطِ رَأْسِهِ صَلَفًا (4) وَشَرَاسَةً (5) وَيَهُزُّ جُذُوعَ ٱلْعَائِلَةِ ... ؟ هَا هُوَ يَنْدَمِجُ فِي ٱلنِّهَايَةِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَيَخْفِضُ ٱلرَّأْسَ وَيَحْنِي ٱلْهَامَةَ (6) وَيُعَلِّقُ « لَمْبَةَ ٱلْكَرْبُونِ » عَلَى ظَهْرِهِ وَيَذْهَبُ إِلَى ٱلدَّوَامِيسِ بَاحِثًا عَنِ ٱلْمَتَاعِبِ مِثْلَ ٱلآلاَفِ .

وَتَرَامَتْ صُفُوفُ عُمَّالِ ٱلسَّادِسَةِ صَبَاحًا ... فَقَدْ ظَهَرَتِ ٱلْجُمُوعُ وَكَأَنَّهَا أَسْرَى حَرْبٍ : بَدْلَةٌ زَرْقَاءُ وَ« شَاشِيَّةٌ » وَحِذَاءٌ خَشِينٌ ...

وَ مَا هِيَ إِلاَّ دَقَائِقُ حَتَّى ٱرْتَفَعَ صُرَاخُ ٱلْقِطَارِ ... وَٱنْتَشَرَ ٱللَّهَبُ عَسَالِيجَ وَأَعْمِدَةً فِي قَلْبِ ٱلْبَلْدَةِ فَتَغَطَّتِ ٱلأَحْيَاءُ بِٱلأَدْخِنَةِ . وَمَرَّ ٱلْقِطَارُ مُتَّجِهًا صَوْبَ سَفْحِ ٱلْجَبَلِ : كَانَ يَمْشِي ٱلْهُوَيْنَا يَجُرُّ وَرَاءَهُ مِئَاتِ « ٱلْبَرْلِينَاتِ » ٱلصَّغِيرَةِ بِحَجْمِ ٱلصُّنْدُوقِ وَقَدْ ظَهَرَتِ ٱلرُّؤُوسُ فِيهَا عَارِيَةً مُكْتَئِبَةً .

مِنْ كُلِّ بَرْلِينَةٍ كَانَتِ ٱللَّمْبَاتُ تَتَغَامَزُ بِٱلأَضْوَاءِ وَدُخَانُ ٱلسَّكَائِرِ يَحْتَرِقُ فِي ٱلشِّفَاهِ وَٱلأَصَابِعِ وَٱلأَعْيُنِ . وَمِنْ آنٍ لآخَرَ يُطِلُّ رَأْسُ أَحَدِهِمْ مِنْ بَيْنِ ٱلرُّؤُوسِ عَلَى وَلَدِهِ بِٱلْبَابِ يَتَفَرَّجُ أَوْ كَلْبِهِ يُلاَحِقُ ٱلْقِطَارَ وَيَجْرِي فِي ٱلسِّكَّةِ .

تَقَدَّمَ ٱلْقِطَارُ وَهُوَ يَتَبَاطَأُ وَيَتَلَكَّأُ (7) نَاشِرًا رُعْبَهُ فِي ٱلنِّسَاءِ ٱللاَّئِي كُنَّ يَخْرُجْنَ عِنْدَ ٱلصَّبَاحِ وَيَقِفْنَ وَرَاءَ شُقُوقِ ٱلأَبْوَابِ يَنْتَظِرْنَ صَرْخَتَهُ ٱلأَخِيرَةَ ٱلَّتِي تُطَمْئِنُهُنَّ إِلَى أَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ ٱرْتَحَلُوا إِلَى ٱلْعَالَمِ ٱلآخَرِ ، إِلَى ٱلْعَالَمِ ٱلَّذِي لاَ تَمْتَلِكُ أَيَّةُ ٱمْرَأَةٍ مِنْهُنَّ ٱلْحُكْمَ عَلَيْهِ أَوِ ٱلتَّصَرُّفَ فِي مَقَادِيرِهِ .

... وَمَنْ مِنَ ٱلنَّاسِ لاَ يَرُوعُهُ ٱلْمَشْهَدُ ؟! لاَ يُزَلْزِلُهُ وَيَهُزُّهُ ٱلصُّرَاخُ الَّذِي يَنْفَلِتُ مِنْ دِمَاغِ ٱلْقِطَارِ ؟!

عن محمّد الصّالح الجابري : يوم من أيام زِمرا
الدّار التّونسيّة للنّشر، 1968
ص ص 38ـــ41

التّعريف بالكاتب :

محمّد صالح الجابري أديب تونسيّ ولد بتوزر سنة 1940 . كتب روايات وأرّخ للأدب التّونسي الحديث .

من مؤلّفاته الرّوائيّة : « يوم من أيّام زمرا » ـــ « إنّه الخريف يا حبيبتي » ـــ « الرّخّ يجول في الرّقعة » ـــ « ليلة السّنوات العشر » (ولقد حوّلت هذه الرّواية الأخيرة إلى فلم سينمائي) .

الشّـرح :

(1) يَكْظِمُ : كظَم الإنسانُ غَيْظَهُ يَكْظِمُهُ كَظْمًا : حبسه . كظمُ الغَيْظِ : تجرّعه والصّبر عليه .

(2) ٱلْجَوَانِحُ : الضّلوع القصار التي في مقدّم الصّدر سمّيت بذلك لجنوحها على القلب . وأحدتها جانحة .

(3) الزَّهْوُ : إسم ـــ معناه ٱلْكِبْرُ والتّيه .
رَجُلٌ مَزْهُوٌّ بنفسه أي مُعجَب بها .
جاء في معجم لسان العرب ما يلي : « لا يُقال زها بل يقال زُهِيَ .
زُهِيَ فلانٌ فهو مزهُوٌّ ... وللعرب أفعال لا يتكلّمون بها إلّا [مسندة إلى المفعول] مثل زُهِيَ الرّجلُ وعُنِيَ بِٱلأَمْرِ ونُتِجَتِ الشّاةُ ... » .

(4) صَلَفًا : مصدر ـــ صلِفَ يصلَف صَلَفًا فهو صَلِفٌ : كان دَعِيًّا متكبّرا .

(5) شَرَاسَةً : مصدر ــ شَرِسَ يَشرِسُ شَرَاسَةً فهو شَرِسٌ أي كان سَيِّء ٱلْخُلُق كَثير النِّزاع .

(6) الهامة : إسم ــ هي أعلى الرّأس وفيه النّاصية والقُصَّة .

(7) يتلكّأ : تَلَكَّأَ يَتَلَكَّأُ تَلَكُّؤا : تباطأ .

الأسئلـة :

1 ــ ما هو النّموذج العمّالي الذي وصفه الكاتب في هذا النّصّ ؟

2 ــ إستخرج من النّصّ جميع القرائن التي تشير إلى وضعيّة هذا العامل .

3 ــ ما هو موقف هذا العامل من وضعيّته ؟ دعّم جوابك بما جاء في النّصّ .

4 ــ في النصّ مقارنة بين وضعيّة العمّ في الماضي ووضعيّته في الحاضر . إستخرج ما يتعلّق بذلك ثمّ استخلص ما يمكن لك استخلاصه .

5 ــ ماذا وصف الكاتب من العمّال وهم في طريقهم إلى الشّغل ؟ ولماذا اهتمّ بتلك الجوانب في وصفه ؟

6 ــ في النّصّ مسحة حزن فما هي العناصر المختلفة التي أسهمت في إنشائها ؟

87 ــ إِلَى عُمَّالِ ٱلْمَنَاجِمِ

تقديم : توجّه محمّد عليّ [1] في سنة 1924 إلى المتلوي قَصْدَ الاتّصالِ بعمّالِ ٱلْمَناجمِ فيها وتأسيسِ نَقَابَة [2] لهم . لكنّهم أعرضوا عنه بَادِئَ ٱلأَمْرِ إذ راجت بينهم أكاذيبُ مُفَادُهَا أنّ محمّد عليّ لا يَقْصِدُ إلاّ سَلْبَ أَمْوَالِهِمْ وَضَبْطَ أَسْمَائِهِمْ فردا فردا لِيَرْفَعَهَا إِلَى ٱلْحُكُومَةِ حتّى تَتَعَرَّفَ على ٱلْفارّين مِنَ ٱلْجُنديّةِ والمطلوبين مِنَ ٱلسُّلْطَةِ والأجانب الَّذين يجب إرجاعُهم إلى أوطانِهم الأصليّةِ . غَيْرَ أنّه ٱستطاع ٱلتَّغَلُّبَ على هذه ٱلأراجيفِ [3] وٱكتساب ثقةِ ٱلعمّالِ بفضلِ خطابٍ نَقْتَطِفُ منه هذه ٱلْفقراتِ :

* * *

« اِعْتَبِرُوا أَيُّهَا ٱلإِخْوَانُ بِأَنْفُسِكُمْ وَقُولُوا لِي : مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ ٱلَّتِي تَقْضُونَهَا فِي هَذَا ٱلْمَنْجَمِ تَحْتَ أَخْطَارِ ٱلسُّقُوطِ وَٱلْمَوْتِ حَرْقًا بِٱلْمَوَادِّ ٱلْمُلْتَهِبَة أَوْ رَدْمًا تَحْتَ ٱلأَدْمَاسِ [4] ؟ ثُمَّ مَا هِيَ حَيَاةُ السَّالِمِ مِنْكُمْ بِالرُّوحِ غَيْرَ مَعَاشٍ أَبْتَرَ [5] وَأَجْرٍ أَقْصَرَ ؟ هُوَ يَقُومُ بِنَفَقَةِ عَائِلَةٍ وَلاَ يَكْفِيهَا . فَيَقْضِي أَيَّامَهُ رَقِيقًا [6] لِدَائِنِيهِ . ضَعِيفَ ٱلنَّفْسِ خَائِرِ [7] ٱلْقُوَّةِ. ذَاهِلاً عَنْ وُجُودِهِ آيِسًا مِنَ نَفْسِهِ . لاَ يُبَالِي إِنْ وَقَعَ فِي ٱلشَّرِّ أَوْ وَقَعَ ٱلشَّرُّ فِيهِ . يَتَسَلَّى بِاللَّهْوِ ٱلْخَاسِرِ . يَدْفَعُ دَرَاهِمَهُ ثَمَنًا لِشُرْبِ ٱلسُّمُومِ . وَيَرْمِي بِهَا فِي بُؤْرَةِ [8] ٱلْمَيْسِرِ [9] لِتَمْضِيَةِ ٱلْوَقْتِ حَتَّى بِٱرْتِكَابِ ٱلآثَامِ وَٱلْجِنَايَاتِ .

هَا أَنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي ٱلآنَ فِي يَوْمِ رَاحَتِكُمْ ، فَلاَ أَرَى غَيْرَ وُجُود

مُنْقَبِضَةٍ مِنَ ٱلْبُؤْسِ . وَأَطْمَارٍ (10) مُرَقَّعَةٍ عَلَى ٱلأَجْسَادِ ... وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ بِأَعْيُنِكُمُ الأُورُوبِيِّينَ ٱلَّذِينَ يَشْتَغِلُونَ بِجِوَارِكُمْ كَيْفَ يَسْتَقْبِلُونَ أَيَّامَ رَاحَتِهِمْ كَالأَعْيَادِ . فَتُشَاهِدُونَ فِي غَيْرِكُمْ ٱلْحَيَاةَ ٱلَّتِي لاَ أَمَلَ لَكُمْ فِيهَا . وَمَا هِيَ إِلاَّ ضَرُورَةٌ لاَزِمَةٌ لَكُمْ لَوْ عَرَفْتُمْ ٱلطَّرِيقَ إِلَيْهَا .

لَقَدْ أَدْخَلُوا فِي أَذْهَانِكُمْ أَنِّي أَقْصِدُ أَخْذَ أَمْوَالِكُمْ وَأَخْذَ أَسْمَائِكُمْ لِلْجُنْدِيَّةِ فَرَاجَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ . وَلَكِنْ أَيُّ مَالٍ عِنْدَكُمْ حَتَّى يُسَافِرَ ٱلإِنْسَانُ مِنْ بَلَدٍ لآخَرَ لِيَأْخُذَهُ . وَهَلْ طَالِبُ ٱلْمَالِ يَجِدُهُ عِنْدَكُمْ ؟ ثُمَّ إِنَّكُمْ جَمِيعًا تَشْكُونَ قِلَّةَ ٱلأُجُورِ وَٱلإِحْتِيَاجَ النَّاتِجَ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ . فَرَأَيْتُ أَنَّ عِلاَجَكُمْ يَكُونُ بِتَأْسِيسِ نَقَابَةٍ لَكُمْ تَخْتَارُونَ أَعْضَاءَهَا مِنْ بَيْنِكُمْ ، وَيَكُونُ كُلُّ شَأْنِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ ، وَوَاجِبُنَا أَنْ نَتَعَهَّدَكُمْ بِٱلنَّصِيحَةِ وَٱلإِرْشَادِ لِمَا يَخُصُّكُمْ، لِتَفْهَمُوا جَلِيًّا مَعْنَى ٱشْتِرَاكِكُمْ مَعَ سَائِرِ نَقَابَاتِ ٱلْوَطَنِ ، فَتَبْذُلُوا جَمِيعًا جُهُودًا مُتَّحِدَةً تَعُودُ نَتَائِجُهَا لَكُم جَمِيعًا . فَهَلْ فِي هَذَا مَا يُخِيفُكُمْ ؟ ثُمَّ هَلْ تَظُنُّونَ أَنَّكُمْ تَشْتَغِلُونَ دُونَ أَنْ تُوضَعَ أَسْمَاؤُكُمْ فِي سِجِلِّ ٱلشُّغْلِ ؟ فَمَا ٱحْتِيَاجِي لأَخْذِهَا مِنْ أَفْوَاهِكُمْ لَوْ جِئْتُ لِهَذَا ٱلْعَمَلِ ؟ »

الطّاهر الحدّاد : العمّال التّونسيّون

الدّار التّونسيّة للنّشر، 1966

ص ص 176ـــ177

التّعريف بالكاتب :

الطّاهر الحدّاد (1901ـــ1935) أصيل حامّة قابس . ولد بتونس في عائلة متواضعة . درس بالكتاتيب ثمّ التحق بجامع الزّيتونة . إنخرط في مدرسة الحقوق لكنّه حرم من إجراء الامتحانات سنة 1930 .

كان للطّاهر الحدّاد نشاط سياسي وصحافي في نطاق الحزب الحرّ الدّستوري وكان له نشاط نقابي مهمّ فقد ساعد محمّد علي الحامي في تأسيس الحركة النّقابية

مؤلّفاته : العمّال التونسيّون ــ اِمرأتنا في الشريعة والمجتمع ــ خواطر . وله إلى جانب هذه الكتب المطبوعة مقالات سياسيّة واجتماعيّة وقصائد شعريّة .

الشّــرح :

(1) محمّد علي الحامّي : زعيم نقابي تونسي أسّس في سنة 1924 « جامعة عموم العملة » وهي منظّمة نقابيّة أرادها جامعة لشمل العمّال التّونسيّين مدافعة عن حقوقهم مستقلّة عن المنظّمات النقابيّة الفرنسيّة . نفته السّلط الاستعماريّة سنة 1925 إلى إيطاليا . ولكنّ إيطاليا أطردته فرحل إلى مصر ثمّ الحجاز حيث توفّي في حادث سيّارة سنة 1928 .

(2) النّقابة : هيئة اجتماعيّة تدافع عن حقوق منخرطيها . هناك نقابات الشّغالين ونقابات الأعراف .

(3) الأراجيف : الأخبار الزّائفة .

(4) الأدماس : مفردها اَلدَّمَسُ ــ والأدماس هي سقوف الأروقة المحفورة في المناجم .

(5) أبتر : صفة مشبّهة ــ بَتِرَ يَبْتَرُ بَتَرًا : كان مقطوعا .

(6) رقيقا : المقصود بها في النصّ أنّ هؤلاء العمّال كانوا تحت رحمة الدّائنين .

(7) خائر : صفة مشبّهة . خار الرّجل يخُور خُؤُورا وخَوَرًا : ضعُف . وكان فيه انكسار .

(8) بُؤْرَةٌ : اِسم ــ هي في الأصل مَوْقِدُ النّار أو الحُفرة عُمُومًا وأصبحت تستعمل في بعض السّياقات ــ كما في النصّ ــ لأماكن الفساد .

(9) اَلْمَيْسِرُ : القمار بأنواعه .

(10) الأطمار : مفردها طِمْرٌ وهو الثَّوْبُ ٱلْخَلَقُ البالي .

الأسئلـة :

1 ــ لماذا قصد محمّد علي في القسم الأوّل من الخطبة إلى أن يصف للعمّال وضعيّتهم ؟

2 ــ ما هي مختلف الجوانب التي ذكرها محمّد علي من وضعيّة عمّال المناجم ؟

3 ــ ما هي العلاقة بين الأوروبيّين والعمّال التونسيّين كما تبدو من النّصّ ؟

4 ــ ما هي العلاقة التي تكون بين العمّال في النّقابة حسب ما جاء في الفقرة الأخيرة من النّصّ ؟

88 ــ ضَحِيَّــةٌ

يَدُ عَلِيّ ٱبْنِ عَمِّي ٱبْتَلَعَتْهَا دَوَالِيبُ [1] ٱلْمُحَرِّكِ فِي ٱلْمَعْمَلِ ، وَمَضَغَتْ سَاعِدَهَا مَضْغًا .

تَوَقَّفَ ٱلشُّغْلُ مِنْ أَجْلِهِ سَاعَتَيْنِ ، لَعَنَ صَاحِبُ ٱلْمَصْنَعِ كُلَّ الْعَرَبِ وَكُلَّ الأَفَارِقَةِ ، لَمْ يَكُفَّ عَنْ ذَلِكَ إِلاَّ بَعْدَمَا حَمَلَتْ سَيَّارَةُ الإِسْعَافِ ٱلضَّحِيَّةَ إِلَى ٱلْمُسْتَشْفَى وَأَزَالَتْ آلَةُ ٱلتَّنْظِيفِ آثَارَ ٱللَّحْمِ ٱلْمَفْرُومِ ...

اِسْتَدْعَتِ ٱلشُّرْطَةُ نَاظِرَ ٱلْوَرْشَةِ لِلتَّحْقِيقِ فِي ٱلْحَادِثِ ، وَعَاقَبَهُ ٱلْمُدِيرُ عَلَى ٱلْغَفْلَةِ وَقِلَّةِ ٱلانْتِبَاهِ .

لَمْ يَكُنِ ٱلنَّاظِرُ مَسْؤُولاً عَمَّا حَدَثَ ، عَلِيٌّ وَحْدَهُ هُوَ ٱلْمُتَسَبِّبُ فِي مَا جَرَى . حَاوَلَ أَنْ يَنْتَشِلَ قِطْعَةً مِنَ ٱلْمَاعُونِ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ ، فَلَفَّتْهُ سِلْسِلَةُ ٱلدُّولاَبِ مِنْ كُمِّهِ ٱلْمُتَدَلِّي ، وأَدَارَتْ سَاعِدَهُ عَلَى ٱلْعَجَلَةِ كَمَا تُدَارُ ٱللِّفَافَةُ عَلَى ٱلتَّبْغِ ...

قَالَتْ زِينَةُ عِنْدَمَا سَمِعَت الْخَبَرَ :

« كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَنَّهُ لاَ مَخْرَجَ لَنَا مِنْ بَلَدِ ٱلشُّؤْمِ هَذَا إِلاَّ عَلَى ٱلأَلْوَاحِ [2] » .

حَاوَلْتُ أَنْ أُهَوِّنَ عَلَيْهَا أَمْرَ الْجُرْحِ ، وَلَكِنَّهَا عَلِمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مستَشْفَى أَنَّ يَدَ زَوْجِهَا قَدْ قُطِعَتْ مِنَ الْمِرْفَقِ وَأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ فِي إِمْكَانِهِ يَشْتَغِلَ فِي ٱلْمَعْمَلِ أَوْ أَنْ يَحْمِلَ الأَثْقَالَ وَيَسُوقَ ٱلشَّاحِنَاتِ .

نَزَلَتِ ٱلسِكِّينَةُ عَلَى قَلْبِ ٱبْنِ عَمِّي بَعْدَ قَطْعِ يَدِهِ . وَلاَقَى مِنَ الأَطِبَّاءِ مُمَرِّضِينَ وَالْمُمَرِّضَاتِ فِي ٱلْمُسْتَشْفَى عِنَايَةً وَحَدَبًا [3] أَنْسَيَاهُ حِقْدَهُ

عَلَى الْفَرَنْسِيِّينَ والفَرَنْسِيَّاتِ ، وَكَانَ يَقْضِي عَمَّا فِي نَفْسِهِ مِنْ حُزْنٍ عَلَى فِقْدَانِ آلَةِ رِزْقِهِ ...

زِينَةُ هِيَ الَّتِي تَمَلَّكَهَا الْجَزَعُ ، فَأَصْبَحَتْ تُعَكِّرُ عَلَيْنَا صَفْوَ فَرْحَتِنَا بِنَجَاةِ زَوْجِهَا مِنَ ٱلْمَوْتِ ...

قَالَتْ لِي عِنْدَمَا أَخْبَرْتُهَا بِمَا آلَتْ إِلَيْهِ قَضِيَّةُ ٱلتَّعْوِيضِ عَنِ ٱلسُّقُوطِ ٱلْبَدَنِيِّ مَعَ شَرِكَةِ ٱلتَّأْمِينِ :

« لَنْ تَكْفِيَنَا ٱلتَّعْوِيضَاتُ وَلاَ ٱلْحِ ، ٱنْقَطَعَ مِيزَابُ الرِّزْقِ الَّذِي كَانَ يَصُبُّ عَلَيْنَا صَبًّا فِي كُلِّ سُوقٍ » .

عَلِيّ يُدْرِكُ أَنَّ مَا سَيَتَقَاضَاهُ لاَ يُعَوِّضُهُ فِي شَيْءٍ عَنْ سَاعِدِهِ ٱلْمَقْطُوعَةِ وَلَكِنَّهُ ٱسْتَسْلَمَ لِلْقَضَاءِ ، وَإِنْ ظَلَّ قَلْبُهُ عَلَى زَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ وَفِكْرُهُ فِي مَصِيرِهِ ٱلْمَعُوقِ ...

اِخْتَارَتْ زِينَةُ يَدَ عَلِيٍّ الْجَدِيدَةَ بَعْدَ أَشْهُرٍ مِنَ الْحَادِثَةِ . عَلَّمَهَا ٱلطَّبِيبُ الْمُخْتَصُّ فِي تَقْوِيمِ الأَعْضَاءِ كَيْفِيَّةَ الْفَكِّ وَٱلتَّرْكِيبِ ، ثُمَّ أَعْطَاهَا كُتَيِّبًا صَغِيرًا فِي كَيْفِيَّةِ الاِسْتِعْمَالِ وَٱلصِّيَانَةِ ، وَعَنَاوِينَ مَرَاكِزِ الإِصْلاَحِ وَٱلتَّعْوِيضِ ...

عمر بن سالم

أبو جهل الدّهّاس

الدّار التّونسيّة للنّشر، 1984

ص ص 148ـ149

التّعريف بالكاتب :

عمر بن سالم : كاتب تونسيّ من مواليد 1932 بالمطويّة ، اهتمّ من خلال رواياته (دائرة الاختناق ، واحة بلا ظل ، أبو جهل الدهّاس ...) برصد مظاهر التّحوّل في المجتمع التّونسي ووصف ما نتج عنها في حياة الأفراد والجماعات . وتبدو اهتماماته تلك من خلال مسرحه أيضا (يوم اللاّت ، عشتاروت ...) .

الشّـرح :

(1) دَوَالِيب : جَمْع دُولاَب (وهي كلمة فارسية) : كُلُّ آلَةٍ تَدُورُ عَلَى مِحْوَرٍ .

(2) الأَلْوَاح : جمع لَوْح ، والمقصود هنا ، النَّعْشُ .

(3) الحَدَبُ : مصدر حَدِبَ عَلَيه : تَعَطَّفَ .

الأسئلـة :

1 ــ كيف تبدو لك العلاقة بين صاحب المصنع والعملة ؟ هل تجد في النّصّ ما يفسّر تلك العلاقة ؟

2 ــ هل تعتقد أن عليًّا وحده هو المتسبّب في ما جرى ؟

3 ــ إستخرج من النّصّ ما يوضّح موقف زينة ممّا أصاب عليّ وبيّن رأيك فيه ؟

4 ــ كُتِبَ النّصّ على شكل لوحات ومشاهد تبدو منفصلة عن بعضها بعضا . إستخرج ما يبيّن ــ رغم ذلك ــ الصّلة بينها .

89 ـ بَـابُ ٱلسَّعِيـرِ

تَضَايَقَ الْعَرَبِي الْحَمْدُونِي فِي الْبِدَايَةِ مِنَ الْبَنْطَلُونِ ، وَخَفَضَ مِنْ بَصَرِهِ شَاعِرًا بِالْحَرَجِ أَثْنَاءَ خُطُوَاتِهِ الأُولَى وَرَاءَ الْمُكَلِّفِ [1] ، وَأَحَسَّ بِالْحَسْرَةِ وَهُوَ يَنْسَلِخُ مِنْ جِلْبَابِهِ ٱلْفَضْفَاضِ وَيُلَمْلِمُ قَمِيصَهُ ٱلطَّوِيلَ لِيَدْخُلَ فِي حِزَامِ الْبَنْطَلُونِ وَعَانَى مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ الْمَرَارَةِ ، وَلَكِنَّهُ الْيَوْمَ يُعَانِي أَمَرَّ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَنْسَلِخُ عَنْ كُلِّ ثِيَابِهِ وَيَتْرُكُهَا فِي مُسْتَوْدَعِ الْمَلاَبِسِ لِيَرْبِطَ حَوْلَ وَسَطِهِ قِطْعَةَ خَيْشٍ [2] وَيَسِيرَ عَارِيًا إِلاَّ مِنْهَا وَرَاءَ الْمُكَلِّفِ كَأَنَّهُ يَخْطُو فِي قَاعَةِ حَمَّامٍ ... يَدْفَعُ الْمُكَلِّفُ مِصْرَاعَيْ بَابٍ مَرِنٍ لِيَلِجَ وَرْشَةَ الأَفْرَانِ، فَتَغِيبُ بِذَلِكَ ضَجَّةُ الأَوْرَاشِ الأُخْرَى كَمَا لَوْ كَانَتْ تَتَنَاهَى مِنْ أَطْرَافِ عَالَمٍ آخَرَ ، وَيُمْلأُ ٱلسَّمْعَ أَزِيزٌ [3] ثَقِيلٌ يَصْدُرُ عَنْ زَفِيرِ ٱلنِّيرَانِ دَاخِلَ الأَفْرَانِ ... الأَجْسَادُ تَنْصَهِرُ هُنَا فِي صَمْتٍ عَلَى سَمْفُونِيَّةٍ [4] أَزِيزٍ رَتِيبٍ. كُلُّ مَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يَتَبَيَّنَهُ هُنَا عَضَلاَتٌ مَشْدُودَةٌ مُتَوَرِّدَةٌ تَرْشَحُ عَرَقًا يَسِيلُ خُطُوطًا وَيَتَجَمَّعُ حُبَيْبَاتٍ عَلَى الْجِبَاهِ وَالأَكْتَافِ يُكْسِبُ الأَجْسَادَ لَمَعَانًا تَنْعَكِسُ بِهِ صُوَرُ بَعْضِهِمْ عَلَى أَجْسَادِ بَعْضٍ عَلَى ضَوْءِ الْمَصَابِيحِ الْقَوِيَّةِ . وَكُلَّمَا ٱنْفَتَحَ بَابُ ٱلسَّعِيرِ دَفَعَ عَامِلاَنِ إِلَى جَوْفِهِ عَرَبَةً مِنْ عَرَبَاتِ الْقَوَالِبِ ٱلسُّكَّرِيَّةِ ، تَسِيرُ بِهَا فِي أَتُّونِهِ [5] سِكَّةٌ آلِيَّةٌ مُتَحَرِّكَةٌ تَخْرُجُ بِهَا فِي الْجَانِبِ الآخَرِ ، حَيْثُ تَتَلَقَّاهَا فِئَةٌ أُخْرَى مِنْ ذَوِي الأَجْسَادِ الْعَارِيَةِ وَقَدْ أَضَافُوا إِلَى قِطَعِ الْخَيْشِ ٱلَّتِي تَلُفُّ أَوْسَاطَهُمْ قِطَعًا أُخْرَى ، لَفُّوهَا عَلَى أَيْدِيهِمْ لِتَقِيَهُمْ حَرَارَةَ الْعَرَبَاتِ الْكَاوِيَةِ عِنْدَمَا يَدْفَعُونَهَا حَالَ خُرُوجِهَا مِنَ الأَتُّونِ لِيَسِيرُوا بِهَا إِلَى سِلْسِلَةٍ أُخْرَى ، لِلتَّبْرِيدِ وفَصْلِ الْقَوَالِبِ الْمَعْدَنِيَّةِ عَنْ مُحْتَوَيَاتِهَا ... وَيَقْضِي نِظَامُ الْعَمَلِ فِي الأَفْرَانِ بِتَعَاوُنِ كُلِّ اثْنَيْنِ عَلَى دَفْعِ عَرَبَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذَا الْجَانِبِ أَوْ ذَاكَ . وَأَشَارَ الْمُكَلَّفُ

نَحْوَ عَرَبَةٍ يَدْفَعُهَا عَامِلٌ وَاحِدٌ ، فَانْدَفَعَ الْعَرَبِي يُقَلِّدُ الْعَامِلَ فِي طَرِيقَةِ الدَّفْعِ بِأَنْ أَوْلَى الْعَرَبَةَ ظَهْرَهُ ، وَلاَمَسَهَا بِصَفْحَةِ كَتِفَيْهِ ضَاغِطًا عَلَيْهَا بِكُلِّ ثِقَلِهِ بِجَانِبِ الْعَامِلِ الآخَرِ ... لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدُهُمَا الآخَرَ ، حَتَّى وَهُمَا يَعُودَانِ إِلَى عَرَبَةٍ أُخْرَى ، بَعْدَ أَنْ دَفَعَا بِالأُولَى إِلَى فُوهَةِ الْفُرْنِ وَانْغَلَقَ عَلَيْهَا بَابُهُ. كَانَ الْعَامِلُ الآخَرُ أَطْوَلَ مِنَ الْعَرَبِي وَأَخَفَّ مِنْهُ وَأَصْغَرَ سِنًّا ، لَكِنَّهُ بَادِي الْقُوَّةِ وَالْبَأْسِ ، وَمَضَتْ سَاعَاتٌ رَتِيبَةٌ أَحَسَّ الْعَرَبِي بَعْدَهَا بِأَلَمٍ فِي أَضْلاَعِهِ وَأَسْفَلِ بَطْنِهِ وَقَدْ تَقَاطَرَ عَرَقًا ... كَانَ يَدْفَعُ مَعَ صَاحِبِهِ إِحْدَى الْعَرَبَاتِ نَحْوَ الْفُرْنِ حِينَ بَادَرَهُ الآخَرُ وَقَدْ بَدَا مُهْتَمًّا بِحَالِهِ لأَوَّلِ مَرَّةٍ :

ـــ سِرْ ، اِشْرَبْ وَإِيَّاكَ أَنْ تُكْثِرَ ...

وَتَنَبَّهَ الْعَرَبِي بِالْفِعْلِ إِلَى أَنَّ حَلْقَهُ جَفَّ فَاتَّجَهَ إِلَى رُكْنٍ فِي الْوَرْشَةِ عَلَى بُعْدِ أَمْتَارٍ وَشَرِبَ جَرْعَتَيْنِ فَتَحَتَا فِيهِ شَهِيَّةً لِلاِرْتِوَاءِ ، إِلاَّ أَنَّهُ قَاوَمَهَا وَعَادَ إِلَى جَانِبِ صَاحِبِهِ . كَانَ صَوْتُ الْمُكَلِّفِ يَعْلُو حِينًا بَعْدَ حِينٍ نَاهِرًا أَوْ مُرْشِدًا بِحَمَاسٍ وَكَانَ أَحْيَانًا يُسَاعِدُ عَلَى دَفْعِ بَعْضِ الْعَرَبَاتِ ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ حُرًّا فِي ٱلتَّنَقُّلِ هُنَا وَهُنَاكَ وَقَدْ يَتَجَوَّلُ فِي وَرْشَةٍ مُجَاوِرَةٍ لِمُرَاقَبَةِ الْعَمَلِ. كَانَتْ وَرْشَةُ الأَفْرَانِ تَقَعُ مُبَاشَرَةً تَحْتَ إِشْرَافِ مَكْتَبٍ ذِي وَاجِهَةٍ زُجَاجِيَّةٍ ، يُطِلُّ عَلَيْهَا ، لَكِنَّهُ مَعْزُولٌ عَنْ جَوِّهَا ٱللاَّهِبِ ، وَكَانَ الْجَالِسُونَ يُرَاقِبُونَ مِنْهُ بِكُلِّ تَفْصِيلٍ مَا يَجْرِي حَوْلَ الأَفْرَانِ مِنْ عَمَلٍ ، وَيُصْدِرُونَ الأَوَامِرَ إِلَى ٱلْمُكَلِّفِ أَوْ يَصِيحُونَ بِالْعُمَّالِ مِنْ نَافِذَةٍ صَغِيرَةٍ تَنْفَتِحُ عَلَى الأَفْرَانِ ...

مبارك ربيع

الرّيح الشّتوية

مكتبة المعارف، الرّباط 1979

ص ص 225ـــ226

التعريف بالكاتب :

مبارك ربيع : قصّاص مغربي . اِشتهر في المغرب العربي على الخصوص بعد فوز روايته « الطّيّبون » بجائزة المغرب العربي للرّواية والقصّة القصيرة سنة 1971. وبعد ذلك فازت روايته « رفقة السّلاح والقمر » بالجائزة الأولى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة لسنة 1975 .

له رواية عنوانها « الرّيح الشّتويّة » ومجموعتان قصصيتان هما « سيّدنا قدر » و« دم ودخان » .

الشّـرح :

(1) المكلّف : اسم فاعل من كلّفه بالأمر : أوكله إليه ، والمقصود هنا : رئيس فريق من العملة .

(2) خيش : نسيج خشن من الكتّان .

(3) أزيز : مصدر أزّ ، والأزيز : صوت الرّعد .

(4) سمفونية : مقطوعة موسيقيّة تتكوّن من عدّة أجزاء ويشارك في أدائها عدد هام من العازفين .

(5) أتّون : موقد نار الحمّام ، ويطلق على موقد الفرن أيضا .

الأسئلـة :

1 ــ كيف تبدو لك ظروف العمل في مصنع السّكّر ؟ اِستخرج من النّصّ ما يؤيّد رأيك ؟

2 ــ بماذا يشبّه الكاتب الفرن ؟ اِستخرج من النّصّ ما يدلّ على ذلك ؟

3 ــ اِجمع ما يتعلّق بمشاعر العربي في واد وما يتعلّق بوصفه الجسدي في واد آخر وعلّق عليهما .

4 ــ كيف تبدو لك العلاقة بين العملة وغرفة المراقبة ؟

ـ 4 ـ وضعيّة المرأة قديما وحديثا

90 ــ ٱلْمَلِكَةُ أَرْوَى ٱلصُّلَيْحِيّ [1]

كَانَ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ يُخَاطِبُونَهَا بِلَقَبِ « ٱلْمَلِكَةِ ٱلْحُرَّةِ » حُبًّا لَهَا وَإِجْلاَلاً ، وَهْيَ « أَرْوَى بِنْتُ أَحْمَدَ بن مُحَمَّدٍ ٱلصُّلَيْحِيّ » . وُلِدَتْ سَنَةَ 440هـ.

كَانَتْ عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ مِنَ ٱلأَخْلاَقِ ٱلْفَاضِلَةِ إِلَى جَانِبِ مَا تَمَتَّعَتْ بِهِ مِنْ جَمَالِ ٱلْخِلْقَةِ ، فَكَانَتْ بَيْضَاءَ ٱللَّوْنِ مُشْرَبَةً بِحُمْرَةٍ ، مَدِيدَةَ ٱلْقَامَةِ، مُعْتَدِلَةَ الْبَدَنِ ، تَمِيلُ إِلَى ٱلسِّمْنَةِ ، كَامِلَةَ الْمَحَاسِنِ ، جَهْوَرِيَّةَ ٱلصَّوْتِ، قَارِئَةً كَاتِبَةً ، تَحْفَظُ الأَخْبَارَ وَٱلأَشْعَارَ وَٱلتَّوَارِيخَ وَأَيَّامَ ٱلْعَرَبِ [2] ، وَلَهَا تَعْلِيقَاتٌ وَهَوَامِشُ [3] عَلَى ٱلْكُتُبِ تَدُلُّ عَلَى غَزَارَةِ مَادَّتِهَا ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا : « بَلْقِيسُ ٱلْيَمَنِ ٱلصُّغْرَى » [4] لِرَجَاحَةِ عَقْلِهَا وَحُسْنِ تَدْبِيرِهَا وَٱمْتَازَتْ أَيْضًا بِٱلصَّلاَحِ وَٱلتُّقْوَى وَٱلْخِبْرَةِ الْوَاسِعَةِ وَالْمَعْرِفَةِ ٱلْفَائِقَةِ بِأَحْوَالِ النَّاسِ مِمَّا سَاعَدَهَا عَلَى إِدَارَةِ شُؤُونِ بِلاَدِهَا فِي ظُرُوفٍ حَرِجَةٍ أَحَاطَتْ بِالْبِلاَدِ الْيَمَنِيَّةِ .

بَدَأَتِ الْمَلِكَةُ أَرْوَى نَشَاطَهَا ٱلسِّيَاسِيَّ فِي عَهْدِ زَوْجِهَا الْمَلِكِ الْمُكَرَّمِ ، وَلَمَّا تُوُفِّي زَوْجُهَا سَنَةَ 477هـ ، حَمَلَتِ الْمَلِكَةُ أَرْوَى وَحْدَهَا عِبْءَ هَذِهِ ٱلْمَسْؤُولِيَّةِ الْجَسِيمَةِ ، وَأَصْبَحَت بِتَفْوِيضٍ [5] مِنَ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ ٱلإِمَامِ ٱلْمُسْتَنْصِرِ بِالله تَتَصَرَّفُ فِي أُمُورِ ٱلدَّوْلَةِ .

هَذَا وَتَدُلُّ سِيَاسَةُ ٱلْمُسْتَنْصِرِ هَذِهِ عَلَى بُعْدِ نَظَرٍ فِي ٱلأُمُورِ وَحُسْنِ إِدَارَةٍ، فَقَدْ رَفَضَ تَوْلِيَةَ سَبَأ بْنِ أَحْمَدَ الصُّلَيْحِيّ ٱلْمُلْكَ بِالرَّغْمِ مِنْ وَصِيَّةِ الْمُكَرَّمِ لَهُ ، وَوَلَّى عَلِيَّ بْنَ الْمُكَرَّمِ عَلَى رغم صِغَرِ سِنِّهِ ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ تَمَامَ الْعِلْمِ أَنَّ الْمَلِكَةَ أَرْوَى وَالِدَتَهُ لَهَا مِنَ الْقُوَّةِ وَالْكِفَايَةِ مَا يُمْكِنُ الاِعْتِمَادُ

عَلَيْهَا ، وَلاَ رَيْبَ فَهْيَ سَيِّدَةٌ عَرِيقَةُ الأَصْلِ كَرِيمَةُ ٱلْمَحْتِدِ [6] تَمَرَّنَتْ عَلَى إِدَارَةِ شُؤُونِ الْمَمْلَكَةِ فَكَانَتْ أَبْعَدَ نَظَرًا مِنَ الْمُلُوكِ ٱلرِّجَالِ أَنْفُسِهِمْ، وَقَدِ اِهْتَمَّتِ الْمَلِكَةُ بِرَعْيِ الْمَوَاشِي وَتَحْسِينِ ٱلنَّسْلِ لِكَيْ تُوَفِّرَ لِلشَّعْبِ بِمُخْتَلِفِ طَبَقَاتِهِ ٱللُّحُومَ وَالأَلْبَانَ ، بَلْ تُوَفِّرَ الْقُوَّةَ وَالْغِنَى ، فَقَدْ أُثِرَ عَنْهَا أَنَّهَا وَقَفَتْ [7] أَرَاضِيَ وَاسِعَةً فِي نَوَاحِي ذِي جَبَلَة وَحَقْلِ قَتَابَ تَصْرِفُ غَلاَّتِهَا فِي شِرَاءِ الْفُحُولِ مِنَ ٱلْبَقَرِ ، كَمَا وَقَفَتْ أَرَاضِيَ كَثِيرَةً ثَمِينَةً خِصْبَةً لِرَعْيِ ٱلْمَوَاشِي ، وَهَذِهِ الأَوْقَافُ لاَ تَزَالُ مَوْجُودَةً إِلَى الآنِ وَمَعْرُوفَةً بِٱسم « أَوْقَافِ السَّيِّدَةِ » .

وَعَرَفَتِ ٱلْمَلِكَةُ أَرْوَى ٱلتِّجَارَةَ مَرْفَقًا هَامًّا مِنْ مَرَافِقِ [8] الاقْتِصَادِ الْوَطَنِيِّ ، وَأَنَّ هَذَا الْمَرْفَقَ يَعْتَمِدُ عَلَى ٱلْمُوَاصَلاَتِ وَهْيَ ٱلدِّعَامَةُ الْكُبْرَى لِتَسْهِيلِ نَقْلِ الْحَاصِلاَتِ وَالْوَارِدَاتِ ، فَعَبَّدَتِ ٱلطَّرِيقَ مِنْ رَأْسِ جَبَلِ سِمَارَةَ إِلَى السِّيافي عَلَى مَسَافَةِ ثَلاَثِ مَرَاحِل [9] وَيُعَدُّ هَذَا أَوَّلَ ٱلطُّرُقِ ٱلزِّرَاعِيَّةِ الْمُمَهَّدَةِ فِي ٱلْيَمَنِ وَأَكْثَرَهَا فَائِدَةً إِلَى الآنِ .

وَأَوْلَتْ عِنَايَتَهَا أَيْضًا لِحَرَكَةِ الْبِنَاءِ وَٱلتَّعْمِيرِ الَّتِي تُعَدُّ دِعَامَةً قَوِيَّةً مِنْ دَعَائِمِ ٱسْتِقْرَارِ ٱلْحُكْمِ وَرِضَا ٱلشُّعُوبِ ، فَأَنْشَأَتِ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَدَارِسِ وَمِنْهَا مَدْرَسَةٌ لِتَدْرِيسِ ٱلصَّحِيحَيْنِ [9] بِذِي جَبَلَة ، وَأَنْشَأَتِ الْمَصَالِحَ ٱلْعَامَّةَ الْمُتَعَدِّدَةَ ، وَبَنَتِ الْمَسَاجِدَ وَالْمِصَحَّاتِ ، فَهْيَ الَّتِي وَسَّعَتْ جَامِعَ صَنْعَاءَ ، وَأَضَافَتْ إِلَيْهِ ٱلْجَنَاحَ الشَّرْقِيَّ وَصَمَّمَتْ عِمَارَتَهُ وَزَيَّنَتْهُ .

يُضَافُ إِلَى كُلِّ مَا ذَكَرْنَا مِنْ فَضَائِلِهَا وَأَعْمَالِهَا وَسِيَاسَتِهَا أَنَّهَا مَنَحَتْ رَعَايَاهَا فِي الْبِلاَدِ الْيَمَنِيَّةِ حُرِّيَّةَ الاِعْتِقَادِ فَلَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ أَيُّ ضَغْطٍ عَلَى أَحَدٍ بِسَبَبِ ٱلدِّينِ وَسَاوَتْ بَيْنَ كُلِّ رَعَايَا دَوْلَتِهَا فَأَصْبَحَ لِلْيَمَنِ سُمْعَةٌ عَالِيَةٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَكَانَ هَذَا مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي تُفَاخِرُ بِهَا الْمُلُوكَ ، فَهْيَ

تَسْتَهْدِفُ مَصْلَحَةَ ٱلشَّعْبِ وَإِتَاحَةَ الْفُرْصَةِ لِجَمِيعِ الْكِفَايَاتِ فِي بِنَاءِ الْوَطَنِ الَّذِي كَانَتِ الْمَلِكَةُ أَرْوَى تَعُدُّهُ ملكًا لِلشَّعْبِ وَلَيْسَ لِنَفْسِهَا أَوْ لأُسْرَتِهَا .

عن عارف تامر : أروى بنت اليمن

سلسلة اِقرأ ، عدد 330

دار المعارف بمصر، سنة 1970

ص ص 116ـــ151

التّعريف بالكاتب :

عارف تامر : أديب ومؤرّخ سوريّ معاصر. ألّف كتبا في تاريخ الحركة الاسماعيلية ونشر أقاصيص عديدة .

الشّـرح :

(1) الصُّلَيْحِي : نسبة إلى بني صُلَيح وهي سلالة حكمت اليمن في عهد الدّولة الفاطميّة .

(2) أيّام العرب : هي أخبار تقصّ ما كان بين القبائل العربيّة في الجاهليّة من حروب مشهورة .

(3) الهوامش : مفردها هامش وهو حاشية الكتاب . وتطلق كلمة « هوامش » على ما يسجّل في حاشية الكتاب من تفسير أو تعليق .

(4) بلقيس الكبرى : ملكة شهيرة وليت اليمن . وقويت بلادها في عهدها فزحفت إلى بابل وفارس . ولقد ورد ذكر هذه الملكة في القرآن الكريم .

(5) تفويض : مصدر ـــ فوّض إليه الأمر : رخّص له التّصرّف فيه نيابة عنه.

(6) المحتد : اِسم ـــ معناه الأصل .

(7) وَقَفَتْ : وقَف الأرضَ على المساكين أي جعل مداخيلها لهم .

(8) مَرَافِق : إسم مفرده مَرْفِق وهو ما يُستعان به من وسائل .

(9) مراحل : إسم مفرده مرحلة وهي المسافة التي يقطعها الرّاجل في اليوم .

الأسئلـة :

1 ــ ما هي مكوّنات ثقافة الملكة « أروى » حسب ما جاء في النّصّ ؟

2 ــ ما هي الميادين التي اهتمّت بها الملكة « أروى » أثناء حكمها ؟ وماذا تستخلص من ذلك عن سياستها ؟

3 ــ إستخرج من النّصّ الخصال التي جعلت الملكة « أروى » تحسن تدبير شؤون البلاد .

4 ــ إستخرج من النّصّ ما يشير إلى موقف أهل اليمن من هذه الملكة .

5 ــ ماذا يمكن لك أن تستخلص من هذا النّصّ عن وضعيّة المرأة في تاريخنا ؟

6 ــ هل تعرف امرأة أخرى من شهيرات النّساء في تاريخنا ؟

91 ــ أَمِينَــةُ

عِنْدَ مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ ٱسْتَيْقَظَتْ وَهْيَ الْعَادَةُ ٱلَّتِي تُوقِظُهَا فِي هَذِهِ ٱلسَّاعَةِ : عَادَةٌ قَدِيمَةٌ صَاحَبَتْ شَبَابَهَا مُنْذُ مَطْلَعِهِ وَلاَ تَزَالُ تَسْتَأْثِرُ [1] بِكُهُولَتِهَا، تَلَقَّنَتْ فِيمَا تَلَقَّنَتْ مِنْ آدَابِ ٱلْحَيَاةِ ٱلزَّوْجِيَّةِ أَنْ تَسْتَيْقِظَ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ لِتَنْتَظِرَ بَعْلَهَا حِينَ عَوْدَتِهِ مِنْ سَهْرَتِهِ فَتَقُومَ عَلَى خِدْمَتِهِ حَتَّى يَنَامَ .

كَانَتْ حِينَ زَوَاجِهَا فَتَاةً صَغِيرَةً دُونَ ٱلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهَا ، فَسُرْعَانَ مَا وَجَدَتْ نَفْسَهَا عَقِبَ وَفَاةِ حَمَاتِهَا وَسَيِّدِهَا ٱلْكَبِيرِ رَبَّةً لِلْبَيْتِ ٱلْكَبِيرِ، تُعَاوِنُهَا عَلَى أَمْرِهِ ٱمْرَأَةٌ عَجُوزٌ تُغَادِرُهَا عِنْدَ جُثُومِ [2] ٱللَّيْلِ لِتَنَامَ فِي حُجْرَةِ ٱلْفُرْنِ بِالْفِنَاءِ تَارِكَةً إِيَّاهَا وَحِيدَةً فِي دُنْيَا ٱللَّيْلِ ٱلْحَافِلَةِ بِالأَرْوَاحِ وَالأَشْبَاحِ ، تَغْفُو [3] سَاعَةً وَتَأْرَقُ [4] أُخْرَى حَتَّى يَعُودَ ٱلزَّوْجُ الْعَتِيدُ [5] مِنْ سَهْرَةٍ طَوِيلَةٍ.

وَلَشَدَّ مَا كَانَتْ تَخَافُ ٱللَّيْلَ فِي عَهْدِهَا الأَوَّلِ بِهَذَا الْبَيْتِ ، فَلَمْ يَغِبْ عَنْهَا ــ هِيَ الَّتِي عَرَفَتْ عَنْ عَالَمِ الْجِنِّ أَضْعَافَ مَا تَعْرِفُهُ عَنْ عَالَمِ ٱلإِنْسِ ــ أَنَّهَا لاَ تَعِيشُ وَحْدَهَا فِي ٱلْبَيْتِ ٱلْكَبِيرِ وَأَنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَضِلَّ طَوِيلاً عَنْ هَذِهِ الْحُجُرَاتِ الْقَدِيمَةِ الْوَاسِعَةِ الْخَالِيَةِ .

ثُمَّ جَاءَ ٱلأَبْنَاءُ تِبَاعًا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَوَّلَ عَهْدِهِمْ بِالدُّنْيَا لَحْمًا طَرِيًّا لاَ يُبَدِّدُ خَوْفًا وَلاَ يُطَمْئِنُ جَانِبًا ، وَعَلَى ٱلْعَكْسِ ضَاعَفَ مِنْ خَوْفِهَا بِمَا أَثَارَ فِي نَفْسِهَا ٱلْمُتَهَافِتَةِ مِنْ إِشْفَاقٍ عَلَيْهِمْ وَجَزَعٍ أَنْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ . فَكَانَتْ تَحْوِيهِمْ بِذِرَاعَيْهَا وَتَغْمُرُهُمْ بِأَنْفَاسِ ٱلْعَطْفِ وَتُحِيطُهُمْ فِي ٱلْيَقْظَةِ وَٱلْمَنَامِ بِدِرْعٍ مِنَ ٱلسُّوَرِ وَالأَحْجِبَةِ وَٱلرُّقَى [6] وَٱلتَّعَاوِيذِ [7] ، أَمَّا ٱلطُّمَأْنِينَةُ ٱلْحَقَّةُ فَلَمْ تَكُنْ لِتَذُوقَهَا حَتَّى يَعُودَ ٱلْغَائِبُ مِنْ سَهْرَتِهِ.

أَجَلْ كَانَ مُجَرَّدُ وُجُودِهِ بِالْبَيْتِ ــ صَاحِيًا أَوْ نَائِمًا ــ كَفِيلاً بِبَثِّ ٱلسَّلاَمِ فِي نَفْسِهَا ، فُتِحَتِ الأَبْوَابُ أَمْ أُغْلِقَتْ ، ٱشْتَعَلَ ٱلْمِصْبَاحُ أَمْ خَمَدَ. وَقَدْ خَطَرَ لَهَا مَرَّةً ، فِي الْعَامِ ٱلأَوَّلِ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ ، أَنْ تُعْلِنَ نَوْعًا مِنَ الإِعْتِرَاضِ الْمُؤَدَّبِ عَلَى سَهَرِهِ ٱلْمُتَوَاصِلِ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلاَّ أَنْ أَمْسَكَ بِأُذُنَيْهَا وَقَالَ لَهَا بِصَوْتِهِ ٱلْجَهْوَرِي فِي لَهْجَةٍ حَازِمَةٍ : « أَنَا رَجُل ، الآمِرُ ٱلنَّاهِي، لاَ أَقْبَلُ عَلَى سُلُوكِي أَيَّةَ مُلاَحَظَةٍ ، وَمَا عَلَيْكِ إِلاَّ ٱلطَّاعَةُ ، فَحَاذِرِي أَنْ تَدْفَعِينِي إِلَى تَأْدِيبِكِ » ، فَتَعَلَّمَتْ مِنْ هَذَا ٱلدَّرْسِ وَغَيْرِهِ مِمَّا لَحَقَ بِهِ أَنَّهَا تُطِيقُ كُلَّ شَيْءٍ ــ حَتَّى مُعَاشَرَةَ الْعَفَارِيتِ ــ إِلاَّ أَنْ يُحَمِّرَ لَهَا عَيْنَ ٱلْغَضَبِ، فَعَلَيْهَا ٱلطَّاعَةُ بِلاَ قَيْدٍ وَلاَ شَرْطٍ ، وَقَدْ أَطَاعَتْ ، وَتَفَانَتْ فِي ٱلطَّاعَةِ حَتَّى كَرِهَتْ أَنْ تَلُومَهُ عَلَى سَهَرِهِ وَلَوْ فِي سِرِّهَا ، وَوَقَرَ [8] فِي نَفْسِهَا أَنَّ ٱلرُّجُولَةَ الْحَقَّةَ وَالإِسْتِبْدَادَ وَٱلسَّهَرَ إِلَى مَا بَعْدَ مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ صِفَاتٌ مُتَلاَزِمَةٌ لِجَوْهَرٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ ٱنْقَلَبَتْ مَعَ الأَيَّامِ تُبَاهِي بِمَا يَصْدُرُ عَنْهُ سَوَاءٌ مَا يَسُرُّهَا أَوْ يُحْزِنُهَا ، وَظَلَّتْ عَلَى جَمِيعِ الأَحْوَالِ ٱلزَّوْجَةَ الْمُحِبَّةَ ٱلْمُطِيعَةَ الْمُسْتَسْلِمَةَ . وَلَمْ تَأْسَفْ يَوْمًا عَلَى مَا ٱرْتَضَتْ لِنَفْسِنَا مِنَ ٱلسَّلاَمَةِ وَٱلتَّسْلِيمِ .

* * *

تَنَهَّدَتْ فِي ٱرْتِيَاحٍ وَغَمْغَمَتْ « أَخِيرًا ... » هَا هِيَ عَرَبَةُ أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ تُوصِلُهُ بَعْدَ ٱلسَّهْرَةِ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ ٱلْكَبِيرِ .

وَٱنْتَهَى ٱلرَّجُلُ إِلَى مَوْقِعِهَا فَرَاحَتْ تَتَقَدَّمُهُ رَافِعَةً ٱلْمِصْبَاحَ ، فَتَبِعَهَا وَهُوَ يُتَمْتِمُ :

ــ مَسَاءَ الْخَيْرِ يَا أَمِينَةُ .

فَقَالَتْ بِصَوْتٍ خَفِيضٍ يَنِمُّ عَنِ ٱلأَدَبِ وَٱلْخُضُوعِ :

ـــ مَسَاءَ ٱلْخَيْرِ يَا سَيِّدِي .

وفي ثَوَانٍ اِحْتَوَتْهُمَا ٱلْحُجْرَةُ وَرَاحَتْ تَخْلَعُ حِذَاءَهُ وَجَوربَيْهِ وَوَضَعَتِ ٱلطَّسْتَ عِنْدَ قَدَمَيْهِ وَوَقَفَتْ وَٱلإِبْرِيقُ فِي يَدِهَا عَلَى أُهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ فَٱسْتَوَى ٱلسَّيِّدُ فِي جِلْسَتِهِ وَمَدَّ لَهَا يَدَيْهِ فَصَبَّتْ لَهُ ٱلْمَاءَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ وَتَمَضْمَضَ طَوِيلاً ، ثُمَّ تَنَاوَلَ ٱلْمِنْشَفَةَ وَمَضَى يُجَفِّفُ رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ وَيَدَيْهِ بَيْنَمَا حَمَلَتِ ٱلْمَرْأَةُ الطَّسْتَ وَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى ٱلْحَمَّامِ . كَانَتْ هَذِهِ ٱلْخِدْمَةُ آخِرَ مَا تُؤَدِّي مِنْ خَدَمَاتٍ ، فِي الْبَيْتِ ٱلْكَبِيرِ ، وَقَدْ وَاظَبَتْ عَلَيْهَا رُبْعَ قَرْنٍ مِنَ ٱلزَّمَانِ بِهِمَّةٍ لاَ يَعْتَرِيهَا ٱلْكَلاَلُ ، بَلْ فِي سُرُورٍ وَٱنْشِرَاحٍ ، وَبِنَفْسِ ٱلْحَمَاسِ ٱلَّذِي يَسْتَفِزُّهَا إِلَى ٱلنُّهُوضِ بِوَاجِبَاتِ ٱلْبَيْتِ الأُخْرَى مِنْ قُبَيْلِ مَطْلَعِ ٱلشَّمْسِ حَتَّى مَغِيبِهَا ، فَٱسْتَحَقَّتْ مِنْ أَجْلِهِ أَنْ يُطْلِقَ عَلَيْهَا جَارَاتُهَا اِسْمَ « النَّحْلَة » لِدَأْبِهَا (9) وَنَشَاطِهَا الْمُتَوَاصِلَيْنِ .

وَعَادَتْ إِلَى ٱلْحُجْرَةِ فَأَغْلَقَتِ ٱلْبَابَ وَسَحَبَتْ مِنْ تَحْتِ ٱلسَّرِيرِ حَصِيرًا فَوَضَعَتْهُ وَتَرَبَّعَتْ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ تَكُنْ تَرَى لِنَفْسِهَا ٱلْحَقَّ فِي أَنْ تَجْلِسَ إِلَى جَانِبِهِ تَأَدُّبًا ، وَمَضَى الْوَقْتُ وَهْيَ مُلاَزِمَةٌ ٱلصَّمْتَ حَتَّى يَدْعُوَهَا إِلَى ٱلْكَلاَمِ فَتَتَكَلَّمَ . وَتَرَاخَى ظَهْرُ ٱلسَّيِّدِ إِلَى مِسْنَدِ ٱلْكَنَبَةِ ، وَبَدَا عَقِبَ سَهْرَتِهِ الطَّوِيلَةِ مُتْعَبًا فَثَقُلَ جَفْنَاهُ اللَّذَانِ جَرَى فِي أَطْرَافِهِمَا ٱحْمِرَارٌ طَارِئٌ .

نجيب محفوظ : بين القصرين

مكتبة مصر : بدون تاريخ النّشر

ص ص 5ـــ14

التّعريف بالكاتب :

نجيب محفوظ : روائي مصريّ شهير ولد سنة 1911 بأحد الأحياء الشّعبيّة في القاهرة . تحصّل على الإجازة في الفلسفة . كتب الرّوايات التّاريخيّة والواقعيّة والذّهنيّة ووصف فيها جميعا تطوّر المجتمع المصريّ في العصر الحديث .

من أهم رواياته : خان الخليلي ــ الثّلاثية (بين القصرين ــ قصر الشّوق ــ السّكّريّة) ــ زُقاق المدقّ ــ ثرثرة فوق النّيل ــ الشّحّاذ .

ولقد ترجمت رواياته إلى لغات عديدة . وهو أوّل أديب عربي يحرز على جائزة نوبل للآداب وذلك في أكتوبر 1988 .

الشّــرح :

(1) تستأثر : مضارع اِستأثر بالشّيء : خصّ به نفسه .

(2) جُثُوم : مصدر جثَم ــ يجثُم الحيوانُ والإنسانُ : لزم مكانه فلم يبرحه أو لصق بالأرض . واللّيل : اِنتصف .

(3) تَغْفُو : مضارع غَفَا : نام نَومةً خفيفةً .

(4) تأرق : مضارع أَرِقَ ــ أَرَقًا : اِمتنع عنه النّومُ ليلا .

(5) العتيدُ : صفة مشبّهة من عتُد ــ يَعْتُدُ ــ عَتَادًا وَعَتَادَةً : الشّديد التّام الخَلْقِ .

(6) الرُّقَى : مفردها رُقية ، هي أن يُستعانَ للحصول على أمرٍ بقوًى تفوق القوى الطبيعيّة في زعمهم .

(7) التّعاويذ : مفردُها تَعْوِيذٌ : ما يُكتب ويُعَلّق على الإنسان ليقيه في زعمهم من الجنون أو العين ...

(8) وَقَرَ : يَقِرُ وَقْرًا : ثبت .

(9) دَأْبُها : مصدر دَأَبَ في العَمَل يَدْأَبُ : جدَّ وتعب .

الأسئلـة :

1 ــ بِم ٱبتدأ النّصّ وبِمَ ٱنتهى وهل جعل ذلك منه وحدة قصصيّة ؟

2 ــ ماهي أسباب الخوف المختلفة بالنّسبة إلى هذه المرأة ؟

3 ــ ما نوع ثقافة هذه المرأة ؟ وما هي القرائن الدّالة على ذلك في النّصّ ؟

4 ــ بيّن بالاستناد إلى النّصّ موقف هذه المرأة من وضعيتها .

5 ــ في النّصّ إشارة إلى نموذج آخر من النّساء ما هو ؟ وكيف كانت وضعيّته ؟ وبِمَ تفسّرها ؟

6 ــ يصوّر النّصّ وضعيّة المرأة المصريّة (والعربيّة عامّة) في بداية هذا القرن فما هي العوامل التي جعلت هذه المرأة تتحوّل عن وضعيّتها تلك ؟

92 ــ دَعِيهِ يَنَمْ ...

كَانَتِ ٱلْخَالَةُ ٱمْرَأَةً مُمْتَلِئَةَ ٱلْجِسْمِ ، يَتَحَرَّكُ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا بِمُفْرَدِهِ ، وَهِيَ تَطْلَعُ دُرُجَ ٱلسُّلَّمِ لاَهِثَةً ، شَاخِرَةً ، تَتَصَبَّبُ عَرَقًا ، وَهِيَ تَصْرُخُ مُدَاعِبَةً ٱبْنَةَ أُخْتِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرَاهَا :

ــ أَيْنَ أَنْتِ ؟ أَيْنَ ؟ مَا هَذَا بِسُلَّمٍ ! هَذَا ٱلصِّرَاطُ ! أَيْنَ أَنْتِ يَا فَتَاتِي؟ لَعَنَ ٱللَّهُ هَذَا ٱلشَّحْمَ ٱلَّذِي يَعُوقُنِي عَنِ ٱلتَّنَفُّسِ .

ــ خَالَتِي ! سَلاَمَتُكِ يَا خَالَتِي ! تَفَضَّلِي ، هُوَ ذَا ٱلْمَقْعَدُ الَّذِي يُرِيحُكِ، وَيُرِيحُ شَحْمَكِ . لَكِنْ دَعِينِي أُقَبِّلُكِ .

وَتُقَبِّلُهَا ، وَتَجْلِسُ ٱلْخَالَةُ عَلَى ٱلْمَقْعَدِ ، وَهِيَ تُزِيحُ عَنْ وَجْهِهَا ٱلْعِصَابَةَ ٱلسَّوْدَاءَ . وَتَتَفَرَّسُ قَلِيلاً فِي وَجْهِ زَكِيَّةَ ٱبْنَةِ أُخْتِهَا وَتَسْأَلُهَا :

ــ مَا هَذَا ؟ مَا لِعَيْنَيْكِ مُوَرَّمَتَيْنِ ؟ أَكُنْتِ تَبْكِينَ ؟

ــ هُوَ ذَاكَ ... لاَ يُمْكِنُ أَنْ أُخْفِيَ عَنْكِ شَيْئًا يَا خَالَتِي .

ــ مَا أَبْكَى عَزِيزَتِي ؟ مَا أَبْكَى صَغِيرَتِي ؟ قُولِي لِخَالَتِكِ ٱلْحَنُونِ . اِحْكِي لِخَالَتِكِ كَيْفَ تَعِيشِينَ ... مَعَ ...

ــ كَمَا وَدَدْتِنِي أَنْ أَعِيشَ فِي جَهَنَّمَ مُنْذُ أَلْقَيْتِ بِي فِي جَحِيمِ هَذَ ٱلزَّوَاجِ ...

ــ هَذَا زَوْجُكِ ...

ــ زَوْجِي ؟ قُولِي جَلاَّدِي ، فَقَلْبُهُ قَلْبُ جَلاَّدٍ ... وَهُوَ يَقْتُلُ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا مِنِّي ...

ـ خَفِّفِي عَنْكِ ... اِحْكِي ٱلأَوَّلَ بِٱلأَوَّلِ مَا وَقَعَ بَيْنَكُمَا ...

ـ إِنَّهُ رَجُلٌ خَبِيثٌ أَحْمَقُ ، سِكِّيرٌ يَسْكَرُ كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَلاَ يَأْتِي بَعْدَ كُلِّ مُنْتَصَفِ لَيْلٍ إِلاَّ لِيُعَرْبِدَ عَلَيَّ وَعَلَى طِفْلِي . آه ! لَوْ لَمْ يَكُنْ حَمَّادِي ٱبْنُنَا بَيْنَنَا !

ـ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ! أَعوذُ بِٱللَّهِ ! هَذَا شَيْطَانٌ ! ...

تَقُولُ ٱلْخَالَةُ هَذَا ، وَهِيَ تَنْظُرُ شَزْرًا [1] إِلَى بَابِ غُرْفَةِ ٱلنَّوْمِ ٱلْمُوصَدِ [2] كَأَنَّهَا تَسْأَلُ قَرِينَتَهَا بِعَيْنِهَا إِنْ كَانَ مَا زَالَ نَائِمًا أَمْ هَلْ خَرَجَ لِتَعْرِفَ أَيَّ طَرِيقٍ تَسْلُكُ فِي نَقْدِهَا لَهُ ؟

وَتُجِيبُ زَكِيَّةُ :

ـ إِنَّهُ لاَ يَصْحُو إِلاَّ بَعْدَ مُنْتَصَفِ ٱلنَّهَارِ ... عَلَى عَادَتِهِ وَإِنْ صَحَا، فَلِكَيْ يَنَامَ ثَانِيًا !

ـ يَنَامُ ؟

ـ بَيْنَ ٱلْكُتُبِ وَٱلْجَرَائِدِ ٱلَّتِي تَأْخُذُ كُلَّ وَقْتِهِ . فَإِنَّهُ لاَ يُكَلِّمُنِي إِلاَّ وَهُوَ سَكْرَانُ . فَإِنْ صَحَا فَهُوَ لِلْكُتُبِ وَٱلأَوْرَاقِ . هِيَ ذَا تَمْلأُ كُلَّ ٱلْغُرَفِ. وَٱلْوَيْلُ لِي إِنْ فَقَدَ مِنْهَا وَرَقَةً . لَيْتَكِ زَوَّجْتِنِي أُمِّيًّا مِثْلِي ! إِنَّ عِشْرَةَ هَذَا لاَ تُطَاقُ .

ـ لاَ تُطَاقُ !

ـ تَصَوَّرِي أَنَّهُ رَجَعَ لَيْلَةَ أَمْسِ يَتَرَنَّحُ سُكْرًا ، وَرَائِحَتُهُ كَرَائِحَةِ ٱلنَّسْنَاسِ ، وَعَثَرَتْ رِجْلُهُ بِكِتَابٍ أَلْقَاهُ ٱلطِّفْلُ ٱلْمِسْكِينُ ، وَلَمْ أَنْتَبِهْ لَهُ ، فَصَبَّ جَامَ [3] غَضَبِهِ عَلَى ٱلطِّفْلِ ، وَلَطَمَهُ لَطْمَةً كَادَتْ تُخْرِجُ رُوحَهُ ،

وَوَدَدْتُ آفْتِكَاكَهُ مِنْهُ ...

ــ آلطِّفْلَ أَمِ آلْكِتَابَ ؟

ــ آلطِّفْلَ يَا خَالَتِي ! ... حَمَّادِي ! ... فَلَطَمَنِي أَنَا بِدَوْرِي !

ــ كَيْفَ لَطَمَكِ أَنْتِ ، وَلاَ تَقُولِينَ لِي هَذَا مِنَ آلأَوَّلِ ؟ آطْلُبِي طَلاَقَكِ مِنْهُ ؟ قُلْتُ لَكِ ... إِذْ لَيْسَ بَعْدَ آللَّطْمِ مِنْ مُعَاشَرَةٍ !

ــ آلطَّلاَقُ هُوَ ذَاكَ .

ــ أَتَصْبُرِينَ عَلَى مُعَاشَرَةِ هَذَا آلْفَظِّ ؟! قُلْتِ : إِنَّهُ أَحْمَقُ ، قُلْنَا لاَ بَأْسَ كَكُلِّ آلرِّجَالِ . قُلْتِ : إِنَّهُ يُسَمِّيكِ بِأَسْمَاءِ آلْبَهَائِمِ ، قُلْنَا لاَ بَأْسَ سَيُغَيِّرُ نُعُوتَهُ وَتَحْسُنُ مُعَاشَرَتُكِ لَهُ ، قُلْتِ : إِنَّهُ سِكِّيرٌ ، قُلْنَا : لاَ بَأْسَ سَتَنْتَفِخُ كَبِدُهُ وَيَتْرُكُ آلْخَمْرَةَ . قُلْتِ : إِنَّهُ يُحِبُّ مُطَالَعَةَ آلْكُتُبِ ، قُلْنَا : لاَ بَأْسَ وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ ضَرَائِرَ لَكِ إِلاَّ أَنَّهَا أَخَفُّ وَطْأَةً مِنْ ضَرَّةٍ بَشَرِيَّةٍ وَاحِدَةٍ. لَكِنْ وَصَلْنَا لِسُوءِ آلْمُعَاشَرَةِ وَآلضَّرْبِ ... آطْلُبِي طَلاَقَكِ ، وَأَنَا آلضَّمِينَةُ بِحُصُولِكِ عَلَيْهِ مِنْ أَقْرَبِ آلسُّبُلِ .

ــ كَيْفَ يَا خَالَتِي ؟

ــ إِنْ كَانَ دَمُكِ هَذَا دَمًا مِثْلَ آلَّذِي يَجْرِي فِي عُرُوقِي (تَقُولُ هَذَا وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى مِعْصَمَيْهَا آلْمُكْتَنِزَيْنِ ، وَآلَّتِي ضَاقَتْ بِهِمَا آلأَسْوِرَةُ آلْفِضِيَّةُ) إِنْ لَمْ يَكُنْ دَمُكِ مَاءً وَسُكَّرًا وَعَصِيرَ بُرْتُقَالٍ ، وَإِنْ كُنْتِ حَقًّا اِبْنَةَ اللَّبُوَةِ مُنْجِيَّةَ أُخْتِي ــ رَحِمَهَا اللهُ ــ فَسَتَقُومِينَ تَوًّا إِلَى لَمِّ أَدْبَاشِكِ وَتَخْرُجِينَ مَعِي آلآنَ . وَعَلَيَّ أَنَا آلْبَاقِي .

ــ خَالَتِي لاَ تَرْفَعِي صَوْتَكِ !

وَتَتَحَمَّسُ ٱلْخَالَةُ . وَيَهْتَزُّ كُلُّ جِسْمِهَا ٱهْتِزَازًا لاَ تُجِيدُهُ إِلاَّ ٱلْمَرْأَةُ لشَّعْبِيَّةُ ، وَهِيَ غَضْبَى . وَتَصْرُخُ :

ــ لاَ أَرْفَعُ صَوْتِي ؟ سَأَرْفَعُ صَوْتِي وَيَدِي ! لاَ أَرْفَعُ صَوْتِي ؟ وَلِمَاذَا مِنْ فَضْلِكِ ؟

ــ لِئَلاَّ تُزْعِجِي ... تُزْعِجِيهِ !

ــ أُزْعِجُ مَنْ ؟

ــ هُوَ . دَعِيهِ يَنَمْ ... ٱلْمِسْكِينُ ... لَقَدْ سَهِرَ كَثِيرًا لَيْلَةَ ٱلْبَارِحَةِ يَا خَالَتِي ! ...

عن علي الدّوعاجي : سهرت منه اللّيالي
الدّار التّونسيّة للنّشر : تونس 1969
ص ص 101ــ106

التّعريف بالكاتب :

علي الدّوعاجي : أديب تونسيّ وُلِد سنة **1909** وتوفّي سنة **1949** . اِشتهر بكتابة الأقصوصة الواقعيّة . عُرِف بأسلوبه المرح وبنقده السّاخر . له مسرحيّات إذاعية كثيرة وله أزجال طريفة .

من أهمّ ما نشر له : سهرت من اللّيالي (وهي مجموعة أقاصيص كان نشرها في المجلاّت الأدبيّة التّونسيّة) وجولة في حانات البحر الأبيض المتوسّط (وهي من أدب الرّحلة) .

الشّـرح :

(1) شزرا : مصدر ـــ شَزَرَهُ يَشْزِرُهُ شَزْرًا : نظر إليه بمؤخّر العين علامة على الغضب والإعراض .

(2) ٱلْمُوصَدُ : اِسم مفعول ـــ أوصد البابَ يُوصِدُه أغلقه غَلْقًا مُحْكمًا .

(3) جام : اِسم ـــ هو في الأصل يطلق على الإناء من الفضّة .

الأسئلـة :

1 ـــ ماذا وصف الدّوعاجي من شخصيّة الخالة ؟ ولماذا اهتمّ بتلك الجوانب ؟

2 ـــ هل لك أن تبيّن ـــ بالاستناد إلى عبارات جاءت متفرّقة في النّصّ ـ النّموذج الذي يمثّله الزّوج ؟

3 ـــ ما هو سبب الخلاف بين الزّوج وزوجته حسب ما يفهم من النّصّ ؟

4 ـــ ما علاقة خاتمة النّصّ بما سبقها من حوار ؟

93 ــ نَفِيسَـــةُ

« إِنَّ الْمَرْءَ وَلَوْ وَصَلَ بِهِ ٱلأَمْرُ إِلَى أَقْصَى مِحْنَةٍ فِي حَيَاتِهِ فَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ تَبْقَى لَهُ حُرِّيَّةُ ٱخْتِيَارِ مَوْقِفِهِ » .

كَانَتْ نَفِيسَةُ بِصَدَدِ مُطَالَعَةِ مَقَالٍ لِطَبِيبٍ نَفْسَانِيّ مِنَ ٱلنِّمْسَا نَشَرَتْهُ إِحْدَى الْمَجَلاَّتِ الْفِرَنْسِيَّةِ . وَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى ٱلْجُمْلَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ أَعْلاَهُ تَوَقَّفَتْ عَنِ ٱلْمُطَالَعَةِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ٱلْمَقَالَ لَمْ يَنْتَهِ . وَأَخَذَتْ قَلَمًا فَوَضَعَتْ مَعْكُوفَيْنِ ضَخْمَيْنِ لِلْجُمْلَةِ . ثُمَّ طَرَحَتِ ٱلْمَجَلَّةَ جَانِبًا . وَٱمْتَدَّ نَظَرُهَا إِلَى أَقْصَى نُقْطَةٍ تَسْمَحُ نَافِذَةُ غُرْفَتِهَا بِوُصُولِ ٱلنَّظَرِ إِلَيْهَا . فَكَانَتِ ٱلنُّقْطَةُ عِبَارَةً عَنْ جُزْءٍ مِنْ أُفُقٍ صَغِيرٍ مُحَدَّبٍ [1] الاسْتِدَارَةِ .

وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « كُلُّ شَيْءٍ هُنَا مُعْوَجٌّ حَتَّى الأُفُقُ ... » ثُمَّ اِسْتَطْرَدَتْ قَائِلَةً : « مَعَ أَقْصَى مِحْنَةٍ فِي ٱلْحَيَاةِ تَبْقَى لِلْمَرْءِ حُرِّيَّةُ الاخْتِيَارِ ... » .

« الأُفُقُ هُنَا مُحَدَّبٌ ، لَكِنْ لَيْسَتْ كُلُّ الآفَاقِ مُحَدَّبَةً ... يَتَعَيَّنُ عَلَيَّ أَنْ أَخْتَارَ أُفُقِي ، أَنْ أَخْتَارَ مَهْمَا كَلَّفَنِي الاخْتِيَارُ ، هَلْ غَضَبِي هَذَا الصَّامِتُ يُفِيدُ أَمَامَ غَطْرَسَةِ [2] هَؤُلاَءِ ؟ (تعنِي أهلَهَا) لاَ ، لاَ يُفِيدُ .

مَا هُوَ هَذَا ٱلطَّرِيقُ الَّذِي تَوَدُّ سُلُوكَهُ نَفِيسَةُ لِتَنْجُوَ مِمَّا يُرِيدُ لَهَا أَبُوهَا؟ هَلْ هِيَ حَقًّا فِي مِحْنَةٍ ؟ يُمْكِنُ أَنْ نَتَصَوَّرَ أَنَّهَا تَتَخَبَّطُ فِي مِحْنَةٍ قَاسِيَةٍ لِلْغَايَةِ .

فَهْيَ لَمْ تُكْمِلْ دِرَاسَتَهَا وَكَانَتْ قَبْلَ مَجِيئِهَا مِنَ ٱلْجَزَائِرِ خَالِيَةَ ٱلذِّهْنِ تَمَامًا مِمَّا يَحْدُثُ لَهَا وَهْيَ بَيْنَ أَبَوَيْهَا مِنْ مُفَاجَآتٍ مُؤْلِمَةٍ . فَكَّرَتْ أَنَّ

الأَشْهُرَ الَّتِي تَقْضِيهَا بِهَذِهِ الْقَرْيَةِ سَوْفَ تَكُونُ شَاقَّةً عَلَيْهَا سَوَاء مِنْ نَاحِيَةِ الْعُزْلَةِ أَوْ مِنْ نَاحِيَةِ الْحَيَاةِ ٱلرِّيفِيَّةِ الْخَشِنَةِ الَّتِي لَمْ تَتَعَوَّدْ عَلَيْهَا . وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهَا أَنْ تَرْفُضَ ٱلذَّهَابَ . فَقَرَّرَتْ أَنْ تَتَحَمَّلَ الْعُزْلَةَ وَتَتَحَمَّلَ حَيَاةَ الْبَدَاوَةِ وَتَقْضِي كُلَّ وَقْتِهَا أَوْ جُلَّهُ فِي ٱلْمُطَالَعَةِ وَالاسْتِعْدَادِ لِلسَّنَةِ ٱلدِّرَاسِيَّةِ الْمُقْبِلَةِ ... وَلَكِنَّهَا لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهَا أَبَدًا أَنَّ أَبَاهَا سَوْفَ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بِتَزْوِيجِهَا ... كَانَتْ مِحْنَتُهَا إِذَنْ قَاسِيَةً تَمْتَزِجُ فِيهَا الْخَيْبَةُ بِالْيَأْسِ، وَكَانَتْ حَيْرَتُهَا مُؤْلِمَةً فَهِيَ لأَوَّلِ مَرَّةٍ تَجِدُ نَفْسَهَا وَجْهًا لِوَجْهٍ أَمَامَ مَا كَانَتْ تَقْرَؤُهُ حَوْلَ ٱلْمَرْأَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مَقَالاَتٍ وَقِصَصٍ تُصَوِّرُهَا ٱلضَّحِيَّةَ ٱلدَّائِمَةَ فِي كُلِّ مَرَاحِلِ حَيَاتِهَا . هَذِهِ ٱلْمَرْأَةُ الَّتِي فِي الْحَيَاةِ لاَ حَظَّ لَهَا مَعَ ٱلرَّجُلِ مُطلَقًا . فَهُوَ أَبَدًا ٱلسَّيِّدُ سَوَاء كَانَ زَوْجًا أَوْ أَبًا أَوْ أَخًا أَوِ ٱبْنًا. وَهْيَ الَّتِي لاَ تُمْنَحُ لَهَا حُرِّيَّةُ الْخُرُوجِ إِلاّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي عُمُرِهَا : الأُولَى مِنْ بَطْنِ أُمِّهَا وَٱلثَّانِيَةُ خُرُوجُهَا إِلَى دَارِ زَوْجِهَا وَٱلثَّالِثَةُ إِلَى قَبْرِهَا ! وَهْيَ الَّتِي فِي الْمَجَالِ السِّيَاسِيِّ إِنْ أَسْعَدَهَا الْحَظُّ فِي بَعْضِ الْجِهَاتِ أَنْ تَكُونَ مُنْتَخِبَةً فَلَمْ يُسْعِدْهَا أَنْ تَكُونَ مُنْتَخَبَةً .

وَهْيَ الَّتِي بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ تَحْمِلُ ٱلرَّجُلَ فِي بَطْنِهَا اِبْنًا وَبَيْنَ جَوَانِحِهَا زَوْجًا وَهْيَ الَّتِي فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْجَبَتْ لِلأَرْضِ عَلَى مَرِّ الْقُرُونِ أَنْبِيَاءَهَا وَأَبْطَالَهَا وَرِجَالَهَا الأَفْذَاذَ [3] . وَهْيَ الَّتِي فِي ٱلنِّهَايَةِ ضَمَنَتْ وَتَضْمَنُ لِلإِنْسَانِيَّةِ الْبَقَاءَ مَهْمَا تَعَاوَرَ عَلَيْهَا مِنْ حُرُوبٍ وَنَكَبَاتٍ وَأَسْبَابِ فَنَاءٍ . ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ هِيَ فِي الْحَيَاةِ ٱلْعَامَّةِ بَيْنَ ٱلرِّجَالِ مَضْرَبَ الأَمْثَالِ ٱلسَّاخِرَةِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي تَجْعَلُ مِنْهَا مَخْلُوقًا حَقِيرًا ، يُوصَفُ بِالْجُبْنِ وَالْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ فَٱلرَّجُلُ إِذَا غَضِبَ شَتَمَ مَنْ أَغْضَبَهُ قَائِلاً : « يَا وَجْهَ الْمَرْأَةِ » .

كُلّ مَا سَمِعَتْهُ وَقَرَأَتْهُ نَفِيسَةُ عَنِ ٱلْمَرْأَةِ هَا هِيَ تُوَاجِهُ حَقِيقَتَهُ ٱلْمُرَّةَ لأَوَّلِ

مَرَّةٍ ، فَلاَ غَرَابَةَ إِذَنْ أَنْ تَشْعُرَ بِتَعَاسَةِ الْحَظِّ الَّذِي جَعَلَهَا اِمْرَأَةً وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَشْعُرَ بِهَذِهِ الْمِحْنَةِ وَنَتَصَوَّرَ هَذَا ٱلْيَأْسَ الَّذِي يَكْتَنِفُ نَفِيسَةَ لَكِنْ بِشَرْطٍ وَاحِدٍ : هُوَ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ أُنُوثَةَ ٱلْمَرْأَةِ لَيْسَتْ نَقْصًا طَبِيعِيًّا ، كَمَا أَنَّ ذُكُورَةَ ٱلرَّجُلِ لَيْسَتْ كَمَالاً طَبِيعِيًّا أَيْضًا ...

رَفَعَتْ نَفِيسَةُ الْمَجَلَّةَ مِنْ جَدِيدٍ وَأَعَادَتِ الْجُمْلَةَ الَّتِي رَسَمَتْ حَوْلَهَا مَعْكُوفَيْنِ : « إِنَّ ٱلْمَرْءَ وَلَوْ وَصَلَ بِهِ الأَمْرُ إِلَى أَقْسَى مِحْنَةٍ فِي حَيَاتِهِ فَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ تَبْقَى لَهُ حُرِّيَّةُ ٱخْتِيَارِ مَوْقِفِهِ » .

عبد الحميد بن هدوقة : ريح الجنوب

نشر وتوزيع مؤسّسات عبد الكريم بن عبد الله

تونس، الطّبعة الأولى 1988

ص ص 189ـ190ـ191ـ192

التّعريف بالكاتب :

عبد الحميد بن هدوقة : أديب جزائري وُلِد سنة 1925 بمدينة المنصورة التّابعه لولاية صطيف . أكسبته نشأته في الأوساط الرّيفية معرفة دقيقة بحياة الفلاّحين ولقد كتب روايات عديدة نشرت كما ألّف روايات إذاعيّة .

من مؤلّفاته : ظلال جزائريّة ـ الأشعّة السّبعة ـ الأرواح الشاغرة ـ ريح الجنوب .

الشّـرح :

(1) مُحَدَّبٌ : صفة مشبّهة على وزن اسم المفعول . حدِب يحدَبُ حدَبا : كان ناتئا .

(2) الغطرسة : مصدر ــ غطرس فلانٌ وهو فعل رباعيّ بمعنى تكبّر وتطاول على أقرانه .

(3) الأفذاذ : إسم مفردة الفذّ ومعناه الواحد .

جاء في معجم لسان العرب ما يلي : « فذّ الرّجل عن أصحابه إذا شذّ عنهم وبقي فردا ... وتمر فذّ : متفرّق لا يلزق بعضه ببعض » .

الأسئلـة :

1 ــ إذا كانت « أمينة » في « ثلاثية » نجيب محفوظ تمثّل المرأة المصريّة (أو العربيّة عامّة) في البيت في بداية القرن فما هو النّموذج النّسائي الذي ترمز إليه « نفيسة » في هذا النّصّ ؟ دعّم جوابك بالأدلّة .

2 ــ بِم بدأ الكاتب نصّه ؟ وبم ختمه ؟ ألا ترى أنّه جعل النّصّ يتولّد من الجملة الأولى ؟ بيّن ذلك .

3 ــ ما هي المجالات المختلفة التي صوّرت « نفيسة » وضعيّة المرأة فيها ؟ وما النّتيجة التي انتهت إليها من ذلك جميعا ؟

4 ــ إستخرج جميع العبارات التي تصوّر حالة نفيسة النّفسيّة ثمّ استخلص منها ما يمكنك استخلاصه .

5 ــ في النّصّ مقابلة خفيّة بين الرّيف والمدينة . ما هي وظيفتها في الأحداث؟ وما علاقتها بمسألة وضعيّة المرأة ؟ وما رأيك في تلك المقابلة ؟

6 ــ حلّل ما قصد إليه الكاتب من قوله : « إنّ أنوثة المرأة ليست نقصا طبيعيّا وإنّ ذكورة الرّجل ليست كمالا طبيعيّا » .

7 ــ ما هو الموقف الذي ستختاره نفيسة حسب رأيك ؟ وما هي القرينة التي تشير إليه ؟

94 ــ لَنْ أَفْهَمَ مَنْطِقَكِ

ٱلْحَفِيدَةُ : عَهْدُنَا يَا جَدَّتِي عَهْدُ ٱلْعِلْمِ وَالنُّور .

الْجَدَّةُ : تُبَاهِينَ [1] بِٱلْعِلمِ فَهَلْ أَفْدْتُنَّ مِنْهُ شَيْئًا مَذْكُورًا ؟ كُنَّا جَاهِلاَتٍ لاَ نَعْرِفُ مِنْ شُؤُونِ الْحَيَاةِ أَكْثَرَ مِمَّا تَضُمُّهُ جُدْرَانُ بُيُوتِنا فَكَرَّسْنَا [2] أَنْفُسَنَا لِهَذِهِ ٱلْبُيُوتِ . وَقُمْنَا فِيهَا بِدَوْرِنَا ٱلطَّبِيعِيِّ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ . وَفَّيْنَا بُيُوتَنَا حَقَّهَا ، فَغَدَتْ جَنَّاتٍ هَادِئَةً سَعِيدَةً ، لاَ يُعَكِّرُ صَفْوَهَا خِلاَفٌ وَلاَ يَسِيءُ إِلَى وِحْدَتِهَا شِقَاقٌ .

ٱلْحَفِيدَة : لَسْتُ أُنْكِرُ أَنَّ حَيَاتَنَا ٱلْعِلْمِيَّةَ وَٱلْعَمَلِيَّةَ قَدِ ٱقْتَطَعَتْ جُزْءًا مِنْ حَيَاتِنَا ٱلْبَيْتِيَّةِ ، وَلَكِنَّ ثَقَافَتَنَا وَمَا تَعَلَّمْنَاهُ عَنْهَا مِنْ نِظَامٍ وَسُرْعَةٍ وَحَزْمٍ تُمَكِّنُنَا مِنْ وَفَاءِ مَطَالِبِ بُيُوتِنَا فِي أَقْصَرِ وَقْتٍ مُسْتَطَاعٍ . كَانَتْ بُيُوتُكُنَّ هَادِئَةً هُدُوءَ الْمَمْلَكَةِ ٱلَّتِي يَخْضَعُ فِيهَا ٱلْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ ، فِي حِينِ أَنَّ سَعَادَتَنَا الزَّوْجِيَّةَ بِصَخَبِهَا تَقُومُ عَلَى تَكَافُؤِ [3] ٱلْقُوَى وَتَوَازُنِ ٱلْعَقْلِيَّةِ ، وتَبَادُلِ ٱلْخِدْمَةِ وَٱلْمَنْفَعَةِ .

ٱلْجَدَّةُ : كَانَ ٱلزَّوْجُ أَيَّامَنَا يُسَمِّي شَرِيكَةَ حَيَاتِهِ « سِتّ هَانِمْ » وَيَسْلُكُ حِيَالَهَا سُلُوكَ مَنْ يُؤْمِنُ بِأَنَّهَا كَذَلِكَ . قدّسَهَا وَٱحْتَرَمَهَا فَحَفِظَهَا فِي خِدْرِهَا [4] مِنْ شَرِّ ٱلْمُجْتَمِعِ . أَشْفَقَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلْمَهَانَةِ [5] فَأَبْعَدَهَا عَنْ مَيْدَانِ ٱلْعَمَلِ وَقَامَ دُونَهَا بِوَاجِبِ الاكْتِسَابِ وَالارْتِزَاقِ ، فِي حِينِ أَنَّكُنَّ نَافَسْتُنَّ ٱلرِّجَالَ فِي نَصِيبِهِمْ ٱلطَّبِيعِيِّ . فَقَلَّ ٱحْتِرَامُهُمْ لَكُنَّ وَأَمْسَكُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الانْفَاقِ عَلَيْكُنَّ ، وَتَرَكُوكُنَّ تَتَصَبَّبْنَ عَرَقًا فِي مَيْدَانِ ٱلْكَدْحِ وَٱلْعَمَلِ ... ٱزِنِي جَنَّتَنَا ٱلْمُونِقَةَ [6] بِصَحْرَائِكُنَّ ٱلْقَاحِلَةِ ، ثُمَّ ٱحْكُمِي بِفَوَائِدِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْمَدْرَسَةِ !

ٱلْحَفِيدَةُ : إِنَّ لِصَحْرَائِنَا ٱلْقَاحِلَةِ وَمَا نُكَابِدُ [7] فِيهَا مِنْ مَشَقَّةٍ ، لَذَّةً أَيَّ لَذَّةٍ . حَقِيقَةٌ إِنَّ ٱلْمَدْرَسَةَ قَدْ أَغْرَقَتْنَا بِٱلْعَمَلِ وَٱلْكَدْحِ ، فَحُرِمْنَا حَيَاةَ ٱلرَّاحَةِ وَٱلدَّعَةِ [8] ، لَكِنَّنَا أَخَذْنَا فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ ثَمَنًا غَالِيًا هُوَ إِحْسَاسُنَا بِوُجُودِنَا ، وَٱعْتِرَافُ ٱلْمُجْتَمَعِ بِأَهَمِّيَّةِ وُجُودِنَا ، عَمِلْنَا وَتَعِبْنَا فَٱسْتَمْتَعْنَا بِٱسْتِقْلاَلِنَا الإِقْتِصَادِيِّ ، وَلَمْ تَعُدْ بِنَا حَاجَةٌ إِلَى قَضَاءِ ٱلْعُمْرِ فِي ٱنْتِظَارِ الرَّجُلِ ٱلَّذِي يَرْفَعُ عَنْ أَهْلِنَا إِعَالَتَنَا [9] وَالإِنْفَاقَ عَلَيْنَا .

ٱلْجَدَّةُ : لَسْتُ أَفْهَمُ مَنْطِقَكِ ، وَلَنْ أَفْهَمَهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ .

أَمينــة السّعيــد

عن كتاب المطالعة للمرحلة الثانوية
الجزء الثالث، ص 63ــ66 (بتصرّف)
منشورات المكتب التجاري للطباعة
بيــروت

التّعريف بالكاتب :

أمينة السّعيد : أديبة مصريّة معاصرة عالجت قضايا المرأة العربيّة ودعت إلى النّهوض بها . من مؤلّفاتها : « الجامحة » و« مشاهدات في الهند » .

الشّــرح :

(1) تُبَاهِين : مضارع ، بَاهَاهُ : فَاخَرَهُ .

(2) كَرَّسْنَا : كَرَّسَ نفسَه على الشّيء : وقفها عليه .

(3) تَكَافُؤ : مصدر تَكَافَأَ : تعادل وتساوى .

(4) الخِدْرُ : إسم من خَدَرَ يَخْدُرُ خَدْرًا بالمكان : أقام به . والخِدْرُ : سِتْرٌ يمدّ للجارية في ناحية البيت . جمعه خُدُور وأخْدَار .

(5) ٱلْمَهَانةُ : مصدر من مَهُنَ يَمْهُنُ : حقر وضعف .

(6) المُونِقة : إسم فاعل من آنق : حسنة تثير الإعجاب .

(7) نُكَابِدُ : مضارع كَابَدَ كِبَادًا ومُكَابَدَةً الأَمرَ : قاساهُ وتحمّل المشاق في فعله .

(8) الدَّعَةُ : مصدر من وَدُعَ يَوْدُعُ : السّكينةُ والرّاحةُ وخَفض العيش .

(9) الإعالةُ : مصدر من أعَالَ الرَّجُلُ عيالَه : كفاهم معاشهم .

الأسئلـة :

1 ــ ما هو التّقسيم الطّبيعي للأدوار حسب الجدّة ؟

2 ــ يفسّر هذا التّقسيم للأدوار مواقف الجدّة من تعلّم المرأة واشتغالها خارج البيت . وضّح ذلك .

3 ــ تغيّر مفهوم السّعادة الزّوجيّة من جيل الجدّة إلى جيل الحفيدة . بيّن ذلك وآذكر العوامل التي أدّت إلى ذلك التحوّل حسب رأيك .

4 ــ نقدت كلّ امرأة في هذا النصّ النّموذج النّسائي الذي لا ينتسب إلى جيلها. اِجْعَلْ ما جاء على لسان كلّ امرأة في جدول ثمّ علّق عليه .

5 ــ كيف أثّر الشّغل في تغيير وضعيّة المرأة على المستويات الإنسانيّة والاجتماعيّة والعائليّة ؟

95 ــ مِنَ ٱلرِّقِّ إِلَى ٱمتلاكِ الذَّاتِ

يَتَعَجَّبُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ طَلَبِي تَخْوِيلَ [1] ٱلْحُرِّيَّةِ لِلنِّسَاءِ ، وَيَتَسَاءَلُونَ : هَلْ هُنَّ فِي قَيْدِ ٱلرِّقِّ[2] وَلَوْ فَهِمُوا مَعْنَى ٱلْحُرِّيَّةِ لَمَا ٱخْتَلَفُوا فِي ٱلرَّأْيِ .

لَيْسَ مُرَادُنَا أَنْ نَقُولَ إِنَّ ٱلْمَرْأَةَ الْيَوْمَ تُبَاعُ وَتُشْتَرَى فِي الأَسْوَاقِ ، وَلَكِنْ لَيْسَ ٱلرَّقِيقُ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي يُبَاحُ الاتِّجَارُ بِهِ فَقَطْ ، بَلْ ٱلْوِجْدَانُ ٱلسَّلِيمُ يَقْضِي بِأَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَمْلِكْ قِيَادَ فِكْرِهِ وَإِرَادَتِهِ وَعَمَلِهِ مِلْكًا تَامًّا فَهُوَ رَقِيقٌ !

لاَ أَظُنُّ أَنَّ ٱلْقَارِئَ ٱلْمُنْصِفَ يَخْتَلِفُ مَعِي فِي ٱلرَّأْيِ إِنْ قُلْتُ : إِنَّ ٱلرَّجُلَ يَعْتَبِرُ أَنَّ لَهُ حَقَّ ٱلسِّيَادَةِ عَلَيْهَا ، وَيَجْرِي فِي مُعَامَلَتِهِ مَعَهَا عَلَى هَذَا الاعْتِقَادِ ، وَٱلشَّوَاهِدُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ .

فَلَيْسَ مِنَ الأَدَبِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعَائِلاَتِ أَنْ تَجْلِسَ ٱلنِّسَاءُ مَعَ ٱلرِّجَالِ، وَلاَ مِنَ الأَدَبِ أَنْ يَأْكُلْنَ مَعَهُمْ ، وَقَدْ رَأَيْتُ مِرَارًا بِعَيْنِي أَنَّ ٱلرَّجُلَ يَجْلِسُ إِلَى مَائِدَةِ ٱلطَّعَامِ وَٱمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ تُطْرِدُ ٱلذُّبَابَ عَنْهُ وَبِنْتُهُ تَحْمِلُ قُلَّةَ ٱلْمَاءِ !

وَالْمَرْأَةُ الَّتِي يَسُوقُهَا وَالِدُهَا كَالْبَهِيمَةِ إِلَى زَوْجٍ لاَ تَعْرِفُهُ وَلاَ تَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِهِ مَعْرِفَةً تَسْمَحُ لَهَا بِأَنْ تَتَبَيَّنَ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ وَتُحَصِّلَ لِنَفْسِهَا رَأْيًا فِيهِ لاَ تُعْتَبَرُ حُرَّةً فِي نَفْسِهَا ، بَلْ تُعَدُّ فِي الْحَقِيقَةِ رَقِيقَةً . وَلا يُقَالُ إِنَّ حَالَ ٱلرَّجُلِ فِي ذَلِكَ كَحَالِ الْمَرْأَةِ إِذْ هُوَ أَيْضًا لاَ يَعْلَمُ مِنْ أَحْوَالِ خَطِيبَتِهِ شَيْئًا ، لأَنَّ الرَّجُلَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ عَوَاقِبِ جَهْلِهِ بِأَنْ يُطَلِّقَهَا فِي أَيِّ وَقْتٍ شَاءَ أَوْ يَتَزَوَّجَ غَيْرَهَا مَثْنى وثُلاَث ورُبَاعَ ، أَمَّا ٱلْمَرْأَةُ الَّتِي تُبْتَلَى بِرَجُلٍ لاَ تَرْضَى نَفْسُهَا بِمُعَاشَرَتِهِ فَلَيْسَ لَهَا إِلَى ٱلْخَلاَصِ مِنْهُ سَبِيلٌ، فَتَزْوِيجُ ٱلْمَرْأَةِ بِرَجُلٍ تَجْهَلُهُ ، وَحِرْمَانُهَا حَقَّ ٱلتَّخَلُّصِ مِنْهُ ، مَعَ إِطْلاَقِ

الإِرَادَةِ لِلرَّجُلِ فِي إِمْسَاكِهَا وَتَسْرِيحِهَا كَيْفَ يَشَاءُ ، هُوَ ٱسْتِعْبَادٌ حَقِيقِيٌّ .

وَبِالْجُمْلَةِ ، فَالْمَرْأَةُ مِنْ وَقْتِ وِلاَدَتِهَا إِلَى يَوْمِ مَمَاتِهَا هِيَ رَقِيقَةٌ ، لأَنَّهَا لاَ تَعِيشُ بِنَفْسِهَا وَلِنَفْسِهَا ، وَإِنَّمَا تَعِيشُ بِٱلرَّجُلِ وَلِلرَّجُلِ ، وَهْيَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِهَا ، فَلاَ تَخْرُجُ إِلاَّ مَخْفُورَةً بِهِ [3] ، وَلاَ تُسَافِرُ إِلاَّ تَحْتَ حِمَايَتِهِ ، وَلاَ تُفَكِّرُ إِلاَّ بِعَقْلِهِ ، وَلاَ تَنْظُرُ إِلاَّ بِعَيْنِهِ ، وَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ بِأُذُنِهِ ، وَلاَ تُرِيدُ إِلاَّ بِإِرَادَتِهِ ، وَلاَ تَعْمَلُ إِلاَّ بِوَاسِطَتِهِ ، وَلاَ تَتَحَرَّكُ بِحَرَكَةٍ إِلاَّ وَيَكُونُ مَجْرَاهَا مِنْهُ ، فَهْيَ بِذَلِكَ لاَ تُعَدُّ إِنْسَانًا مُسْتَقِلاً ، بَلْ هِيَ شَيْءٌ مُلْحَقٌ بِٱلرَّجُلِ .

سَيَقُولُ قَوْمٌ : كَيْفَ لِمُدَّعٍ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ الْمَرْأَةَ مُستَعْبَدَةٌ عِنْدَنَا ، مَعَ أَنَّنَا نَرَاهَا فِي مَكَانَةٍ مِنَ ٱلسُّلْطَانِ عَلَى قَلْبِ الرَّجُلِ مِنَّا بِحَيْثُ تُسَخِّرُهُ [4] لإِرَادَتِهَا وَأَهْوَائِهَا ، وَتَصْرِفُهُ فِي أَعْمَالِهِ لِقَضَاءِ رَغَائِبِهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَجَشَّمُ [5] الأَسْفَارَ وَيَتَرَدَّدُ بَيْنَ ٱلْمَدِينَةِ وَالأُخْرَى لَيَنْتَقِيَ لِزَوْجَتِهِ لِبَاسًا أَوْ يَخْتَارَ لَهَا نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْحُلِيِّ يُرْضِي بِهِ هَوَاهَا وَيَقْضِي بِهِ رَغْبَتَهَا لِيَسْتَجْلِبَ رِضَاهَا ، ثُمَّ هِيَ سَيِّدَةُ بَيْتِهِ ، لاَ يَرْفَعُ فِيهِ إِلاَّ مَا رَفَعَتْ وَلاَ يَضَعُ فِيهِ إِلاَّ مَا وَضَعَتْ ، فَهَلْ مَعَ هَذَا كُلِّهِ يُقَالُ إِنَّ ٱلْمَرْأَةَ مُسْتَرَقَّةٌ لِلرَّجُلِ ؟ نَعَمْ ، لاَ نُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ هَذَا كُلِّهِ ، وَلَكِنَّنَا نُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَامًّا عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ . وَلَكِنَّ الَّذِي يَرْفَعُ ٱلْمَرْأَةَ أَحْيَانًا إِلَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ بَرَاعَةٌ فِي الْجَمَالِ أَوْ تَفَنُّنٌ فِي ضُرُوبِ الاحْتِيَالِ ، فَهْيَ سَيِّدَتُهُ مَا ظَلَّ مُعْجَبًا بِهَا ، فَإِذَا خَمَدَ إِعْجَابُهُ سَقَطَتِ ٱلْمَرْأَةُ مِنْ أَوْجِ [7] عِزَّتِهَا إِلَى حَضِيضِ [8] ٱلذِّلَّةِ وَلَبِسَتْ ثِيَابَ الاِسْتِرْقَاقِ .

قاسم أمين

المرأة الجديدة، ص ص 139ـ141

الأعمال الكاملة تحقيق محمّد عمارة

التّعريف بالكاتب :

قاسم أمين : أديبٌ مصريٌّ ولد سنة 1865 في بطرة ونشأ بالاسكندرية وبها تعلّمَ وعاش بالقاهرة وبها توفّي سنة 1908 . درس في الأزهر من تلاميذ جمال الدين الأفغاني والشّيخ محمّد عبده . اشتهر بدعوته إلى تحرير المرأة .
من مؤلّفاته : « تحرير المرأة » ــ « المرأة الجديدة » .

الشّــرح :

(1) تخويل : مصدر خَوَّلَهُ الشّيءَ : أعطاه إيّاه متفضّلاً ــ ملّكه إيّاه .

(2) الرِّقُّ : مصدر من رَقَّ ــ يَرِقُّ : العُبوديّةُ .
والرَّقِيقُ : المَمْلُوكُ . والصّفة تُستعمل للمفرد وللجمع، وقد يجمع أيضا على أرقّاء .

(3) مخفورة : اِسم مفعول من خَفَرَه ــ يخْفِرُهُ ويَخْفِرُهُ خَفْرًا وَخَفَرًا . أجاره وحماه وأمّنه .

(4) تُسَخِّرُهُ : مضارع سخَّرهُ : كلّفه ما لا يريد وقهره وذَلَّلَهُ .

(5) تَجَشَّمَ : الأمْرَ : تكلّفه على مَشَقَّةٍ .

(6) خَمَدَ : يَخْمُدُ ــ خُمُودًا . خَمَدَتِ النَّارُ : سكن لهبُها ولم يُطْفَأْ جمرُها . وخمُد إعجابه : نقص وضعف .

(7) الأوج : العلوُّ وعند أهل الفلك : أبعد نقطة يكون فيها القمر عن الأرض .

(8) الحضيضُ : ما سفل من الأرض عند سفح الجبل . وعند أهل الفلك نقطة مقابلة للأوج .

1 ــ ما هو مفهوم الرقّ عند قاسم أمين ؟

2 ــ ما هي علاقة الرّجل بالمرأة كما تبدو لك من النّصّ ؟

3 ــ قدّم الكاتب لبيان رأيه في علاقة الرّجل بالمرأة عدّة أمثلة. صنّف هذه الأمثلة في جدول يقوم على المداخل التّالية : المرأة قبل الزّواج/المرأة بعد الزّواج/ المرأة داخل البيت/المرأة خارج البيت .

4 ــ ماذا يقصد الكاتب بقوله : « إنّ المرأة لا تعيش بنفسها ولنفسها » ؟

5 ــ يمثّل هذا النّصّ موقف المصلحين من وضعية المرأة منذ ما يقارب ثمانين سنة . فإلى أيّ مدى تحقّق للمرأة ما كانوا يدعون إليه ؟

96 ــ المـرأة الجديـدة

إنَّ ٱلنَّهْضَةَ ٱلنِّسَائِيَّةَ تَمْتَدُّ يَوْمِيًّا فِي أَقَاصِي ٱلْمَسْكُونَةِ إِنَّهَا لَنَهْضَةٌ عَجِيبَةٌ تُبَشِّرُ بِخَيْرٍ عَظِيمٍ وتُنْبِئُ بِأَنَّ مَدَنِيَّةَ الأَمْسِ الْعَرْجَاءَ [1] الَّتِي لَمْ تَتَّكِىءْ إِلاَّ عَلَى جِنْسٍ مِنَ الْجِنْسَيْنِ ، هِيَ غَيْرُ مَدَنِيَّةِ الْغَدِ الْمُمْتِعَةِ بِتَحْقِيقِ الأَمَانِي. لَيْسَتْ مَدَنِيَّةُ الْغَدِ مَدَنِيَّةَ ٱلرَّجُلِ وَحْدَهُ . بَلْ هِيَ مَدَنِيَّةُ الإِنْسَانِيَّةِ ، لأَنَّ الْمَرْأَةَ آخِذَةٌ بِٱلصُّعُودِ إِلَى مَرْكَزِهَا الْحَقِيقِيِّ بِقُرْبِ ٱلرَّجُلِ . إِنَّ مَوْجَةَ ٱلنُّورِ ، نُورِ الارْتِقَاءِ ٱلنِّسَائِيِّ ، تَزْدَادُ ٱرْتِفَاعًا وَٱتِّسَاعًا مَعَ الأَيَّامِ . فِي فِرَنْسَا وَانْجِلْتَرَا وَأَمِيرِكَا وَإِيطَالِيَا تُجَاهِدُ ٱلْمَرْأَةُ جِهَادَ الأَبْطَالِ فِي سَبِيلِ تَرْقِيَةِ جِنْسِهَا وَتَرْقِيَّةِ ٱلنَّوْعِ الْبَشَرِيِّ مَعَهَا . وَلَقَدْ نَالَتْ جَمِيعَ حُقُوقِهَا فِي نْرِويج وفِنْلَنْدَا وَزِيلَنْدَا ٱلْجَدِيدَةِ ، وَفِي بَعْضِ الْوِلاَيَاتِ ٱلْمُتَّحِدَةِ ، فَهْيَ الآنَ وَالرَّجُلُ سَوَاءٌ : أَدَبِيًّا وَمَدَنِيًّا وَسِيَاسِيًّا أَيْضًا . وَفِي كُلٍّ مِنْ هَذِهِ الْبِلاَدِ كَانَ تَأْثِيرُهَا نَافِعًا جَمِيلاً ، وَحَيْثُ تَقَلَّدَتِ الْوَظَائِفَ الْعُمُومِيَّةَ قَدْ قَلَّتِ الْجَرَائِمُ ، وَخَفَّتْ وَطْأَةُ ٱلسُّكْرِ ، وَظَهَرَ تَحَسُّنٌ مَحْسُوسٌ يَكَادُ يَكُونُ مَلْمُوسًا فِي مُسْتَوَى أَخْلاَقِ الأُمَّةِ وَفِي حَالَتِهَا ٱلصِّحِّيَّةِ جَمِيعًا .

هَذِهِ هِيَ ٱلْمَرْأَةُ الْجَدِيدَةُ وَمُستودَعُ آمَالِ ٱلْمُسْتَقْبَلِ .

كَمْ قَالُوا فِيهَا إِنَّهَا لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِلْخِدْمَةِ الْبَيْتِيَّةِ وَٱلزِّينَةِ الْجَسَدِيَّةِ ، وَهَا هِيَ مُصْلِحَةٌ كَبِيرَةٌ وَمُفَكِّرَةٌ عَامِلَةٌ . وَكَمْ قَالُوا إِنَّهَا حَيَوَانٌ جَمِيلٌ وَشَيْطَانٌ لَطِيفٌ ، وَهَا هِيَ مَلَكٌ كَرِيمٌ يُحَاوِلُ إِفْهَامَ ٱلرَّجُلِ أَنَّ فِي الْحَيَاةِ عُنْصُرًا سَامِيًّا هُوَ كُلُّ الْحَيَاةِ . وَكَمْ قَالُوا إِنَّهَا كَاذِبَةٌ خَبِيثَةٌ وَإِنَّ ٱلصِّدْقَ وَالإِخْلاَصَ بَعِيدَانِ عَنْهَا بُعْدَ ٱلشَّمَالِ عَنِ الْجَنُوبِ . وَهَا هِيَ آخِذَةٌ فِي تَهْذِيبِ نَفْسِهَا مُلاَشَاةِ [2] الْعَاهَاتِ الَّتِي شَوَّهَتْهَا فِي أَزْمِنَةِ الْعُبُودِيَّةِ . وَكَمْ قَالُوا إِنَّهَا

مُتَرَدِّدَةٌ حَائِرَةٌ ذَلِيلَةٌ لاَ تَقْوَى عَلَى تَوْلِيدِ فِكْرَةٍ وَلاَ تَحْتَمِلُ ٱلْمَسْؤُولِيَّةَ . وَهَا هِيَ عَزِيزَةُ النَّفْسِ شَدِيدَةُ الْحِرْصِ عَلَى الإِسْتِقْلاَلِ ، مُنْحَنِيَةٌ بِحُرْقَةٍ عَلَى مَعَانِي ٱلْحَيَاةِ ٱلْعَمِيقَةِ . وَكَمْ قَالَ فُولْتِير [3] إِنَّ فِكْرَهَا سَرِيعُ الْعَطَبِ وَإِنَّهُ يَتَحَطَّمُ تَحْطِيمًا إِذَا حَاوَلَ ٱسْتِفْهَامَ نَامُوسٍ عِلْمِيّ . غَرِيبٌ أَنْ يَقُولَ فُولْتِير هَذَا ٱلْقَوْلَ ، هُوَ الَّذِي ٱسْتَعَانَ بِٱمْرَأَةٍ عَلَى فَهْمِ كِتَابَاتِ نيُوتِنْ [4]، وَهْيَ صَدِيقَتُهُ مَدَام دي شَاتليه [5] مُعَرِّبَةُ كِتَابِ نيُوتِن في نَامُوسِ ٱلْجَاذِبِيَّةِ .

مَـيّ زيـادة

التّعريف بالكاتبة :

مي زيادة : أديبة لبنانية وُلدت سنة 1896 في النّاصرة بفلسطين وعاشت بمصر. توفيت سنة 1941 . تعلّمت لغات عديدة واطّلعت على ثقافات متنوّعة . أسهمت في النّهضة الأدبيّة بما كانت تنشر من مقالات وخواطر وبالمنتدى الأدبي الشّهير الذي عقدته بمنزلها .

من مؤلّفاتها : باحثة البادية ــ ظلمات وأشعّة ــ غاية الحياة ــ المساواة...

الشّـرح :

(1) العرجاء : صفة مشبّهة ــ عرِج يعرِج ويعرُج عَرَجًا : كان يمشي مِشية غير متساوية لعاهة في إحدى رجليه .

(2) ملاشاة : مصدر ــ لاشى الشّيء : صيّره إلى العدم . والمقصود بالكلمة في النصّ محو العيوب .

(3) فولتير : اديب فرنسي شهير . ولد بباريس سنة 1694 وتوفي سنة 1778. نقد أوضاع مجتمعه وأسهم في التمهيد إلى حصول الثّورة الفرنسية .
من مؤلّفاته : المحاورات الفلسفية ــ كانديد ...

(4) مادام دي شاتليه : صديقة فولتير وملهمته ولدت بباريس سنة 1706 وتوفّيت بها سنة 1749 .

(5) نيوتن (1642ــ1727) انكليزي ، فيلسوف وعالم في الحساب والفيزياء والفلك . اشتهر باكتشافه لقانون الجاذبيّة . ووضع القواعد التي بنى عليها العلماء من بعده النّظام الجديد في علم الفلك .

الأسئلـة :

1 ــ تناولت مي زيادة وضعيّة المرأة من جانب إنسانيّ وحضاريّ عام . بيّن ذلك.

2 ــ ما هي المجالات التي تقدّمت فيها المرأة حسب مي ؟

3 ــ ما هي نظرة الأوروبيّين إلى المرأة في القرون السّابقة حسب ما جاء في النصّ ؟ وما رأي مي في ذلك ؟

4 ــ ما هي الفوائد المنجرّة للإنسانيّة عن نهضة المرأة ؟

III ــ قضايا انسانيّة

1 ـ الميـــز العنصـــري

97 ـ إبَـــاءٌ

كَانَ أَشَدَّ مَا يُؤَثِّر فِي نَفْسِهِ ٱلنَّاشِئَةِ مَا يَرَى مِن ٱسْتِعْلاَءِ ٱلْبِيضِ عَلَى ٱلسُّودِ وَظُلْمِهِم لَهُمْ وَٱسْتِعْبَادِهِمْ إِيَّاهُمْ وَٱلاسْتِخْفَافِ بِأَمْنِهِمْ وَسَلاَمَتِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ نَفْسِهَا ؛ فَلَيْسَ أَيْسَرَ عَلَى ٱلْبِيضِ مِنْ شَتْمِ ٱلرَّجُلِ ٱلأَسْوَدِ وَلَكْزِهِ (1) وَوَكْزِهِ (2) وَقَتْلِهِ لأَيْسَرِ ٱلأُمُورِ وَأَحْقَرِ ٱلْهَنَاتِ (3) قَدِ ٱسْتَقَرَّ فِي قُلُوبِ ٱلْبِيضِ أَنَّ ٱلسُّودَ لَهُمْ عَدُوٌّ خَطِرٌ ضَعِيفٌ ، فَيَجِبُ أَنْ يَسْتَذِلُّوهُمْ وَأَنْ يُمْسِكُوهُمْ فِي ٱلْفَقْرِ وَٱلْجُوعِ وَٱلْهَوَانِ (4) وَٱلْحَيَاةِ ٱلْخَسِيسَةِ (5) مِنْ كُلِّ نَوَاحِيهَا . وَٱسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِ ٱلسُّودِ أَنَّ ٱلْبِيضَ لَهُمْ عَدُوٌّ قَوِيٌّ ، فَيَجِبُ أَنْ يُكْبِرُوهُمْ وَيَخَافُوهُمْ وَيَرْهَبُوا بَأْسَهُمْ (6) وَيَتَنَحَّوْا لَهُمْ عَنِ ٱلطَّرِيقِ وَيَخْفِضُوا الأَصْوَاتَ إِذَا حَدَّثُوهُمْ . ثُمَّ لاَ يُحَدِّثُوهُمْ إِلاَّ بِمَا يُصَوِّرُ ٱلْخَوْفَ وَٱلإِكْبَارَ وَالإِجْلاَلَ . وَلَكِنَّ ٱلصَّبِيَّ يَرَى هَذَا كُلَّهُ وَيَفْهَمُهُ حَقَّ ٱلْفَهْمِ وَيَشْعُرُ بِهِ أَشَدَّ ٱلشُّعُورِ وَأَدَقَّهُ دُونَ أَنْ تَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ ؛ فَهُوَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَرْقًا سَوَاءٌ أَكَانُوا بِيضًا أَمْ سُودًا . وَهُوَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَبْغَضُ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ، وَيَعْكِفُ عَلَى نَفْسِهِ (7) حَتَّى كَأَنَّهُ يَعِيشُ فِي عَالَمٍ مَقْصُورٍ عَلَيْهِ. يَبْغَضُ ٱلْبِيضَ لِظُلْمِهِمْ وَكِبْرِيَائِهِمْ ، وَيَبْغَضُ ٱلسُّودَ لِذُلِّهِمْ وَٱسْتِخْذَائِهِمْ .(8) وَهُوَ مِنْ أَجْلِ هَذَا يَعِيشُ عِيشَةً مُنْكَرَةً حَقًّا : لاَ يَطْمَئِنُّ إِلَى أَهْلِهِ وَلاَ إِلَى رِفَاقِهِ لأَنَّهُمْ سُودٌ مُسْتَذَلُّونَ وَٱلذِّلَّةَ لاَ تَجِدُ إِلَى نَفْسِهِ سَبِيلاً ، وَلاَ يَطْمَئِنُّ إِلَى ٱلْبِيضِ لأَنَّهُمْ طُغَاةٌ مُسْتَكْبِرُونَ ، وَلَمْ تَخْضَعْ نَفْسُهُ لِلطُّغْيَانِ وَلاَ لِلاِسْتِكْبَارِ .

وَقَدِ ٱنْتَهَى ٱلأَمْرُ بِٱلصَّبِيِّ إِلَى أَنْ يَسْعَى إِلَى ٱلْمَدْرَسَةِ وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ بِنِظَامِهَا فِي كَثِيرٍ جِدًّا مِنَ ٱلْمَشَقَّةِ وَٱلْعَنَاءِ . وَمَا أَسْرَعَ مَا يَتَفَوَّقُ عَلَى رِفَاقِهِ ٱلسُّودِ وَيَمْتَازُ مِنْهُمْ ! وَمَا أَسْرَعَ مَا يُحِبُّ ٱلدَّرْسَ ! وَلَكِنَّهُ جَائِعٌ عَارٍ وَبَائِسٌ

يَائِسٌ ، فَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ وَرِزْقِ أُمِّهِ . وَلاَ بُدَّ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَمْضِيَ فِي دَرْسِهِ . وَهُوَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَخْدِمُ ٱلْبِيضَ أَوَّلَ ٱلنَّهَارِ وَآخِرَهُ وَيَخْتَلِفُ إِلَى ٱلْمَدْرَسَةِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ . وَخِدْمَتُهُ لِلْبِيضِ لاَ تَسْتَقِيمُ . فَهُوَ لاَ يَقْبَلُ الأَوْضَاعَ ٱلْمَأْلُوفَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلسُّودِ ، وَهُوَ يُطْرَدُ مَرَّةً وَيَتْرُكُ ٱلْعَمَلَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ وَتَعْلِيمِهِ ، وَيَشْقَى بِهَذَا ٱلسَّعْيِ حَتَّى يُتِمَّ ٱلْمَرْحَلَةَ ٱلأُولَى مِنْ مَرَاحِلِ ٱلتَّعْلِيمِ ، وَٱلْعَادَةُ أَنَّ ٱلْمُبَرِّزَ (9) مِنَ ٱلتَّلاَمِيذِ يُلْقِي خُطْبَةً يَوْمَ تَوْزِيعِ ٱلإِجَازَاتِ ، وَهُوَ ٱلْمُبَرِّزُ فِي سَنَتِهِ تِلْكَ ، فَسَيَكُونُ إِلَيْهِ إِذَنْ إِلْقَاءُ ٱلْخُطْبَةِ ، وَهُوَ يُعِدُّ خُطْبَتَهُ ، وَلَكِنَّ نَاظِرَ ٱلْمَدْرَسَةِ يَدْعُوهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَيَدْفَعُ إِلَيْهِ خُطْبَةً أَعَدَّهَا هُوَ لِيُلْقِيَهَا كَشَأْنِهِ مَعَ ٱلتَّلاَمِيذِ جَمِيعًا فِي كُلِّ عَامٍ ، غَيْرَ أَنَّ ٱلْغُلاَمَ يَرْفُضُ خُطْبَةَ ٱلنَّاظِرِ وَيَأْبَى إِلاَّ أَنْ يُلْقِيَ خُطْبَتَهُ هُوَ ، وَٱلنَّاظِرُ دَهِشٌ لِهَذَا ٱلإِبَاءِ (10) ثُمَّ ضَيِّقٌ بِهِ ثُمَّ سَاخِطٌ عَلَيْهِ ثُمَّ مُنْذِرٌ لِلْغُلاَمِ لأَنَّهُ مُعَرِّضٌ مُسْتَقْبَلَهُ لِلْخَطَرِ إِنْ أَصَرَّ عَلَى هَذَا ٱلإِبَاءِ . وَرِفَاقُهُ يُلِحُّونَ عَلَيْهِ فِي أَنْ يَفْعَلَ كَمَا فَعَلَ ٱلْمُبَرِّزُونَ مِنْ قَبْلِهِ وَكَمَا سَيَفْعَلُ ٱلْمُبَرِّزُونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَهْلُهُ يُلِحُّونَ عَلَيْهِ كَذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ يَأْبَى وَيَسْتَمْسِكُ بِٱلإِبَاءِ ، وَلاَ يَعْنِيهِ أَنْ يَضِيعَ مُسْتَقْبَلُهُ ، وَلاَ يَعْنِيهِ أَنْ يُصْرَفَ عَنْهُ مَنْصِبُ ٱلتَّعْلِيمِ فِي مَدْرَسَةٍ مِنْ مَدَارِسِ ٱلسُّودِ . فَقَدْ أَلْقَى خُطْبَتَهُ هُوَ إِذَنْ لاَ خُطْبَةَ ٱلنَّاظِرِ ، وَظَفِرَ بِشَيْءٍ قَلِيلٍ مِنَ ٱلتَّصْفِيقِ وَصَافَحَهُ نَفَرٌ (11) قَلِيلٌ مِنْ رِفَاقِهِ . ثُمَّ عَادَ إِلَى أَهْلِهِ وَقَدْ صُرِفَ عَنْهُ مَنْصِبُ ٱلتَّعْلِيمِ . وَلَيْسَ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ وَمَعُونَةِ أُسْرَتِهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ طَامِعٌ فِي أَنْ يَبْلُغَ حَظَّهُ مِنَ ٱلتَّعْلِيمِ ٱلْجَامِعِيِّ ، وَلَكِنْ كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى هَذَا ٱلتَّعْلِيمِ ؟

طه حسين

ألوان ، ص ص 304ـــ306

التّعريف بالكاتب :

آنظر ترجمته في نصّ « المستطيع بغيره » .

الشّـرح :

(1) لكزه : لكزه يلكُزُه لَكْزًا : ضربه بجُمع يده في جميع جسده .

(2) وكزه : وَكَز يَكِزُ وَكْزًا : ضرب ودفع وقيل : ٱلْوَكْزُ هو الضّرب بجُمع اليد على الذّقن .

(3) ٱلْهَنَاتُ : اِسم مفرده هَنَةٌ وهو الأمر البسيط التّافه .

(4) ٱلْهَوَانُ : اِسم ــ الحقارة والذلّة .

(5) الخسيسة : صفة مشبّهة ــ خَسَّ الشّيء يخَسّ خساسة : رَذُل .

(6) بأسهم : بؤُس الرّجلُ يَبْؤُسُ بَأْسًا : كان شديدا .
وجاء في معجم لسان العرب ما يلي : « البَأْس : العذاب ... بل قيل : العذاب الشّديد » . (أمّا بئِس يبأس بُؤْسًا فمعناه افتقر واشتدّت حاجته) .

(7) يعكف : عكَف على الشّيء يعكِف ويعكُف عُكُوفًا : أقبل عليه في مواظبة .
عكف على المكان : لَزِمه .
عكف على نفسه : انطوى عليها .

(8) استخذائهم : مصدر مضاف ــ استخذى يستخذي استخذاء : خضع .

(9) ٱلْمُبَرِّزُ : اِسم فاعل ــ بَرَّزَ فلانٌ على فلان : سَبَقَهُ .

(10) إباء : مصدر ــ أبى الشَّيْءَ يَأْباه : كرِهه .
الإباء هو أشدّ الامتناع .

(11) نَفَرٌ : اِسم تطلقه العرب على ما دون العشرة من النّاس .

الأسئلـة :

1 ــ إستخرج في واديين العبارات التي تصوّر علاقة السّود بالبيض والعبارات التي تصوّر علاقة البيض بالسّود ثمّ آستخلص من ذلك صورة كلّ طرف في عين الآخر .

2 ــ ما موقف الصّبّي ممّا بين السّود والبيض من علاقات ؟ دعّم جوابك بما جاء في النّصّ .

3 ــ هل لك أن تستخلص ممّا جاء في النّصّ متناثرا ملامح شخصيّة الصّبّي الأسود الذي وصفه طه حسين ؟

4 ــ لماذا أصرّ الصّبّي ــ بخلاف المبرّزين الذين سبقوه ــ أن يلقي خطبة من إنشائه ؟ وما دلالات موقفه بالنّسبة إلى « النّاظر » ؟

5 ــ ما هو ردّ فعل الحاضرين على خطبة الصّبّي ؟ وماذا تستخلص من ذلك ؟

6 ــ هل يصوّر النّصّ وعيا فرديّا بمسألة الميز العنصريّ أم وعيًا جماعيّا بها ؟ دعّم جوابك بالأدلّة .

98 ــ ٱلْأَبْيَضُ وَٱلْأَسْوَدُ

لاَ أُلْفَةَ بَيْنَ ٱلْأَبْيَضِ وَٱلْأَسْوَدِ فِي « أَمِريكَا » فَبَيْنَهُمَا حَاجِزٌ تَكَاثَفَتْ طَبَقَاتُهُ وَتَحَجَّرَتْ عَلَى تَرَادُفِ ٱلأَيَّامِ ، وَمَنْشَأُ ذَلِكَ أَنْ ٱلْأَبْيَضَ مَا زَالَ بِوَاعِيَتِهِ ٱلْخَفِيَّةِ (1) يَنْظُرُ بِعَيْنِ أَجْدَادِهِ ، فَيَرَى ٱلْأَسْوَدَ عَبْدًا رَقِيقًا ، لَهُ أَنْ يَبِيعَهُ وَأَنْ يَشْتَرِيَهِ وَأَنْ يُسَخِّرَهُ (2) فِيمَا يَبْغِي مِنَ ٱلْأَعْمَالِ ، فَكَيْفَ يُرَادُ بِٱلْأَبْيَضِ ٱلْيَوْمَ عَلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ أُولَئِكَ ٱلْعَبِيدُ ٱلْأَرِقَّاءُ ؟!

وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى يَرَى ٱلأَسْوَدُ أَنَّهُ قَدِ ٱسْتَنَارَ عَقْلُهُ . وَٱسْتَبَانَ لَهُ حَقُّهُ فِي أَنْ يَعِيشَ حُرًّا عَلَى قَدَمِ ٱلْمُسَاوَاةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ ٱلنَّاسِ . وَإِذَا كَانَ قَدِ ٱتَّخَذَ « أَمَرِيكَا » وَطَنًا لَهُ ، فَشَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ ٱلْأَبْيَضِ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ ... وَفَوْقَ ذَلِكَ فَهُوَ يَرَى بِوَاعِيَتِهِ ٱلْخَفِيَّةِ أَنَّ ٱلْبِيضَ ٱلْقُدَمَاءَ قَدِ ٱسْتَعْبَدُوا أَجْدَادَهُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا ، فَهُوَ يَحْفَظُ لأَخْلاَفِهِمْ (3) ٱلْبِيضِ ثَأْرَ ٱلْجُدُودِ ، وَمِنْ ثَمَّ تَشْهَدُ فِي ٱلأَسْوَدِ ٱلْمُعَاصِرِ عُنْجُهِيَّةً (4) وَخُيَلاَءَ (5) ، وَتَلْمَحُ فِي عَيْنَيْهِ نَظْرَةَ ٱلثَّائِرِ ٱلْمُحْنَقِ ... فَيَزِيدُ ذَلِكَ مِنْ حَفِيظَةِ (6) ٱلأَبْيَضِ عَلَيْهِ . وَيُوَسِّعُ بَيْنَهُمَا هُوَّةَ ٱلشِّقَاقِ ...

وَمِنْ أَضَاحِيكِ ٱلْمُفَارَقَاتِ أَنَّ ٱلدِّيمُقْرَاطِيَّةَ ٱلرَّحْبَةَ ٱلَّتِي هِيَ شِعَارُ ٱلْجُمْهُورِيَّةِ ٱلأَمَرِيكِيَّةِ قَدْ أَعَانَتْ عَلَى ٱلتَّفْرِقَةِ بَيْنَ ٱلأَبْيَضِ وَٱلأَسْوَدِ دُونَ عَمْدٍ ... فَهَذِهِ ٱلدِّيمُقْرَاطِيَّةُ تَمْنَحُ ٱلْهَيْئَاتِ وَٱلأَفْرَادَ حُرِّيَّةَ ٱلتَّصَرُّفِ فِي ٱلأَنْظِمَةِ وَٱلإِجْرَاءَاتِ وَٱتِّخَاذِ ٱلْخِطَطِ ٱلَّتِي تُيَسِّرُ سَبِيلَ ٱلنَّجَاحِ . وَكَانَ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ أَنْ عَمَدَتْ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ ٱلْمَعَاهِدِ وَٱلْمُؤَسَّسَاتِ وَنَحْوِهَا إِلَى إِقْصَاءِ ٱلأَسْوَدِ عَنْ رِحَابِهَا، مُسْتَخْدِمَةً فِي ذَلِكَ حَقَّهَا فِي أَنْ تَقْبَلَ مَنْ تَشَاءُ وَتَأْبَى مَنْ تَشَاءُ ... فَلَمْ يَجِدِ ٱلأَسْوَدُ بُدًّا مِنْ أَنْ يُنْشِئَ لِنَفْسِهِ مَعَاهِدَ

وَمُؤَسَّسَاتٍ خَاصَّةً . فَٱشْتَدَّتْ بِذَلِكَ ٱلْفُرْقَةُ ، وَتَلَظَّتِ ٱلْبَغْضَاءُ ، وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُ ٱلتَّوَاصُلِ وَٱلْاِنْدِمَاجِ !

محمود تيمور

أبو الهول يطير، ص 171ــ172

المطبعة النّموذجية بمصر

الطّبعة الثّالثة سنة 1955

التّعريف بالكاتب :

ٱنظر ترجمته في نصّ « الفنّ ... ما هو ؟ » .

الشّرح :

(1) واعيته الخفيّة : المقصود بذلك ما يؤثّر في سلوك الإنسان دون أن يكون واعيا به وعيا صريحا .

(2) يسخّره : سَخَّرَ يُسَخِّرُ تَسْخِيرًا : المقصود بهذا في أصل الاستعمال أن تكلّف شخصا أو مجموعة بعمل دون أجرة . وإنّ هذا الفعل يستعمل أيضا بمعنى أن تكلّف شخصا ما لا يريد .

(3) أخلاف : إسم مفرده خَلَفٌ ويطلق على الولد عامّة . وإنّ كلمة الأسلاف تقابل الأخلاف .

(4) عُنجهيّة : إسم ــ معناه الجفوة والخشونة .

(5) خُيَلاَء : إسم ــ بمعنى ٱلْكِبْرُ والعُجْبُ .
ٱلْمُخْتَالُ هو الصَّلِف المتباهي المترفّع عن غيره .

(6) حفيظة : إسم بمعنى الغضب .

جاء في معجم لسان العرب ما يلي : « الحفيظة الغضب لحرمة تُنْتَهَكُ او جارٍ ذي قرابةٍ يُظلَم أو عَهْدٍ يُنْكَثُ » .

الأسئلـة :

1 ــ بم فسّر الكاتب نظرة البيض في هذا القرن إلى السّود في أمريكا ؟

2 ــ ما هو الفرق بين منزلة السّود في هذا القرن ومنزلتهم في القرون السّابقة حسب ما جاء في النّصّ ؟

3 ــ يحمّل الكاتب البيض والسّود جميعا مسؤوليّة ما بينهم من هوّة الشّقاق . كيف ذلك ؟ وما رأيك في تحليل الكاتب ؟

4 ــ ما هو النّقد الذي وجّهه الكاتب إلى ممارسة الدّيمقراطيّة في أمريكا ؟

99 ـ سَيِّدِي ٱلْمُحَافِظُ

ـ إِرْكَبْ .

ـ لَكِنْ يَا سَيِّدِي هَذَا ٱلْمَطْعَمُ لِي وَأَنَا صَاحِبُهُ ...

ـ قُلْتُ لَكَ إِرْكَبْ وَلاَ تَتَكَلَّمْ .

ـ لَكِنْ ... لَمْ أَعْمَلْ شَيْئًا مُخَالِفًا لِلْقَانُونِ ، لَمْ أَقْتَرِفْ ذَنْبًا .

ـ كَفَى كَلاَمًا ، عِنْدَمَا تَصِلُ إِلَى ٱلْمَرْكَزِ إِشْرَحْ لِلْمُحَافِظِ حَقِيقَتَكَ .

ـ أَرْجُوكَ لَحْظَةً ، أُوصِي فِيهَا عَلَى ٱلْمَحَلِّ أَحَدَ مُوَاطِنِيَّ .

ـ إِنَّكَ أَكْثَرْتَ ٱلتَّرَجِّي ... إِرْكَبْ وَإِلاَّ ٱضْطَرَرْتُ إِلَى ٱسْتِعْمَالِ ٱلْعُنْفِ .

رَكِبَ « الْمَوْلُودُ » سَيَّارَةَ ٱلشُّرْطَةِ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ ٱلْعُمَّالِ ٱلْجَزَائِرِيِّينَ وَسِيقُوا إِلَى مَرْكَزِ ٱلشُّرْطَةِ دُونَ أَنْ يَعْرِفُوا ٱلسَّبَبَ ، وَفِي ٱلْوَاقِعِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أُولَئِكَ ٱلْعُمَّالِ يَسْتَغْرِبُ هَذِهِ ٱلْحَادِثَةَ ، فَهُمْ قَدْ تَعَوَّدُوا عَلَى ذَلِكَ، مُنْذُ وَطِئَتْ أَقْدَامُهُمْ فِرَنْسَا .

ـ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، غَيْرُ مَعْقُولٍ أَنْ أُسَاقَ هَكَذَا ! أَنَا تَاجِرٌ ، صَاحِبُ مَطْعَمٍ ... غَيْرُ مَعْقُولٍ أَنْ أُعَامَلَ هَكَذَا ... غَيْرُ مَعْقُولٍ ! لَوْ وَقَعَ حَادِثٌ فِي ٱلْمَحَلِّ أَثْنَاءَ غِيَابِي ، تُرَى مَنِ ٱلْمَسْؤُولُ ؟ أَنَا مَسْؤُولٌ طَبْعًا ، صَاحِبُ ٱلْمَحَلِّ هُوَ ٱلْمَسْؤُولُ دَائِمًا ...

وَاصَلَتِ ٱلسَّيَّارَةُ ٱلسَّوْدَاءُ طَرِيقَهَا إِلَى ٱلْمَرْكَزِ تَشُقُّهُ بِصَفَّارَتِهَا شَقًّا ، وَوَاصَلَ «ٱلْمَوْلُودُ» ٱحْتِجَاجَهُ وَتَذَمُّرَهُ مِنْ هَذِهِ ٱلْمُعَامَلَةِ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلَّتِي سُوِّيَ فِيهَا

بَيْنَ تَاجِرٍ مَشْهُورٍ وَعُمَّالٍ نَكِرَاتٍ .

« ٱلثَّوْرَةُ (1) ٱنْتَهَتْ مُنْذُ سَنَوَاتٍ ، وَٱلْجَزَائِرُ مُسْتَقِلَّةٌ ، كُلُّ ٱلنَّاسِ عْرِفُونَ هَذَا ، فَلِمَاذَا جُمِعَ ٱلنَّاسُ بِهَذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ ٱلْمُتَغَطْرِسَةِ ؟ » .

وَصَلَتِ ٱلسَّيَّارَةُ إِلَى ٱلْمَرْكَزِ ، وَأُنْزِلَ ٱلْعُمَّالُ مِنْهَا بِأَعْقَابِ ٱلْبُنْدُقِيَّاتِ. حُشِرُوا فِي أَحَدِ ٱلْمَمَرَّاتِ حَشْرًا .

ــ سَيِّدِي ٱلْمُحَافِظُ أُؤَكِّدُ لَكَ ...

ــ أَوْرَاقَكَ .

ــ قُلْتُ لَكَ يَا سَيِّدِي ٱلْمُحَافِظُ تَرَكْتُهَا بِدُرْجِ ٱلْمَكْتَبِ بِٱلْمَحَلِّ

ــ مَاذَا تَعْمَلُ ؟

ــ أَنَا سَيِّدِي ٱلْمُحَافِظُ صَاحِبُ مَقْهَى ، مَطْعَمٍ ، فُنْدُقٍ ... أَنَا عَلاَّلِي ٱلْمَوْلُودُ صَاحِبُ مَحَلّ 118 شارع «قابْرِييل بيري، سَانْتَ وَان»، ٱلْمُفَتِّشُ «رَاوولُ» وَزُمَلاَؤُهُ يَعْرِفُونَنِي جَيِّدَ ٱلْمَعْرِفَةِ يَأْتُونَ لِتَنَاوُلِ ٱلْكُسْكُسِيِّ عِنْدِي ، تَسْتَطِيعُ أَنْتَ أَيْضًا أَنْ تَأْتِيَ سَيِّدِي ٱلْمُحَافِظُ لِتَنَاوُلِ ٱلْكُسْكُسِيِّ ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْتِيَ مَتَى شِئْتَ سَتَجِدُ لَدَيْنَا كُلَّ حَفَاوَةٍ ، يَجِبُ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى 118 سَيِّدِي ٱلْمُحَافِظُ .

ــ مَتَى دَخَلْتَ إِلَى فِرَنْسَا ؟

ــ مَتَى دَخَلْتُ إِلَى فِرَنْسَا ... مُنْذُ إِحْدَى عَشَرَةَ سَنَةً ، دَخَلْتُ فِي سَنَةِ 1959 .

ــ أَيْنَ كُنْتَ تَشْتَغِلُ ؟

ـــ فِي مَعَامِلِ « سِيتْرُوين » سَيِّدِي ٱلْمُحَافِظُ .

ـــ مَتَى تَوَقَّفْتَ عَنِ ٱلْعَمَلِ فِي مَعَامِلِ « سِيتْرُوين » ؟

ـــ مُنْذُ سَنَةٍ تَقْرِيبًا .

ـــ وَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِٱلأَمْوَالِ ٱلَّتِي ٱشْتَرَيْتَ بِهَا مَقْهًى وَمَطْعَمًا وَفُنْدُقًا ؟

ـــ لَمْ أَشْتَرِ هَذَا ٱلْمَحَلَّ ، اِكْتَرَيْتُهُ فَقَطْ .

ـــ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكَ ٱلأَمْوَالُ لِاكْتِرَاءِ مَحَلٍّ مِثْلِ هَذَا ؟

ـــ مِنَ ٱلْعَمَلِ سَيِّدِي ٱلْمُحَافِظُ ، مِنْ عَرَقِ ٱلْجَبِينِ ، اِقْتَصَدْتُ طَوَالَ ٱلسَّنَوَاتِ ٱلْمَاضِيَةِ لأَسْتَطِيعَ ٱكْتِرَاءَ مَحَلٍّ .

ـــ أَنَا لِي عِشْرُونَ سَنَةً فِي ٱلشُّرْطَةِ وَلَمْ أَسْتَطِعْ تَوْفِيرَ مَا أَكْتَرِي بِهِ شُقَّةً فِي فُنْدُقٍ ، فَكَيْفَ ٱسْتَطَعْتَ أَنْتَ تَوْفِيرَ كُلِّ هَذِهِ ٱلأَمْوَالِ ؟

ـــ لَكِنْ سَيِّدِي ٱلْمُحَافِظُ ، أَنْتَ لاَ تَسْتَطِيعُ أَكْلَ ٱلْخُبْزِ وَٱلْبَطَاطَا سَنَوَاتٍ

ـــ لَسْتُ أَضْحَكُ مَعَكَ لاَ شَكَّ أَنَّكَ سَرِقْتَ هَذِهِ ٱلأَمْوَالَ وَإِلاَّ فَأُجْرَتُكَ كُلُّهَا لاَ تُمَكِّنُكَ مِنِ ٱكْتِرَاءِ مَحَلٍّ كَالَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ !

ـــ سَيِّدِي ٱلْمُحَافِظُ ، أُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّ ٱلْمَالَ ٱلَّذِي ٱكْتَرَيْتُ بِهِ ٱلْمَحَلَّ مِنْ عَرَقِ جَبِينِي ... كَيْفَ أَسْرِقُ أَنَا ؟ أُؤَكِّدُ لَكَ سَيِّدِي ٱلْمُحَافِظُ أَنَّنِي عَامِلٌ « نَظِيفٌ » .

ـــ هَلْ لَدَيْكَ مَا يُثْبِتُ أَقْوَالَكَ ؟

ـــ اِسْأَلْ عَنِّي رَئِيسَ قِسْمِ ٱلدُّهْنِ فِي مَعَامِلِ « سِيتْرُوين » سَوْفَ يُجِيبُكَ بِأَنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلْعُمَّالِ ٱلْمُتْقَانِينَ فِي عَمَلِهِمْ . وَإِذَا أَعْطَيْتَنِي فُرْصَةً

فَسَوْفَ آتِيكَ بِكُلِّ ٱلْحُجَجِ ٱلَّتِي تُثْبِتُ صِحَّةَ كَلاَمِي .

ــ طَيِّب عِنْدَمَا تَصِلُ إِلَى ٱلْجَزَائِرِ ، هَيِّىءْ حُجَجَكَ لِلمُطَالَبَةِ بِحَقِّكَ .

ــ ٱلْجَزَائِر سَيِّدِي ٱلْمُحَافظُ ؟ ... إِلَيْكَ ... مَحَلِّي ... أَوْرَاقِي ، حِسَابَاتِي ، أَمْوَالِي ...

ــ هَيَّا ٱغْرُبْ عَنْ وَجْهِي ... شُرْطِي ... ٱلَّذِي بَعْدَهُ .

عبد الحميد بن هدوقة

مجلّة العربي، عدد 259، جوان 1980

صفحة 62

التّعريف بالكاتب :

آنظر ترجمته في نصّ « نفِيسة » .

الشّـرح :

(1) إحتلّت فرنسا الجزائر في شهر جويلية 1830 . إندلعت الثّورة المسلّحة الجزائريّة سنة 1954 واستمرّت إلى سنة 1962 . ولقد تحصّلت الجزائر الشّقيقة على استقلالها في 1 جويلية 1962 .

الأسئلـة :

1 ــ ما رأيك في طريقة آقتياد الشّخصية المتحدّث عنها في النّصّ إلى مركز الشّرطة ؟ وما موقف الشّخصيّة تلك من ذلك ؟ وكيف تفسّر موقفها ؟

2 ــ لِمَ ذكر « المولود » الثّورة الجزائريّة وهو في طريقه إلى مركز الشّرطة ؟

3 ــ كيف كوّن « المولود » ثروته ؟

4 ــ ما هو موقف الكاتب من شخصيّة « المولود » ؟ دعّم جوابك بحجج من النّصّ .

5 ــ ما هو النّقد الذي يوجّهه الكاتب إلى الغرب في هذا النّصّ ؟

100 ـ ثَـوْرَةٌ سَـوْدَاءُ

فِي مَسَاءِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ كَانُونَ ٱلأَوَّلِ [1] مِنْ عَامِ 1955 فَرَغَتْ «روزا باركس» مِنْ عَمَلِهَا وَهِيَ لاَ تَكَادُ تَسْتَقِيمُ فِي وِقْفَتِهَا مِنَ ٱلتَّعَبِ . وَكَانَتْ « روزا » تَشْتَغِلُ مُسَاعِدَةَ خَيَّاطَةٍ فِي مَصْنَعٍ كَبِيرٍ لِلْمَلاَبِسِ ٱلْجَاهِزَةِ. هِيَ أَرْمَلَةٌ نَاهَزَتِ ٱلْخَمْسِينَ قَضَتْ مُعْظَمَ سِنِي عُمُرِهَا فِي عَمَلٍ مُتَوَاصِلٍ فَلَهَا أَبْنَاءٌ ثَلاَثَةٌ فِي حَاجَةٍ إِلَى ٱلْقُوتِ وَٱللِّبَاسِ وَٱلْكِتَابِ .

فَرَغَتْ « روزا » فِي ذَلِكَ ٱلْمَسَاءِ مِنْ عَمَلِهَا فَٱتَّجَهَتْ إِلَى مَحَطَّةِ ٱلْحَافِلاَتِ وَكَانَتْ تَعْرُجُ [2] فِي مِشْيَتِهَا مِنْ إِصَابَةٍ فِي رِجْلِهَا ٱلْيُسْرَى .

وَلَمَّا وَصَلَتْ حَافِلَةُ « كليفلاند » صَعِدَتْ وَكَانَتْ عَلَى عَادَتِهَا مُتَقَيِّدَةً بِٱلْقَاعِدَةِ ٱلْمُتَّبَعَةِ وَٱلْقَاضِيَةِ بِأَنَّ مَقَاعِدَ ٱلْجُزْءِ ٱلأَمَامِيِّ مِنَ ٱلْحَافِلَةِ إِلَى ٱلْوَسَطِ مُخَصَّصَةٌ لِلْبِيضِ وَأَنَّ مَقَاعِدَ ٱلْجُزْءِ ٱلْخَلْفِيِّ مُخَصَّصَةٌ لِلسُّودِ . جَلَسَتْ فِي ٱلْمَقْعَدِ ٱلأَوَّلِ ٱلَّذِي يَلِي ٱلصَّفَّ ٱلأَخِيرَ ٱلْمُخَصَّصَ لِلْبِيضِ وَتَنَفَّسَتِ ٱلصُّعَدَاءَ [3] وَلَقَدْ كَانَتْ أَسَارِيرُ وَجْهِهَا مُنْقَبِضَةً لِاشْتِدَادِ ٱلأَلَمِ فِي رِجْلِهَا .

وَصَادَفَ فِي ذَلِكَ ٱلْمَسَاءِ أَنْ صَعِدَ ٱلْحَافِلَةَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلرُّكَّابِ مِمَّا جَعَلَهَا تَزْدَحِمُ بِهِمْ وَٱضْطُرَّ ٱلْبِيضُ إِلَى ٱلْوُقُوفِ فِي ٱلْمَمَرِّ . وَلَمْ يُرُقْ ذَلِكَ لِلسَّائِقِ وَهُوَ أَبْيَضُ طَبْعًا فَأَوْقَفَ ٱلْحَافِلَةَ وَأَمَرَ « روزا » وَٱثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مِنَ ٱلزُّنُوجِ فِي لَهْجَةٍ صَارِمَةٍ بِأَنْ يَتَخَلَّوْا عَنْ مَقَاعِدِهِمْ لِيَحُلَّ مَحَلَّهُمْ ثَلاَثَةٌ مِنَ ٱلْبِيضِ ٱلْوَاقِفِينَ .

بَانَ ٱلتَّرَدُّدُ عَلَى « روزا » لأَنَّ ٱلإِنْصِيَاعَ [4] إِلَى هَذَا ٱلأَمْرِ مَعْنَاهُ أَنْ تَظَلَّ وَاقِفَةً مُتَحَمِّلَةً ٱلأَلَمَ ٱلشَّدِيدَ فِي رِجْلِهَا ٱلْيُسْرَى أَمَّا ٱلزِّنْجِيَّانِ ٱلآخَرَانِ فَٱمْتَثَلاَ لِلأَمْرِ وَتَخَلَّيَا عَنْ مَقْعَدَيْهِمَا .

وَفِي ٱلأَخِيرِ رَفَضَتْ « روزا » ٱلتَّنَازُلَ عَنْ مَقْعَدِهَا . وَبِسَبَبِ هَذَا ٱلإِصْرَارِ ... أَوْ هَذِهِ ٱلْجَرِيمَةِ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى ٱلْبِيضِ تَمَّ ٱعْتِقَالُهَا بِتُهْمَةِ مُخَالَفَةِ ٱلأَنْظِمَةِ ٱلإِجْتِمَاعِيَّةِ ٱلْمُتَّبَعَةِ فِي وِلاَيَةِ « ألباما » .

تَأَفَّفَ بَعْضُ ٱلرُّكَّابِ ٱلْبِيضِ لِوَقَاحَةِ ٱلزُّنُوجِ وَٱكْتَفَى ٱلرُّكَّابُ ٱلسُّودُ فِي ٱلتَّعْبِيرِ عَنْ سُخْطِهِمْ بِهَمْهَمَاتٍ مَكْبُوتَةٍ . وَكَانَتْ هَذِهِ ٱلْحَادِثَةُ سَبَبًا لِٱنْفِجَارِ ثَوْرَةٍ سَوْدَاءَ فِي عَشَرَاتِ ٱلْمُدُنِ ٱلأَمِيرِكِيَّةِ .

عن ثورة الزّنوج في أمريكا
ترجمة حبيب نحولي
منشورات المكتب التّجاري
للطّباعة والنّشر والتّوزيع
بيروت : الطّبعة الأولى 1967
ص ص 17ـــ18

الشّـرح :

(1) كانون الأول : هو شهر ديسمبر .

(2) تعرُج : عَرَج يعرُج عَرَجانًا : مشى مشية غير مستقيمة فيها ميلان .

(3) الصُّعداءُ : هو النَّفس الممدود فيه توجّع .

(4) الانصياع : مصدر ــ انصاع ينصاع انصياعا معنى هذا الفعل في الأصل ذهب مسرعا . وهو يفيد في النّصّ الاستجابة إلى الأمر في سرعة .

الأسئلـة :

1 ــ ما هي الجوانب التي أُعتنى بها الكاتب في وصفه لشخصيّة « روزا باركس » وما دور الجوانب تلك في أحداث النّصّ ؟

2 ــ لِمَ رفضت « روزا » التّنازل عن مقعدها حسب ما جاء في النّصّ ؟ وماذا تستخلص من ذلك ؟

3 ــ كيف أُعتبر البيض رفض « روزا » التّنازل عن مقعدها ؟ وماذا تستخلص من ذلك ؟

4 ــ ما هي ردُود فعل البيض وردود فعل السّود عمّا حدث لـ«روزا» ؟ وماذا تستخلص من ذلك ؟

5 ــ ماذا تستفيد من النّصّ في خصوص وضعيّة السّود بأمريكا في الخمسينات ؟

101 ــ مَارْتِنْ لُوثِرْ كِينْغ [1]

كَانَ ٱلْوَقْتُ لَيْلاً وَأَضْوَاءُ ٱلنِّيُونْ [2] تَتَلأْلأُ فِي سَمَاءِ مَدِينَةِ وَاشِنْطُنْ ٱلأَمِرِيكِيَّةِ ، وَكَانَ يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَقَدْ حَمَلَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ لِفَافَةً [3] صَغِيرَةً ، بَيْنَمَا أَمْسَكَ بِيَدِهِ ٱلأُخْرَى كِتَابًا ...

وَفَجْأَةً أَحَسَّ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ تُرَبِّتُ [4] عَلَى كَتِفِهِ بِعُنْفٍ فَتَهُزُّ جِسْمَهُ هَزًّا. وَقَالَ صَاحِبُ ٱلْيَدِ فِي صَوْتٍ خَشِنٍ : « أَنْتَ أَيُّهَا ٱلزِّنْجِيُّ إِنَّنِي أَبْحَثُ عَنْ مَحَلٍّ لِبَيْعِ ٱلتِّبْغِ فِي هَذَا ٱلشَّارِعِ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَدُلَّنِي عَلَيْهِ ؟ » .

وَٱبْتَسَمَ ٱلرَّجُلُ ٱلزِّنْجِيُّ فِي هُدُوءٍ وَقَالَ : « آسِفٌ جِدًّا ، يَا سَيِّدِي ، فَأَنَا غَرِيبٌ عَنْ هَذَا ٱلْبَلَدِ مِثْلُكَ تَمَامًا » .

وَقَالَ ٱلرَّجُلُ ٱلآخَرُ فِي غَضَبٍ شَدِيدٍ : « مِثْلِي تَمَامًا ، هَلْ جُنِنْتَ ؟ أَنَا لَسْتُ غَرِيبًا عَنْ أَيِّ بَلَدٍ ... فَكُلُّ بَلَدٍ فِي أَمِرِيكَا بَلَدِي لأَنَّنِي رَجُلٌ أَبْيَضُ ، أَمَّا أَنْتَ فَكُلُّ بِلاَدِ أَمِرِيكَا غَرِيبَةٌ عَلَيْكَ ، لأَنَّكَ أَسْوَدُ وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَكَ لَعُدْتُ فَوْرًا إِلَى بِلاَدِي فِي أَحْرَاشِ [5] إِفْرِيقِيَا ! » .

وَعَادَ ٱلرَّجُلُ ٱلأَسْوَدُ يَقُولُ فِي هُدُوءٍ : « سَأَفْعَلُ ذَلِكَ . فَإِنَّ لِي إِخْوَةً هُنَاكَ فِي جَنُوبِ إِفْرِيقِيَا ... وَهُمْ أَيْضًا يَتَأَلَّمُونَ مِثْلِي ! » :

وَثَارَ ٱلرَّجُلُ ٱلأَبْيَضُ وَضَمَّ يَدَهُ ٱلثَّقِيلَةَ لِيُوَجِّهَ بِهَا لَكْمَةً قَوِيَّةً إِلَى فَكِّ ٱلرَّجُلِ ٱلأَسْوَدِ سَقَطَ عَلَى إِثْرِهَا عَلَى ٱلأَرْضِ وَٱلدِّمَاءُ تَنْزِفُ مِنْ فَمِهِ بِغَزَارَةٍ! وَتَجَمَّعَ ٱلنَّاسُ وَجَاءَ رِجَالُ ٱلْبُولِيس لِيَنْقُلُوا ٱلرَّجُلَيْنِ إِلَى مَرْكَزِ ٱلشُّرْطَةِ .

وَعَلَى مَقْعَدٍ صَغِيرٍ جَلَسَ ٱلرَّجُلُ ٱلأَسْوَدُ يَمْسَحُ دِمَاءَهُ . وَبَدَأَ ٱلضَّابِطُ يُحَرِّرُ مَحْضَرًا بِٱلْوَاقِعَةِ ، وَلَكِنَّهُ أَحَسَّ بِيَدٍ تَمْتَدُّ إِلَيْهِ فِي رِفْقٍ وَصَوْتٍ يَقُولُ

فِي حَزْمٍ : « لاَ ! لَقَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ . أَنَا ٱلآنَ بِخَيْرٍ . وَلَمْ يُصِبْنِي أَذًى وَأُرِيدُ أَنْ أَنْصَرِفَ لأَنَّنِي عَلَى مَوْعِدٍ هَامٍّ ! » .

وَفَجْأَةً تَذَكَّرَ شَيْئًا رَاحَ يَبْحَثُ عَنْهُ كَٱلْمَحْمُومِ ، إِنَّهَا ٱللِّفَافَةُ ٱلصَّغِيرَةُ ٱلَّتِي كَانَ يَحْمِلُهَا وَلَمْ يَجِدْهَا فِي يَدِهِ !

وَقَدَّمَهَا لَهُ ٱلشُّرْطِيُّ ٱلَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ وَصَلَ إِلَى مَكَانِ ٱلْحَادِثِ . وَقَدْ تَمَزَّقَ ٱلْوَرَقُ ٱلْمُلَوَّنُ ٱلَّذِي كَانَ يَلُفُّهَا ، فَفَتَحَهَا لِيُعِيدَ لَفَّهَا مِنْ جَدِيدٍ! كَانَتْ « عَرُوسَةً » صَغِيرَةً ٱشْتَرَاهَا مُنْذُ سَاعَاتٍ قَلِيلَةٍ لِيُقَدِّمَهَا هَدِيَّةً لِطِفْلَةٍ سَوْدَاءَ فِي عِيدِ مِيلاَدِهَا ٱلرَّابِعِ .

وَلَمْ يَكُنْ لَوْنُ ٱلْعَرُوسَةِ أَسْوَدَ . وَإِنَّمَا كَانَ أَبْيَضَ . لأَنَّ ٱلطِّفْلَةَ ٱلسَّوْدَاءَ لَمْ تَكُنْ تُحِبُّ ٱلأَطْفَالَ ٱلْبِيضَ كَثِيرًا لأَنَّهُمْ يَرْفُضُونَ أَنْ يَلْعَبُوا مَعَهَا ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُعَلِّمَهَا كَيْفَ تُحِبُّهُمْ !

عن مجلّة « العربي »

عدد 115، جوان 1968، صفحة 28

الشّـرح :

(1) مارتن لوثر كينغ : رجل دين زنجيّ أمريكيّ ولد بولاية جورجيا سنة 1929. دعا إلى نبذ العنف وسعى إلى جعل السّود يندمجون في المجتمع الأمريكيّ . وفي سنة 1967 نال جائزة نوبل للسّلم . تمّ ٱغتياله في 4 أفريل 1968 .

(2) النّيون : كلمة دخيلة تطلق على غاز يستعمل في أنابيب كهربائية للإضاءة

(3) لِفَافَةٌ : إسم ــ ما يُلَفّ به الشّيء وجمعها لَفَائِفُ .

(4) تُرَبِّتُ : ربّت عليه يُربِّتُ : هذا الفعل معناه في الأصل ــ بخلاف ما جاء في النّصّ ــ أن يضرب شخص شخصا ضربات خفيفة فيها عطف وحنوّ .

(5) أحراش : كلمة لم نجدها في المعاجم ولعلّ المقصود بها الأماكن الغليظة الصّعبة .

الأسئلـة :

1 ــ اِستخرج جميع العبارات والجمل التي تكشف عن عنصريّة الرّجل الأبيض .

2 ــ تتبّع أحداث النّصّ وآدرس ردود فعل « مارتن لوثر كنغ » عن ٱستفزاز الأبيض له ثمّ ٱستخلص من ذلك ما يمكنك ٱستخلاصه .

3 ــ لِمَ عفا « مارتن لوثر كنغ » عن الرّجل الأبيض حسب رأيك ؟ وما موقفك من ذلك ؟

4 ــ بِمَ تفسّر موقف الأطفال البيض من البنيّة السّوداء ؟

5 ــ ما رأيك في الطّريقة التي عمد إليها « مارتن لوثر كنغ » كي يصرف الطّفلة السّوداء عن كره البيض ؟

6 ــ قارن بين دعوة « لوثر » من ناحية وتصرّف البيض من ناحية ثانية .

102 ــ ٱلطُّوفَانُ ٱلأَسْوَدُ

لَقَدْ غَسَلَ ٱلنُّورُ أَرْضَكِ ...
حَتَّى سَرَادِيبَكِ [1] ٱلرَّطْبَةَ ٱلْمُظْلِمَهْ
مَشَى ٱلْفَجْرُ فِيهَا بِأَنْفَاسِهِ ...
يُفَضِّضُ أَيَّامَكِ ٱلْقَادِمَهْ
فَهَلْ تَسْمَعِينَ أَغَانِي ٱلزُّنُوجِ
تُدَوِّي مُثْقَلَةً بِٱلْحَيَاه ؟

* * *

بِلاَدَ ٱلْعَبِيدِ ... إِفْرِيقِيَا
يَا بِلاَدَ ٱلزُّنُوجِ ٱلْحُفَاةِ ٱلْعُرَاة

* * *

مَتَى أَجِدُ ٱلْمَالَ ؟
كَيْ أَشْتَرِيَ حِذَاءً وَكَلْبًا وَثَوْبًا جَدِيدْ
وَأَمْضِي إِلَى أَرْضِ إِفْرِيقِيَا
لأَصْطَادَ قَافِلَةً مِنْ عَبِيدْ
فَإِنِّي ٱمْرُؤٌ أَبْيَضُ كَٱلثُّلُوجْ
....

* * *

وَآخَرُ أَسْوَدُ بَادِي ٱلْعُبُوسْ
طَوِيلٌ رَفِيعٌ كَصَارِي [2] سَفِينَهْ

وَقَدْ حَدَّثُوا أَنَّ مِيلاَدَهُ
بِإِحْدَى لَيَالِي ٱلشِّتَاءِ الْحَزِينَهْ

... ...

تَرَاءَتْ لَهُ مِثْلُ صَفْصَافَة
تُضِيءُ إِلَيْهَا جُمُوعُ ٱلظِّلاَلْ
وَكَانَتْ أَكُفُّ ٱلْهَجِيرِ (3) ٱلضَّرِيرْ
تُسَمِّرُ أَقْدَامَهُ فِي ٱلرِّمَالْ
فَوَسَّدَ أَحْزَانَهُ صَدْرَهَا
وَأَطْبَقَ أَجْفَانَهُ فِي سُكُونْ

... ...

وَرَاحَ يَرَى مِلْءَ أَحْلاَمِهِ
جَزَائِرَ غَارِقَةً فِي ٱلْغَمَامْ
يُظَلِّلُهَا نَغَمٌ أَزْرَقُ
شَفِيفٌ شَفِيفٌ (4) بِلَوْنِ ٱلسَّلاَمْ
وَكَانَتْ هُنَالِكَ عِنْدَ ٱلشَّمَالْ
حُقُولٌ مُتَوَّجَةٌ بِٱلْغِلاَلْ
وَقَوْمٌ مِنَ ٱلسُّودِ مُسْتَغْرِقُونْ
يَرُصُّونَ أَكْدَاسَهَا فِي ٱلتِّلاَلْ
وَأَصْوَاتُهُمْ وَزَغَارِيدُهُمْ
تُرَفْرِفُ صَاعِدَةً مِنْ بَعِيدْ

... ...

* * *

وَٱسْكَرَهُ حُلْمُهُ ٱلْعَاطِفِي
فَبَعْثَرَ أَشْوَاقَهُ أَجْمَعِينْ
وَعَانَقَ إِخْوَانَهُ بَاكِيًا
وَمَدَّ يَدَيْهِ إِلَى ٱلآخَرِينْ
وَهَزَّتْهُ أَفْرَاحُهُ ... فَأَفَاقْ
عَلَى ظِلِّ صَفْصَافَةٍ وَاقِفَه
وَكَانَتْ جُمُوعُ ٱلزُّنُوجِ ٱلْعُرَاة
تُحَرِّكُهَا ثَوْرَةُ ٱلْعَاصِفَة
فَسَارَ يُغَنِّي مَعَ ٱلسَّائِرِينْ
وَهُمْ زَاحِفُونَ إِلَى ٱلطَّاغِيَهْ
وَيَحْفُرُ فَوْقَ جِدَارِ ٱلزَّمَانْ
أَغَانِي إِفْرِيقِيَا ٱلدَّامِيَهْ

محمّد الفيتوري

أغاني عاشق من إفريقيا

منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت 1967

ص ص 45ـــ52

التّعريف بالشّاعر :

محمّد الفيتوري : شاعر سوداني معاصر . ولد سنة 1930 . احتفل في شعره بالزّنوج وقضاياهم . نشر مجموعات شعريّة نذكر منها « أغاني إفريقيا » و« أغاني عاشق من إفريقيا » .

الشّـرح :

(1) سراديبك : إسم مفرده سِرْدَاب ومعناه البناء تحت الأرض .

(2) الصّاري : إسم ــ صاري السّفينة هي الخشبة في وسطها يكون عليها الشّراع .

(3) الهجير : إسم معناه نصف النّهار عند اشتداد الحرّ .

(4) شفيف : هذه الكلمة « صيغة مبالغة » من فعل شفّ بمعنى رقّ حتّى ظهر ما وراءه .

الأسئلـة :

1 ــ إستخرج من المقطع الأوّل الكلمات التي تفيد الضّياء ثمّ بيّن المعنى الذي قصد إليه الشّاعر من حديثه عن النّور .

2 ــ إلاَمَ يرمز الأبيض المذكور في القصيدة ؟ وهل لك أن تستخلص ــ انطلاقا من الكلمات التي ٱستعملها الشّاعر في الحديث عنه ــ موقفه منه ؟

3 ــ ما هي الجوانب التي ٱهتمّ بها الشّاعر في تصوير الأسود ؟ ولماذا ٱهتمّ بالجوانب تلك ؟

4 ــ ما هي أحلام الأسود حسب ما جاء في القصيدة ؟ وهل لك أن تستخلص واقعه المعيش من أحلامه تلك ؟

5 ــ إلاَمَ ترمز « الصفصافة » في القصيدة ؟

6 ــ إستخرج من القصيدة تشبيهين وٱستعارتين .

فائـــدة :

الحقيقـة والمجـاز

الحقيقـة :

لكلّ كلمة في اللّغة معنى متّفق عليه . وهو المعنى الذي يفهمه جميع المتكلّمين بتلك اللّغـة والذي تضبطه المعاجم .

فالبدر : كوكب يضيء باللّيل .

والأسد : حيوان يعرف بالبطش والقوّة .

واليد : عضو من أعضاء جسم الإنسان .

والمتكلّم يستعمل هذه الكلمات على الحقيقة متى استعملها بهذا المعنى .

المجـاز :

قد يعدل المتكلّم عن استعمال الكلمة بمعناها الحقيقي ، أي معناها المعجمي ويتجاوزه إلى معنى آخر لا تدلّ عليه في الأصل .

كأن يقول : « طلع البدر » وهو لا يقصد القمر بل إنسانا جميلا .

أو : « جاء الأسد » وهو يعني رجلا شجاعا .

أو : « له عليّ آياد » وهو يعني له عليّ فضل .

أو : « ضجّت القاعة بالهتاف » وهو يعني : ضجّ الحاضرون (الموجودون بالقاعة) بالهتاف .

فالمتكلّم لم يستعمل الكلمات : البدر ، الأسد ، أياد ، القاعة ، على الحقيقة لأنّه لم يقصد بها معناها الأصلي بل تجاوزه واستعملها استعمالا مجازيّا للتّعبير عن الإنسان الجميل والشّجاع والفضل والحاضرين .

والمعنى المجازي معنى طارئ على الكلمة ، ولا تضبطه المعاجم .

كلّ مجاز يقوم على علاقة :

يجب أن تتوفّر بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي مناسبة وعلاقة، فليست كلّ كلمة تصلح للتّعبير عن أي معنى مجازي . فكلمة البدر تعبّر عن الإنسان الجميل لوجود علاقة مشابهة بين البدر والإنسان الجميل واليد تعبّر عن الفضل لأنّها بمثابة الآلة التي يتحقّق بها الفضل والقاعة تعبّر عن الحاضرين لأنّها المكان الذي يوجدون فيه .

لا بدّ لكلّ مجاز من قرينة تدلّ عليه :

الكلام في الأصل يستعمل على الحقيقة . فإذا رام المتكلّم استعمال المجاز ، ضمّنه قرينة ليفهم السّامع مقصده ويدرك مواطن المجاز .

والقرينة تكون في الكلام ذاته ؛ كأن تقول : « قصف الرّعد فبكت السّماء » فقد استعملت على المجاز فعل « بكت » بمعنى « أمطرت » يدلّ على ذلك أنّ السّماء لا تبكي على الحقيقة كما أن عبارة « قصف الرعد » ترجّح هذا المعنى .

وقد تكون القرينة في المقام الذي يقال فيه الكلام (من زمان ومكان وأحداث) فعبارة « جاء الأسد » تقولها وأنت في حديقة الحيوانات ، فتفهم كلمة أسد على الحقيقة ، وتقولها وقد دخل عليكم رجل معروف

بالشجاعة فتفهم كلمة أسد على المجاز .

أهم أنواع المجاز : * المجاز المرسل

* الاستعارة .

اَلْمَجَـاز اَلْمُرْسَـلُ

هو مجاز (أي لفظ استعمل في غير معناه الأصلي) يقوم على علاقة غير المشابهة .

والعلاقات التي تربط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في المجاز المرسل عديدة متنوّعة ، وإليك أمثلة منها وقد وردت الكلمة التي تمثّل موطن المجاز غليظة :

المثال	المعنى المقصود	شرح العلاقة
اِسأل **القريّة**	أهل القرية	استعمل المكان وهو يعني من فيه
ضجّت **القاعة** بالهتاف	الحاضرون	استعمل المكان وهو يعني من فيه
دس لها **الموت** في الكـــــــأس	السّمّ	استعمل النّتيجة وهو يعني السّبب
له عليّ **أياد** عديدة	الفضل	استعمل الآلة وهو يعني ما يتحقّـق بها
صمت **الهلال** كاملا	الشّهر	استعمل الدّال (الهـلال) وهو يعني المدلول(الشهر)
كنت أوّل من رأى **الشّهر**	الهلال	استعمل المدلول «الشهر» وهو يعني الدّال «الهلال»

شربت **الكأس**	ما فيه	استعمل الوعاء وهو يعني ما فيه
لا تكن **أذنا** تصدّق كلّ شيء	إنسانا	استعمل الجزء وهو يعني الكلّ
أودع غياهب **الوحشة**	السّجن	استعمل الحال وهو يعني المكان
ولدت هذه المرأة **تعبا**	ذريّة	استعمل ما سيكون وهو يعني ما هو كائن
خيّرته أمه بين الهوى **والحليب**	رضا الأمّ	استعمل ما كان في الماضي وهو يعني ما هو موجود في الحاضر
كسا **البياض** الحقول	الثلج	استعمل لون الشيء وهو يعني الشيء ذاته
نقل النّسيم **الأزهار**	الرائحة	استعمل الشيء وهو يعني رائحته

الاستعـارة

يقول المتكلّم « أقبل الأمير » مستعملا الكلمات المناسبة للتّعبير عن المعنى المقصود . وقد يعدل عن ذلك فيقول « أقبل البدر » وهو لا يقصد البدر الحقيقي ، بل أميرا يشبه البدر في جماله ، مستعيرا كلمة « البدر » ليعبّر بها عن الأمير ، معتمدا على علاقة المشابهة التي عقدها ضمنيّا بين الأمير والبدر .

وقد يقول المتكلّم « أقبل الأسد » وهو لا يعني الأسد الحقيقي بل بطلا يشبه الأسد في شجاعته . فقد استعار كلمة الأسد للتّعبير بها عن البطل ، معتمدا على علاقة المشابهة التي عقدها ضمنيّا بين الأسد والبطل .

وكذلك الأمر إذا قال « ضحكت الزّهرة » فقد استعار فعل «ضحك» وعبّر به عن معنى فعل « تفتّحت » لأنّه شبّه ضمنيّا التّفتّح بالضّحك.

فقد استعمل المتكلّم « البدر » و« الأسد » و« ضحكت » على المجاز. ويسمّى هـذا المجاز استعارة لقيامه على علاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي .

فالاستعارة مجاز قائم على علاقة المشابهة .

فإذا قلت : ضحكت الزّهرة حدث في الزّهرة تشخيص لأنّها تصبح بمثابة الإنسان وإذا قلت : « عضّنا الدّهر » أصبح الدّهر بمثابة الحيوان .

ملائم المعنى المجازي وملائم المعنى الحقيقي :

أ ــ قد يعمد المتكلّم إلى استعمال عبارة تلائم المعنى المجازي

وتؤكّده وتغرق في الإيهام به ؛ فإذا قلت في وصف رجل غاضب :

جاء الأسد مكشّرا عن أنيابه .

فإنّ عبارة « مكشّرا عن أنيابه » تناسب المعنى المجازي (الأسد) وتقوّيه .

ب ــ قد يعمد المتكلّم إلى استعمال عبارة تلائم المعنى الحقيقي وتذكّر به .

فإذا قلت في وصف رجل يتبختر : « جاء الأسد يتبختر في حلّة موشّاة » فإنّ عبارة « يتبختر في حلّة موشّاة » تناسب المعنى الحقيقي (الرّجل) وبالتّالي تنقص من قوّة المجاز .

2 ـ السّلـم والحـرب

103 ـ ٱلْقَائِدُ ٱلْحَرْبِيُّ وَٱلْمُنَجِّمُ وَٱلصَّانِعُ

إِنَّ ٱلإِسْكَنْدَرَ ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ (1) ٱلرُّومِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِينَ كَانُوا بِنَاحِيَةِ ٱلْمَغْرِبِ ، سَارَ يُرِيدُ مُلُوكَ ٱلْمَشْرِقِ مِنَ ٱلْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُحَارِبُ مَنْ نَازَعَهُ ، وَيُوَاقِعُ مَنْ وَاقَعَهُ ، وَيُسَالِمُ مَنْ وَادَعَهُ ، مِنْ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ ، وَهُمُ ٱلطَّبَقَةُ الأُولَى ، حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِمْ (2) وَقَهَرَ مَنْ نَاوَأَهُ (3) ، وَتَغَلَّبَ عَلَى مَنْ حَارَبَهُ ، فَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ (4) وَتَمَزَّقُوا حَزَائِقَ (5) ؛ فَتَوَجَّهَ بِٱلْجُنُودِ نَحْوَ بِلاَدِ ٱلصِّينِ ، فَبَدَأَ فِي طَرِيقِهِ بِمَلِكِ ٱلْهِنْدِ ، لِيَدْعُوَهُ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَٱلدُّخُولِ فِي مِلَّتِهِ (6) وَوِلاَيَتِهِ .

وَكَانَ عَلَى ٱلْهِنْدِ فِي ذَلِكَ ٱلزَّمَانِ مَلِكٌ ذُو سَطْوَةٍ (7) وَبَأْسٍ ، وَقُوَّةٍ وَمِرَاسٍ (8) ، يُقَالُ لَهُ فُورُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ إِقْبَالُ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ نَحْوَهُ تَأَهَّبَ لِمُحَارَبَتِهِ ، وَٱسْتَعَدَّ لِمُجَاذَبَتِهِ ؛ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ ، وَجَدَّ فِي ٱلتَّأَلُّبِ عَلَيْهِ؛ وَجَمَعَ لَهُ ٱلْعُدَّةَ (9) بِٱلْوُثُوبِ ، مَعَ ٱلْخُيُولِ ٱلْمُسْرَجَةِ ، وَٱلسُّيُوفِ ٱلْقَوَاطِعِ ، وَٱلْحِرَابِ ٱللَّوَامِعِ . فَلَمَّا قَرُبَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ مِنْ فُورٍ ٱلْهِنْدِيِّ، وَبَلَغَهُ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ مِنَ ٱلْخَيْلِ ، ٱلَّتِي كَأَنَّهَا قِطَعُ ٱللَّيْلِ ، مِمَّا لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ بِمِثْلِهِ مِنَ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِينَ كَانُوا فِي الأَقَالِيمِ ، تَخَوَّفَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ مِنْ تَقْصِيرٍ يَقَعُ بِهِ إِنْ عَجَّلَ ٱلْمُبَارَزَةَ .

وَكَانَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ رَجُلاً ذَا حِيَلٍ وَمَكَايِدَ ، مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرٍ وَتَجْرِبَةٍ. فَرَأَى إِعْمَالَ ٱلْحِيلَةِ وَٱلتَّمَهُّلَ ، وَٱحْتَفَرَ خَنْدَقًا عَلَى عَسْكَرِهِ ، وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ لِٱسْتِنْبَاطِ ٱلْحِيلَةِ ، وَٱلتَّدْبِيرِ لأَمْرِهِ ، وَكَيْفَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى الإِيقَاعِ بِهِ . فَٱسْتَدْعَى ٱلْمُنَجِّمِينَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالاخْتِيَارِ لِيَوْمٍ مُوَافِقٍ تَكُونُ لَهُ فِيهِ سَعَادَةٌ لِمُحَارَبَةِ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ وَٱلنُّصْرَةِ عَلَيْهِ ، فَٱشْتَغَلُوا بِذَلِكَ .

وَكَانَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ لاَ يَمُرُّ بِمَدِينَةٍ إِلاَّ أَخَذَ ٱلصُّنَّاعَ ٱلْمَشْهُورِينَ مِنْ صُنَّاعِهَا بِٱلْحِذْقِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ ، فَأَنْتَجَتْ لَهُ هِمَّتُهُ ، وَدَلَّتْهُ فِطْنَتُهُ ، أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلصُّنَّاعِ ٱلَّذِينَ مَعَهُ أَنْ يَصْنَعُوا خَيْلاً مِنْ نُحَاسٍ مُجَوَّفَةً ، عَلَيْهَا تَمَاثِيلُ مِنَ ٱلرِّجَالِ عَلَى بَكَرٍ تَجْرِي ، إِذَا دُفِعَتْ مَرَّتْ سِرَاعًا . وَأَمَرَ إِذَا فَرَغُوا مِنْهَا أَنْ تُحْشَى أَجْوَافُهَا بِٱلنَّفْطِ وَٱلْكِبْرِيتِ ، وَتُلَبَّسَ وَتُقَدَّمَ أَمَامَ ٱلصَّفِّ فِي ٱلْقَلْبِ . وَوَقْتَ مَا يَلْتَقِي ٱلْجَمْعَانِ تُضْرَمُ فِيهَا ٱلنِّيرَانُ ؛ فَإِنَّ ٱلْفِيَلَةَ إِذَا لَفَّتْ خَرَاطِيمَهَا عَلَى ٱلْفُرْسَانِ وَهِيَ حَامِيَةٌ وَلَّتْ هَارِبَةً . وَأَوْعَزَ إِلَى ٱلصُّنَّاعِ بِٱلتَّشْمِيرِ وَٱلانْكِمَاشِ وَٱلْفَرَاغِ مِنْهَا . فَجَدُّوا فِي ذَلِكَ وَعَجَّلُوا وَقَرُبَ أَيْضًا وَقْتُ ٱخْتِيَارِ ٱلْمُنَجِّمِينَ .

فَأَعَادَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ رُسُلَهُ إِلَى فُورٍ بِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَٱلإِذْعَانِ لِدَوْلَتِهِ ، فَأَجَابَ جَوَابَ مُصِرٍّ عَلَى مُحَارَبَتِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ عَزِيمَتَهُ، سَارَ إِلَيْهِ بِأُهْبَتِهِ ؛ وَقَدَّمَ فُورٌ ٱلْفِيَلَةَ أَمَامَهُ . وَدَفَعَتِ ٱلرِّجَالُ تِلْكَ ٱلْخَيْلَ وَتَمَاثِيلَ ٱلْفُرْسَانِ ؛ فَأَقْبَلَتِ ٱلْفِيَلَةُ نَحْوَهَا ، وَلَفَّتْ خَرَاطِيمَهَا عَلَيْهَا .

فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِٱلْحَرَارَةِ أَلْقَتْ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا ، وَدَاسَتْهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهَا، وَمَضَتْ مَهْزُومَةً هَارِبَةً ، لاَ تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ ، وَلاَ تَمُرُّ بِأَحَدٍ إِلاَّ وَطِئَتْهُ. وَتَقَطَّعَ فُورٌ وَجَمْعُهُ ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الإِسْكَنْدَرِ ، وَأَثْخَنُوا [11] فِيهِمُ ٱلْجِرَاحَ .

ابن المقفّع : كليلة ودمنة

إعداد الأستاذ البشير المجدوب

دار تركي للنّشر، تونس 1989

ص ص 68ـــ69

التّعريف بالكاتب :

عبد الله بن المقفّع أديب من أصل فارسيّ . عاش في العهدين الأموي والعبّاسيّ. توفّي سنة 142هـ/759م .

هو ــ مع عبد الحميد الكاتب ــ من أعلام النثر العربي الأوّل . اِهتمّ بالأدب الأخلاقي والسّياسي وألّف فيه . مات مقتولا بإيعاز من الخليفة أبي جعفر المنصور لاتّهامه بالزّندقة .

أهمّ آثاره : كليلة ودمنة ــ الأدب الكبير والأدب الصّغير ــ رسالة الصّحابة.

الشّــرح :

(1) الإسكندر ذو القرنين : هو المعروف بالإسكندر الكبير وُلد سنة 356 قبل الميلاد وتوفّي سنة 323 قبل الميلاد . ولد في مقدونية وتوفّي في بابل . تعلّم على أرسطو . عزم على توسيع مملكته فغزا الفرس وانتصر عليهم في إيسوس سنة 333 قبل الميلاد وتابع زحفه فتجاوز بلاد فارس إلى ضفاف نهر السّند .

والإسكندر هذا هو مؤسّس مدينة الإسكندرية بمصر .

(2) ظهر عليهم : تغلّب عليهم .

(3) ناوأه : نَاوَأَ يُنَاوِئُ مُنَاوَأَةً : عَادَى .

(4) طَرَائق : اِسم مفرده طريقة والكلمة تفيد في السّيّاق الذي جاءت فيه في النّصّ « فِرَقًا » .

جاء في معجم لسان العرب ما يلي : « قال الفرّاء : كنّا طرائق أي كنّا فرقا ».

(5) حَزائق : اِسم مفرده حِزْقَةٌ وهي القطعة من كلّ شيء .

(6) مِلّتُه : اَلْمِلَّةُ هي الشّريعة والدّين . جاء في معجم لسان العرب ما يلي : «المِلّة الدّين كمِلّة الإسلام والنّصرانيّة واليهوديّة ... تملّل وامتلّ دخل في المِلّة » .

(7) سَطْوَة : مصدر ــ سَطَا عليه وبه يَسْطُو سَطْوًا وسَطْوَةً : بطش به بطْشا شديدا .

(8) مِرَاس : مصدر ــ المِرَاس هي الشّدّة والتّجربة في الحروب .

(9) ٱلْعُدَّة : إسم ــ هي السّلاح الذي يعدّه الجيش للحرب .

(10) ٱلْمُضَرَّاة : إسم مفعول ضرَى فلانٌ الحيوان بالأمر يضرّيه : عوّده عليه وجعله يلهَجْ به .

(11) أثخنوا : بالغوا وأكثروا . الإثخان في الشّيء المبالغة فيه والإكثار منه .

الأسئلـة :

1 ــ إستخرج في واديين خصال كلٍّ من الإسكندر ذي القرنين والملك الهنديّ ثمّ قارن بينهما .

2 ــ ما هو دور المنجّم في الحرب حسب ما جاء في النّصّ ؟ وماذا تستخلص من ٱعتماد الملوك في القديم على المنجمّين ؟

3 ــ ما هو دور الصّنّاع في الحرب حسب ما جاء في النّصّ ؟ وما هي مسؤولية العلماء في الحروب عموما حسب رأيك ؟

4 ــ هل لك أن تقارن بين الحرب في القديم والحرب في عصرنا ؟

104 ــ طَعْمُ ٱلْمَوْتِ

1 ــ كُنَّا فِي طَرِيقِنَا إِلَى خُطُوطِ ٱلنَّارِ . وَقَدْ بَلَغْنَا ، عِنْدَ ٱلظُّهْرِ ، مَزْرَعَةً صَغِيرَةً ، مَهْجُورَةً ، كَانَ ٱلإِسْطَبْلُ ٱلْكَبِيرُ فِيهَا لاَ يَزَالُ قَائِمًا بِجُدْرَانِهِ وَسَقْفِهِ . وَكَانَ وَقْتُ ٱلْغَدَاءِ فَصَدَرَتْ ٱلأَوَامِرُ بِٱلاسْتِرَاحَةِ فِي فُسْحَةٍ وَاسِعَةٍ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلإِسْطَبْلِ وَبِتَنَاوُلِ ٱلْغَدَاءِ هُنَاكَ .

مَا كَادَ ٱلْقَلِيلُ مِنَّا يَمْلأُ قِصَاعَهُ وَيَبْدَأُ يَأْكُلُ حَتَّى دَوَّى بَغْتَةً ٱنْفِجَارٌ هَائِلٌ ٱهْتَزَّتْ لَهُ ٱلأَرْضُ تَحْتَ أَقْدَامِنَا ، وَإِذَا بِنَا نُبْصِرُ عَلَى بُعْدِ ثَلاَثِمِئَةِ مِتْرٍ عَمُودًا ضَخْمًا مِنَ ٱلتُّرَابِ وَٱلدُّخَانِ يَرْتَفِعُ أَمْتَارًا كَثِيرَةً فِي ٱلْفَضَاءِ ثُمَّ يَتَبَعْثَرُ وَيَهْوِي كَمَا يَهْوِي ٱلْمَاءُ ٱلْغَزِيرُ مِنَ ٱلْفَوَّارَةِ ٱلْكَبِيرَةِ . وَلِلْحَالِ رَانَ [1] عَلَى ٱلْجَمْعِ صَمْتٌ رَهِيبٌ [2] فَٱلَّذِي كَانَ يَمْضَغُ تَوَقَّفَ عَنِ ٱلْمَضْغِ وَٱلَّذِي كَانَتِ ٱلْمِلْعَقَةُ فِي يَدِهِ تُفَتِّشُ عَنْ بَعْضِ ٱلْحِسَاءِ فِي ٱلْقَصْعَةِ جَمَدَتْ يَدُهُ وَٱلَّذِي كَانَ يَرْتَقِبُ دَوْرَهُ لِيَأْخُذَ نَصِيبَهُ مِنَ ٱلْمَطْبَخِ بَاتَ وَعَيْنَاهُ لاَ تَتَّجِهَانِ إِلَى ٱلْمَطْبَخِ .

وَبَغْتَةً ٱرْتَجَّ ٱلإِسْطَبْلُ بِمَنْ فِيهِ ، لَقَدْ هَبَطَتْ قُنْبُلَةٌ عَلَى بَيْتٍ بِٱلْقُرْبِ مِنَّا . وَلأَوَّلِ وَهْلَةٍ خِلْتُهَا هَبَطَتْ عَلَيْنَا . وَعَلَى ٱلإِثْرِ سَرَتْ إِشَاعَةٌ أَنَّ ٱلْقُنْبُلَةَ قَتَلَتْ ضَابِطَيْنِ وَخَمْسَةَ جُنُودٍ وَجَرَحَتْ آخَرِينَ .

ــ هَذِهِ هِيَ ٱلْحَرْبُ .

ــ لاَ كَانَتِ ٱلْحَرْبُ ...

2 ــ مَشَيْنَا فِي أَرْضٍ مَكْشُوفَةٍ ، وَٱلْقَنَابِلُ تَتَطَايَرُ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِنَا فَلاَ نَسْمَعُ إِلاَّ صَفِيرَهَا ٱلْمُنْكَرَ . وَقُبَيْلَ ٱلْغُرُوبِ بَلَغْنَا سَفْحَ أَكَمَةٍ [3] فَقِيلَ لَنَا

إِنَّنَا سَنَبِيتُ لَيْلَتَنَا هُنَاكَ ، وَلاَ سَقْفَ فَوْقَ رُؤُوسِنَا إِلاَّ ٱلسَّمَاءَ . وَإِذَا بِٱلَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ خِبْرَةٌ بِٱلْحُرُوبِ يَأْخُذُونَ مَعَاوِلَهُمْ وَرُفُوشَهُمْ (4) وَيَرُوحُ كُلُّ وَاحِدٍ يَحْفِرُ حُفْرَةً لِيَرْقُدَ فِيهَا . فَحَذَوْتُ حِذْوَهُمْ .

« إِشْهَدْ يَا لَيْلُ . إِشْهَدِي يَا نُجُومُ أَنَّ ٱلإِنْسَانَ أَحَطُّ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ، إِنَّ ٱلَّذِي يَزْهُو (5) بِعَقْلِهِ يَغْدُو فِي ٱلْحَرْبِ بِدُونِ عَقْلٍ . فَهْوَ يُشَوِّهُ ٱلصَّحِيحَ ثُمَّ يَعُودُ فَيُحَاوِلُ تَصْحِيحَ مَا شَوَّهَ . وَهْوَ يَقْتُلُ ٱلْحَيَّ لِيَعُودَ فَيَنْدُبَ ٱلْحَيَّ . وَهْوَ يُدَمِّرُ مَا بَنَاهُ لِيَعُودَ فَيُرَمِّمَ ٱلَّذِي دَمَّرَهُ » .

3 ــ مَشَيْنَا ٱلْيَوْمَ التَّالِي بِكَامِلِهِ . وَكُنَّا نَسِيرُ نَحْوَ ٱلْمُؤَخَّرَةِ . وَقُبَيْلَ ظُهْرِ ٱلْحَادِي عَشَرَ مِنْ تِشْرِينِ ٱلثَّانِي ، كُنَّا نَسِيرُ فِي شَارِعٍ مُوحِلٍ مِنْ قَرْيَةٍ مُتَهَدِّمَةٍ ، إِذْ لاَقَيْنَا ضَابِطًا فِرَنْسِيًّا كَانَ يَسِيرُ وَحْدَهُ ، فَحَيَّانَا بِصَوْتٍ عَالٍ وَوَجْهٍ يَطْفَحُ بِشْرًا (6) ، وَقَالَ : ٱنْتَهَتِ ٱلْحَرْبُ !

لَقَدْ كَانَ لَنَا أَنْ نَقْفِزَ فَرَحًا ، أَنْ نَرْقُصَ أَنْ نُغَنِّيَ ، وَلَكِنَّ ٱلتَّعَبَ ٱلَّذِي كَانَ قَدْ أَخَذَ مِنَّا ، وَٱلْجُوعَ ٱلَّذِي كَانَ يَعَضُّنَا ، وَٱلْوَحَلَ ٱلَّذِي كُنَّا غَارِقِينَ فِيهِ حَتَّى ٱلْكَوَاحِلِ ، وَٱلْوَسَخَ ٱلْعَالِقَ بِأَيْدِينَا وَشُعُورِ لِحَانَا ، كُلَّ هَذِهِ ٱنْتَزَعَتْ مِنَّا حَتَّى ٱلشُّعُورَ بِٱلْفَرَحِ ، فَكَيْفَ بِٱلْقُدْرَةِ عَلَى ٱلتَّغَنِّي بِهِ ؟ لِذَلِكَ تَابَعْنَا سَيْرَنَا وَكَأَنَّ بِشَارَةَ ٱلْهُدْنَةِ (7) كَانَتْ لِسِوَانَا .

فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ رَقَصَ ٱلْمَلاَيِينُ مِنَ ٱلنَّاسِ فِي شَتَّى بِقَاعِ ٱلأَرْضِ ، وَغَنَّوْا إِلاَّ ٱلَّذِينَ تَذَوَّقُوا طَعْمَ ٱلْحَرْبِ . أُولَئِكَ ظَلُّوا صَامِتِينَ .

ميخائيل نعيمة : سبعون، ج 2
دار صادر، بيروت 1967
ص ص 394ــ396

التعريف بالكاتب :

آنظر التّعريف به في نصّ « التّردّد » .

الشّـرح :

(1) رَانَ : يَرِينُ رَيْنًا أي غطّى .

(2) رَهِيبٌ : صفة مشبّهة بمعنى مخيف ومفزع .
رَهِب يرهَب رَهْبَةً : خاف خوفا شديدا .

(3) أكمة : إسم جمعه أكَمَات وأَكَم والأكمة هي الأرض الغليظة المرتفعة .
جاء في معجم لسان العرب : « الأكمة هو المكان المرتفع الكثير الحجارة » .

(4) رفوشهم : إسم مفرده رَفْشٌ والرَّفش هو المِجْرَف .

(5) يزهو : زها يزهو زَهْوًا : افتخر وتعاظم .

(6) بشرا : مصدر معناه الطّلاقة .

(7) الهدنة : إسم ــ هي المصالحة بعد الحرب .

الأسئلـة :

1 ــ كتاب « سبعون » لميخائيل نعيمة هو سيرة ذاتيّة فمن هي في هذا النصّ الشخصيّة الرّاوية والمشاركة في الأحداث ؟

2 ــ إستخرج من الفقرة الأولى العبارات والجمل التي وصف بها الكاتب أثر انفجار القنبلة في الجنود ثمّ آستخلص من ذلك الأحاسيس التي آضطربت في نفوسهم .

3 ــ إستخرج من الفقرة الثّانية موقف الكاتب من الإنسان في أثناء الحرب .

4 ــ كيف تفسّر موقف الجنود من إعلان آنتهاء الحرب ؟

105 ـ غَـارَةٌ عَلَى ٱلْحَـيِّ

اِنْطَلَقَتْ صَفَّارَةُ ٱلإِنْذَارِ تَعْوِي فَشَمِلَ ٱلنَّاسَ ذُعْرٌ وَٱضْطَرَبَتِ ٱلدَّارُ بِمَا فِيهَا مِنْ طَبَقَاتٍ ثَلاَثٍ وَتَوَالَى ٱلْهَرَجُ وَٱلْمَرَجُ [1] وَعَادَ ٱلصِّيَاحُ وَٱلْعَوِيلُ [2] وَٱنْحَدَرَ ٱلسُّكَّانُ يَزْحَمُونَ ٱلسُّلَّمَ وَيَهْرَعُونَ إِلَى ٱلْمَخْبَإِ .

كَانَتْ « فكريّة » مِنْ فَرْطِ ٱلتَّعَبِ وَٱلإِجْهَادِ قَدْ مَلَكَهَا نَوْمٌ ثَقِيلٌ فَلَمْ تَنْفَتِحْ عَيْنَاهَا إِلاَّ بَعْدَ أَنْ خَلاَ ٱلْمَسْكَنُ فَنَهَضَتْ تَسْتَوْضِحُ ٱلأَمْرَ وَأَخَذَتْ تُسَائِلُ نَفْسَهَا : مَا سِرُّ ذَلِكَ ٱلاِضْطِرَابِ ؟

وَفَطِنَتْ إِلَى أَنَّ ثَمَّةَ غَارَةً وَأَنَّ أَهْلَ ٱلدَّارِ قَدْ أَخْلَوْهَا فَٱنْدَفَعَتْ فِي غَيْرِ وَعْيٍ إِلَى ٱلْبَابِ تَطْلُبُ حِمَايَةَ ٱلْمَخْبَإِ مَعَ ٱلنَّاسِ وَلَكِنَّهَا لَمَحَتْ ٱلْمُسْتَشْرَفَ [3] يَنْبَسِطُ فِيهِ ضَوْءُ ٱلْقَمَرِ وَيُرَفْرِفُ ٱلنَّسِيمُ وَفِي ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ كَانَتِ ٱلْجَلَبَةُ قَدِ ٱنْقَطَعَتْ وَعَمَّ ٱلْمَكَانَ هُدُوءٌ وَسُكُونٌ ... إِنَّ ٱلْمُسْتَشْرَفَ بِوَسَائِدِهِ ٱلْوَثِيرَةِ لَكَأَنَّمَا يَدْعُوهَا إِلَى ٱلتَّنَعُّمِ وَٱلاِسْتِمْتَاعِ . وَظَلَّتِ ٱلْفَتَاةُ هُنَيْهَةً تَتَقَاتَلُ نَزَعَاتُهَا : أَتُغَادِرُ ٱلطَّبَقَةَ أَمْ تَبْقَى ؟ وَمَا لَبِثَ ٱلْهُدُوءُ ٱلشَّامِلُ أَنْ سَرَى إِلَى نَفْسِهَا فَٱسْتَشْعَرَتْ بَعْضَ ٱلطُّمَأْنِينَةِ وَٱلسَّكِينَةِ ...

وَشَعُرَتْ بِقَلْبِهَا يَتَفَتَّحُ وَبِقَدَمَيْهَا تَخْطُوَانِ إِلَى ٱلْمُسْتَشْرَفِ وَإِذَا هِيَ تَتَهَاوَى عَلَى ٱلْوَسَائِدِ وَتَتَقَلَّبُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ... مَا أَطْيَبَ ٱلْمُسْتَشْرَفَ مِنْ مَضْجَعٍ وَمَا أَنْعَمَ وَسَائِدَهُ مِنْ فِرَاشٍ !

وَبَغْتَةً قَرَعَتْ سَمْعَهَا قَعْقَعَةٌ مُدَوِّيَةٌ ٱهْتَزَّتْ لَهَا جَوَانِبُ ٱلدَّارِ ... فَأَلْفَتْ « فكريّة » نَفْسَهَا تَهُبُّ وَاقِفَةً وَتُزْمِعُ [4] أَنْ تَأْخُذَ طَرِيقَهَا إِلَى ٱلْبَابِ وَلَكِنَّ ٱلْقَذَائِفَ تَرَادَفَتْ كَأَنَّهَا حِمَمُ ٱلْبُرْكَانِ فَإِذَا بِأَوْصَالِهَا وَمَفَاصِلِهَا يُدْرِكُهَا تَخَلُّعٌ وَٱصْطِكَاكٌ وَمَا هِيَ إِلاَّ أَنْ تَهَاوَتْ فَاقِدَةً ٱلرُّشْدَ .

وَبَعْدَ وَقْتٍ لاَ تَدْرِي مَدَاهُ ، ذَهَبَ عن « فكريّة » ٱلإِغْمَاءُ فَٱسْتَرَأَبَتْ مُتَطَلِّعَةً حَوْلَهَا فَوَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي مَكَانِهَا مِنَ ٱلْمُسْتَشْرَفِ وَقَدْ تَوَهَّجَتِ ٱلشَّمْسُ وَمَتَعَ [5] ٱلنَّهَارُ .

كُلُّ شَيْءٍ كَمَا كَانَ أَوْ يَكَادُ . وَلَكِنْ مَا بَالُ هَذَا ٱلتُّرَابِ ٱلْمَهِيلِ [6] وَتِلْكَ ٱلْحِجَارَةِ ٱلْمُتَنَاثِرَةِ ؟

ثَمَّةَ شَيْءٌ قَدْ حَدَثَ فَأَيُّ شَيْءٍ هُوَ ؟

مَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فَإِنَّ « فكريّة » لَمْ يُصِبْهَا أَذًى إِلاَّ مَا يَنْتَظِمُ جَسَدَهَا مِنْ فُتُورٍ وَمَا يَرِينُ عَلَى عَيْنَيْهَا مِنْ خَدَرٍ [7] .

... وَٱنْطَلَقَتْ تُرِيدُ ٱلْبَابَ وَكَانَ مُقْفَلاً فَدَفَعَتْهُ بِجُمْعِ [8] يَدِهَا وَهَمَّتْ أَنْ تَخْطُوَ فَرَاعَهَا أَنْ تَرَى هُوَّةً سَحِيقَةً لَمْ تَكَدْ تَرَاهَا حَتَّى أَخَذَ بِرَأْسِهَا دُوَارٌ فَأَمْسَكَتْ بِٱلْجِدَارِ زَائِغَةَ ٱلْبَصَرِ وَأَنْفَاسُهَا تَتَلاَحَقُ ثُمَّ ٱرْتَدَّتْ وَقَدْ حَوَّمَتْ فِي خَاطِرِهَا أَفْكَارٌ وَصُوَرٌ .

وَفَطِنَتْ بَعْدَ تَفْكِيرٍ وَرَوِيَّةٍ إِلَى حَقِيقَةِ مَا جَرَى ... فَدَرَجَتْ [9] فِي مُحَاذَرَةٍ وَٱحْتِرَاسٍ إِلَى سُورِ ٱلْمُسْتَشْرَفِ تُطِلُّ عَلَى ٱلطَّرِيقِ فَفَزِعَتْ مِمَّا رَأَتْ حَوْلَهَا مِنْ خَرِبَاتٍ فِسَاحٍ تَتَرَاكَمُ فِيهَا ٱلأَنْقَاضُ وَٱلطُّلُولُ ... وَأَخَذَتْ تُنْعِمُ ٱلنَّظَرَ هُنَا وَهُنَاكَ وَكَأَنَّمَا قَدْ أَصَابَهَا مَسٌّ .

وَيْلَهَا ... لَمْ تُبْقِ ٱلْغَارَةُ مِنْ أَبْنِيَةِ ٱلْحَيِّ إِلاَّ جِدَارًا عَالِيًا يَحْمِلُ ٱلْمُسْتَشْرَفَ ٱلَّذِي كَانَ مَخْدَعَهَا أَثْنَاءَ ٱللَّيْلِ ، مَثَلُهُ كَمَثَلِ مَنَارَةٍ قَائِمَةٍ وَحْدَهَا فِي مُلْتَطَمِ ٱلْمَوْجِ !

عن محمود تيمور : كلّ عام وأنتم بخير

دار المعارف بمصر، ط 4، 1976
ص ص 156ـــ158

التّعريف بالكاتب :

محمود تيمور : أديب مصريّ ولد سنة 1894 وتوفّي سنة 1973 . يعتبره النقّاد رائدا لفنّ القصّة القصيرة في الأدب العربي الحديث . كتب القصّة والأقصوصة والمسرحيّة وترجمت بعض آثاره إلى لغات عديدة .

من مؤلّفاته : « كلّ عام وأنتم بخير » ــ « دنيا جديدة » ــ «نداء المجهول» ــ « شفاه غليظة » ــ « قال الرّاوي » ــ « صقر قريش » (مسرحيّة) .

وله دراسات منها : « مشكلات اللّغة العربيّة » ــ « دراسات في القصّة والمسرح » .

الشّــرح :

(1) ٱلْهَرْجُ : الكثرة في المشي . ٱلْمَرْج : الاختلاط والاضطراب .

(2) ٱلْعَوِيلُ : الصّياح والبكاء ــ أعول الرّجل والمرأة : رفعا صوتهما بالبكاء والصّياح .

(3) ٱلْمُسْتَشْرَفُ : إسم مكان والمقصود به غرفة تشرف منها على الطّريق .

(4) تُزْمِعُ : أَزْمَعَ الشّيءَ أي قرّر القيام به .

(5) مَتَعَ : مَتَع النّهارُ يَمتَع مُتُوعًا أي طلع وٱرتفع وبلغ غاية ٱرتفاعه قبل الزّوال . جاء في معجم لسان العرب ما يلي : « متع النّهار أي طال وٱمتدّ وتعالى » .

(6) المهيل : إسم مفعول من هَالَ يَهِيلُ هَيْلاً : نثر .

(7) خَدَرٌ : مصدر ــ خَدِرَ يَخْدَرُ خَدَرًا ، أي فتر وشعُر بثِقَلٍ .

(8) جُمْعُ ٱلْيَدِ : أي اليد وقد جمعت أصابعها وضممتها .

(9) درجت : دَرَجَ يَدْرُجُ دَرْجا أي مشى مشيا ضعيفا .
يقال للصّبيّ إذا دبّ وأخذ في الحركة دَرَجَ .

الأسئلـة :

1 ــ إستخرج من الفقرة الأولى جميع العبارات التي ٱستعملها الكاتب في وصف أثر صفّارة الإنذار في السكّان ثمّ ٱستخلص من ذلك ما يمكنك ٱستخلاصه .

2 ــ ما هو السّبب الذي جعل الشّخصيّة المتحدّث عنها في النّصّ تتخلّف عن بقيّة السّكّان ؟

3 ــ ماذا كان المستشرف يمثّل بالنّسبة إلى « فكريّة » دعّم جوابك بقرائن من النّصّ .

4 ــ في النّصّ مقابلة بين الهدوء والسّكينة من ناحية والعنف والموت من ناحية أخرى . وضّحها وحاول أن تستكشف المقصد منها .

5 ــ ما هي نتائج الغارة في الحيّ ؟ وماذا كان أثر ذلك في « فكريّة » ؟

6 ــ ما الذي أنقذ « فكريّة » ؟ وماذا يمكنك أن تستخلص من ذلك عن الحياة والموت وقت الحرب ؟

106 ــ ٱلأَشْجَارُ ٱلْمُلْتَوِيَةُ

مَلَكَ ٱلتَّأَثُّرُ عَلَيَّ نَفْسِي حِينَ تَرَكْتُ « ٱلأَلْزَاسَ » [1] وَقَارَبْتُ ٱلْحُدُودَ ٱلْفِرَنْسِيَّةَ ٱلأَلْمَانِيَّةَ ٱلْقَدِيمَةَ وَشَهِدْنَا ٱلْخَنَادِقَ [2] ٱلَّتِي كَانَ يَكْمُنُ [3] فِيهَا ٱلْفِرَنْسِيُّونَ وَٱلأَلْمَانُ يُضْمِرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِيهَا ٱلْمَوْتَ وَضُرُوبَ ٱلْهَلاَكِ وَيَتَحَصَّنُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِيهَا بِكُلِّ صُنُوفِ ٱلْوِقَايَةِ وَٱلْوَانِهَا ...

حَوْلَ هَذِهِ ٱلْخَنَادِقِ ٱلْعَمِيقَةِ ٱلْمُتَقَارِبَةِ وَمَا يَمْتَدُّ بَيْنَهَا مِنَ ٱلأَسْلاَكِ ٱلشَّائِكَةِ فَضَاءٌ وَاسِعٌ فِيهِ صَمْتٌ عَمِيقٌ مَهِيبٌ [4] لاَ يَقْطَعُهُ إِلاَّ حَفِيفُ ٱلأَغْصَانِ وَٱلأَوْرَاقِ حِينَ يَهُزُّهَا ٱلنَّسِيمُ ٱلْهَادِئُ وَإِلاَّ تَصْوِيتُ ٱلطَّيْرِ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ ... وَأَنْتَ تَتَمَثَّلُ ٱلْمَأْسَاةَ ٱلْمُنْكَرَةَ [5] ٱلَّتِي كَانَتْ فِي هَذَا ٱلْمَكَانِ طَوَالَ سِنِي ٱلْحَرْبِ وَٱلَّتِي سُفِكَتْ فِيهَا دِمَاءٌ وَأُزْهِقَتْ [6] فِيهَا نُفُوسٌ وَلَقِيَ فِيهَا ٱلإِنْسَانُ مِنَ ٱلإِنْسَانِ ضُرُوبًا مِنَ ٱلْعَذَابِ لاَ سَبِيلَ إِلَى أَنْ تُوصَفَ .

نَعَمْ وَأَنْتَ تَسْمَعُ فِي هَذَا ٱلْمَكَانِ أَنِينَ ٱلْجَرْحَى وَحَشْرَجَةَ [7] صُدُورِ ٱلْمَوْتَى وَتَسْمَعُ إِلَى ٱلْجُنْدِ يَتَكَلَّفُونَ ٱلسَّلْوَى وَٱلْعَزَاءَ ، يُشَجِّعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُوَاسِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَضْحَكُونَ مِنْ تَعَسِهِمْ وَشَقَائِهِمْ .

أَنْتَ تَسْمَعُ هَذَا كُلَّهُ فَيَخْفُقُ قَلْبُكَ وَتَتَقَطَّعُ نَفْسُكَ أَسًى وَلَكِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمُدَّ ٱلطَّرْفَ مِنْ هَذِهِ ٱلنَّاحِيَةِ أَوْ تِلْكَ حَتَّى تَرَى هُنَا قُبُورَ ٱلْفِرَنْسِيِّينَ وَهُنَاكَ قُبُورَ ٱلأَلْمَانِيِّينَ ... وَمَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ ٱلْقُبُورِ؟ وَأَيُّ أَمَلٍ طَوَتْهُ هَذِهِ ٱلْقُبُورُ ؟ وَكَمْ عَسَى أَنْ يَكُونَ عَدَدُ ٱلْقُلُوبِ ٱلَّتِي صَدَّعَتْهَا هَذِهِ ٱلْقُبُورُ ؟ وَكَمْ عَسَى أَنْ تَكُونَ ٱلنُّفُوسُ ٱلَّتِي ٱتَّصَلَتْ بِهَذِهِ ٱلنَّاحِيَةِ ٱلصَّغِيرَةِ مِنْ أَنْحَاءِ هَذَا ٱلْمَيْدَانِ ٱلْمُنْكَرِ ، مَيْدَانِ ٱلْحَرْبِ ؟ نُفُوسُ

ٱلأُمَّهَاتِ وَٱلآبَاءِ ، نُفُوسُ ٱلْبَنَاتِ وَٱلأَبْنَاءِ ، نُفُوسُ ٱلأَزْوَاجِ وَٱلأَصْدِقَاءِ .

ٱنْظُرْ فَلَيْسَ مَصْدَرَ هَذَا ٱلأَلَمِ ٱلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَكَ هَذِهِ ٱلْقُبُورُ ٱلْمُبَعْثَرَةُ وَمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ أَشْلاَءٍ لَيْسَ إِلَى تَحْدِيدِهَا مِنْ سَبِيلٍ . لَيْسَ مَصْدَرَ هَذَا ٱلأَلَمِ مَا تَرَى مِنْ قُبُورٍ وَتَسْمَعُ فِيهَا وَحَوْلَهَا مِنْ أَنِينٍ وَحَشْرَجَةٍ وَٱسْتِغَاثَةٍ . لَيْسَ كُلُّهُ مَصْدَرَ هَذَا ٱلأَلَمِ فَحَسْبُ وَإِنَّمَا ٱلطَّبِيعَةُ نَفْسُهَا تَبْعَثُ فِي نَفْسِكَ أَلَمًا إِلَى إِلَمٍ .

ٱنْظُرْ إِلَى هَذِهِ ٱلأَشْجَارِ ٱلْمُلْتَوِيَةِ وَٱلْجُذُوعِ ٱلْمُحْتَرِقَةِ . ٱنْظُرْ إِلَى مَا حَوْلَكَ كُلِّهِ وَتَمَثَّلْهُ قَبْلَ ٱلْحَرْبِ فَقَدْ كَانَ نَضِرًا وَكَانَ بَدِيعًا وَكَانَتْ فِيهِ لِلنَّاسِ لَذَّةٌ وَبَهْجَةٌ وَكَانَتْ فِيهِ لِلنُّفُوسِ رَاحَةٌ وَأُنْسٌ . فَلَمَّا عَدَا ٱلنَّاسُ عَلَى ٱلنَّاسِ وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَقِيَتِ ٱلطَّبِيعَةُ نَفْسُهَا شَرَّ هَذَا ٱلْعُدْوَانِ فَحَالَتْ (8) نَضْرَتُهَا (9) وَذَهَبَتْ بَهْجَتُهَا (10) وَٱسْتَحَالَتْ هَذِهِ ٱلْجَنَّةُ إِلَى جَهَنَّمَ .

عن طه حسين ، رحلة الرّبيع والصّيف
دار العلم للملايين، ط 8، بيروت 1979
ص ص 182—184

التعريف بالكاتب :

آنظر ترجمته في نصّ « المستطيع بغيره » .

الشّـرح :

1) الألزاس : مقاطعة فرنسيّة تقع في الشّمال الغربي على الحدود الألمانية .

2) الخنادق : إسم مفرده خندق وهو ما يحفر في الحرب لاحتماء الجنود فيه .

(3) يَكْمُنُ : كمَن يكمُن كُمُونًا : توارى واختفى .
ٱلْكَمِينُ : القوم يستخفون في مكمَن ثمّ ينتهزون غرّة العدو فينقضّون عليه .

(4) مَهِيبٌ : إسم مفعول من هَابَ يَهَابُ بمعنى خاف فمهيب معناه مَخُوفٌ .

(5) ٱلْمُنْكَرَةُ : إسم مفعول من أنكر ــ والمقصود بكلمة « ٱلْمُنْكَرَةِ » في النصّ « المرفوضة » .

(6) أُزْهِقَتْ : هذه هي صيغة المبني إلى المجهول من « أزهق » ويقال : زَهَقَتْ نَفْسُهُ تَزْهَقُ زُهُوقًا أي خرجت .

(7) حَشْرَجَةٌ : مصدر من الفعل الرّباعي حَشْرَجَ والحشرجة هي تردّد النّفس في الصّدر عند الموت .

(8) حَالَتْ : ٱستعمِل هذا الفعل في النّصّ بمعنى زال .

(9) نَضْرَتُهَا : كلمة « نضرة » هي مصدر من نَضَرَ يَنْضُر بمعنى حسُن فالنّضرة هي ٱلْحُسْنُ والرّونق .

(10) بَهْجَتُهَا : كلمة « بهجة » هي مصدر من بهِج يبهَج وجاء في معجم لسان العرب ما يلي : « البهجة في النّبات النّضارة وفي الإنسان ضحِكُ أسارير الوجه أو ظهور الفرح » .

الأسئلـة :

1 ــ في هذا النّصّ ٱستحضار لأحداث مضت . وضّح ذلك .

2 ــ لماذا توجّه الكاتب في نصّه إلى القارئ ؟

3 ــ ما هي الأطراف المختلفة التي نالت منها الحرب حسب ما جاء في النّصّ ؟

4 ــ ماذا كان أثر الحرب في الطّبيعة حسب الكاتب ؟

5 ــ في نصّ نعيمة السّابق تصوير لموقف الجنود من الحرب وهم في قلب المعارك وفي هذا النّصّ عرض لموقف أديب من الحرب . فهل من فرق بين الموقفين ؟

107 ــ جَحِيمٌ فِي بَيْرُوتَ

ٱلسَّاعَةُ ٱلثَّالِثَةُ . كَابُوسٌ [1] يَأْتِي مِنَ ٱلْبَحْرِ ... دُخَانٌ وَهَدِيرٌ يَطْرُدُنِي مِنَ ٱلسَّرِيرِ وَيَرْمِينِي فِي هَذَا ٱلْمَمَرِّ ٱلضَّيِّقِ ... لَوْ أَعْرِفُ كَيْفَ أُحَرِّرُ ٱلصُّرَاخَ ٱلْمُحْتَقِنَ [2] فِي جَسَدٍ لَمْ يَعُدْ جَسَدِي مِنْ فَرْطِ مَا عَاشَرَ ٱلْمَوْتَ ...

لَوِ ٱسْتَرَاحَ هَذَا ٱلْجَحِيمُ خَمْسَ دَقَائِقَ وَلْيَكُنْ مِنْ بَعْدُ مَا يَكُونُ ... خَمْسُ دَقَائِقَ هَلْ تَكْفِي ؟ نَعَمْ ... تَكْفِي لأَتَسَرَّبَ مِنْ هَذَا ٱلْمَمَرِّ ٱلضَّيِّقِ ٱلْمَفْتُوحِ عَلَى غُرْفَةِ ٱلنَّوْمِ ... وَٱلْمَفْتُوحِ عَلَى حَمَّامٍ لاَ مَاءَ فِيهِ وَٱلْمَفْتُوحِ عَلَى ٱلْمَطْبَخِ ٱلَّذِي أَتَحَفَّزُ [3] لِدُخُولِهِ مُنْذُ سَاعَةٍ وَلاَ أَسْتَطِيعُ ... لاَ أَسْتَطِيعُ أَبَدًا .

نِمْتُ قَبْلَ سَاعَتَيْنِ . وَضَعْتُ قِطْعَتَيْ قُطْنٍ فِي أُذُنَيَّ ... تَفَقَّدْتُ حِينَ نَهَضْتُ أَعْضَاءَ جِسْمِي فَوَجَدْتُهَا كَامِلَةً ... عَلَى أَحَدِ رُفُوفِ ٱلْمَكْتَبَةِ مُسَدَّسٌ ، مُسَدَّسٌ أَنِيقٌ نَظِيفٌ لاَمِعٌ ... أَهْدَوْنِي مَعَ ٱلْمُسَدَّسِ عُلْبَةَ رَصَاصٍ لاَ أَعْرِفُ أَيْنَ خَبَّأْتُهَا مُنْذُ عَامَيْنِ خَوْفًا مِنْ حَمَاقَةٍ ، خَوْفًا مِنْ فَوْرَةِ غَضَبٍ طَائِشَةٍ .

لَمْ أَعُدْ أَتَسَاءَلُ مَتَى يَتَوَقَّفُ عُوَاءُ ٱلْبَحْرِ ٱلْفُولاَذِيِّ . أَسْكُنُ فِي ٱلطَّابِقِ ٱلثَّامِنِ مِنْ بِنَايَةٍ تُغْرِي أَيَّ صَيَّادٍ بِٱلإِصَابَةِ فَمَا بَالُكَ بِأُسْطُولٍ حَرْبِيٍّ يُحَوِّلُ ٱلْبَحْرَ إِلَى أَحَدِ مَصَادِرِ جَهَنَّمَ ؟!! وَاجِهَةُ ٱلْبِنَايَةِ ٱلشِّمَالِيَّةُ كَانَتْ تُمَتِّعُ سُكَّانَهَا بِمَشْهَدٍ جَمِيلٍ آمِنٍ لِلْبَحْرِ ... وَٱلآنَ ٱنْقَلَبَتْ إِلَى مَصْدَرٍ لِلْمَوْتِ... لِمَاذَا سَكَنْتُ هُنَا ؟ مَا هَذَا ٱلسُّؤَالُ ٱلأَحْمَقُ .

وَلَكِنْ كَيْفَ أَصِلُ إِلَى ٱلْمَطْبَخِ ؟

أُرِيدُ رَائِحَةَ ٱلْقَهْوَةِ ... رَائِحَةَ ٱلْقَهْوَةِ لأَتَمَاسَكَ ، لأَقِفَ عَلَى قَدَمَيَّ ...

لَكِنْ كَيْفَ أُعِدُّ ٱلْقَهْوَةَ وَقَذَائِفُ ٱلْبَحْرِ تَنْقَضُّ عَلَى وَاجِهَةِ ٱلْمَطْبَخِ ٱلْمُطِلِّ عَلَى ٱلْبَحْرِ لِتَنْشُرَ رَائِحَةَ ٱلْبَارُودِ وَمَذَاقَ ٱلْعَدَمِ ؟! صِرْتُ أَقِيسُ ٱلْمَسَافَةَ ٱلزَّمَنِيَّةَ بَيْنَ قَذِيفَتَيْنِ . ثَانِيَةٌ وَاحِدَةٌ ... ثَانِيَةٌ وَاحِدَةٌ أَقْصَرُ مِنَ ٱلْمَسَافَةِ بَيْنَ ٱلزَّفِيرِ وَٱلشَّهِيقِ ... ثَانِيَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ تَكْفِي لأَنْ أَقِفَ أَمَامَ ٱلْمَوْقِدِ ٱلْمُلاَصِقِ لِوَاجِهَةِ ٱلزُّجَاجِ ٱلْمُطِلَّةِ عَلَى ٱلْبَحْرِ ... ثَانِيَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ تَكْفِي لأَنْ أَفْتَحَ زُجَاجَةَ ٱلْمَاءِ ... ثَانِيَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ تَكْفِي لإِشْعَالِ عُودِ ٱلثِّقَابِ (4) . وَلَكِنْ ثَانِيَةٌ وَاحِدَةٌ تَكْفِي لأَنْ أَحْتَرِقَ ...

أُرِيدُ رَائِحَةَ ٱلْقَهْوَةِ . أُرِيدُ خَمْسَ دَقَائِقَ . أُرِيدُ هُدْنَةً لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقَائِقَ مِنْ أَجْلِ ٱلْقَهْوَةِ ...

صَحَتْ عَصَافِيرُ ٱلْجِيرَانِ فِي ٱلسَّادِسَةِ صَبَاحًا . تَابَعَتْ تَقَالِيدَ ٱلْغِنَاءِ مَعَ بِدَايَاتِ ٱلضَّوْءِ ... وَلَكِنَّهَا صَمَتَتْ فَجْأَةً وَكَفَّتْ عَنِ ٱلتَّحْلِيقِ حِينَ هَبَّتْ عَاصِفَةُ ٱلْحَدِيدِ ٱلطَّائِرِ . أَمِنْ هَدِيرِهَا ٱلْفُولاَذِيِّ سَكَتَتْ أَمْ مِنْ تَشَابُهٍ غَيْرِ مُتَعَادِلٍ فِي ٱلشَّكْلِ وَٱلاِسْمِ : جَنَاحَانِ مِنْ حَدِيدٍ فِي مُقَابِلِ جَنَاحَيْنِ مِنْ رِيشٍ . حَيْزُومٌ (5) مِنْ حَدِيدٍ وَكَهْرَبَاءَ فِي مُقَابِلِ مِنْقَارٍ مِنْ نَشِيدٍ . حُمُولَةٌ (6) مِنْ صَوَارِيخَ فِي مُقَابِلِ حَبَّةِ قَمْحٍ وَقَشَّةٍ .

عن محمود درويش : ذاكرة للنّسيان

دار الثّقافة الجديدة : القاهرة 1989

ص ص 6ـــ11

التّعريف بالكاتب :

محمود درويش : شاعر فلسطيني معاصر . ولد بقرية البروة في فلسطين المحتلّة سنة 1942 . ولقد سُجِنَ وفُصِل عن العمل بعد أن اشتغل بالتّدريس والصّحافة. خرج محمود درويش من الأرض المحتلّة وواصل النّضال من الخارج فاستقرّ بالقاهرة ثمّ ببيروت فتونس .

له دواوين عديدة نذكر منها : « عصافير بلا أجنحة » (1960) ــ « عاشق من فلسطين » (1966) ــ « آخر اللّيل » (1972) ــ « حصار لمدائح البحر » (1984) ...

وله كتابات نثريّة نذكر منها : « يوميّات الحزن العادي » (1973) ــ « وداعا أيّتها الحرب وداعا أيّها السّلم » (1974) ــ « ذاكرة للنّسيان » (1989) .

ولقد ترجمت أشعار درويش إلى لغات عديدة .

الشّــرح :

(1) الكابوس : المقصود بهذه الكلمة في الأصل الأحلام المزعجة جدّا .

(2) اَلْمُحْتَقِن : اِسم فاعل من فعل اِحتقن . والمقصود به المحبوس.
حقَن الشّيءَ يحقُنه حَقْنا أي حبسه .

(3) أَتَحَفَّزُ : تحفّز معناه أراد القيام لفعل شيء .

(4) الثّقاب : اِسم ــ وهو ما يُشعل به من دقاق العيدان .
ثَقَبَتِ النّارُ تثقُب ثُقوبا : اِتّقدت .

(5) حيزوم : اِسم ــ هو الصّدر يُطلَق على الطّير وعلى البعير .

(6) حُمُولَةٌ : هناك فرق بين حُمُولَةٍ وحَمُولَةٍ فالحُمولة هي الأثقال والأشياء المحمولة أمّا الحَمُولة فهي وسيلة الحمل .

الأسئلـة :

1 ــ هذا النّصّ حوار باطنيّ . بيّن ذلك .

2 ــ تحدّثت الشّخصيّة في مناسبتين عن جسدها . ما هما ؟ وماذا تستخلص من حديثها ذاك ؟

3 ــ ماذا تستخلص من حديث الشّخصيّة عن القهوة ؟

4 ــ كيف يظهر هول الحرب في هذا النّصّ ؟

5 ــ لماذا وازن الكاتب في خاتمة النّصّ بين الطّائرات والطّير ؟

108 ـ هِيرُوشِيمَـا (*)

كَانَ هُوَ ٱلشَّخْصَ ٱلْوَحِيدَ ٱلَّذِي يَسِيرُ نَحْوَ ٱلْمَدِينَةِ . فَقَابَلَ مِئَاتٍ وَمِئَاتٍ يَفِرُّونَ مِنْهَا . وَكَانَ كُلُّهُمْ قَدْ أُصِيبَ بِنَوْعٍ مِنَ ٱلإِصَابَاتِ . فَقَدِ ٱحْتَرَقَتْ حَوَاجِبُ بَعْضِهِمْ وَتَدَلَّى ٱلْجِلْدُ مِنْ وُجُوهِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ . وَكَانَ بَعْضُهُمْ رَافِعًا ذِرَاعَيْهِ مِنَ ٱلأَلَمِ كَأَنَّهُ يَحْمِلُ شَيْئًا بَيْنَهُمَا . وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَقَيَّأُ وَهُوَ سَائِرٌ. وَكَانَ ٱلْعَدَدُ ٱلْكَثِيرُ مِنْهُمْ عَارِيًا أَوْ فِي أَسْمَالٍ (1) مُمَزَّقَةٍ ... وَكَانَ بَعْضُهُمْ بِٱلرَّغْمِ مِمَّا أَصَابَهُمْ يُسَاعِدُونَ أَقَارِبَهُمْ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي حَالَةٍ أَسْوَأَ مِنْهُمْ . وَكَانَ ٱلْجَمِيعُ تَقْرِيبًا مُنَكَّسِي (2) ٱلرُّؤُوسِ يَنْظُرُونَ إِلَى أَمَامٍ فِي سُكُوتٍ. وَلاَ يَظْهَرُ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ ٱلتَّعْبِيرِ .

بَعْدَ أَنْ عَبَرَ ٱلسَّيِّدُ « تانيمُوتُو » جِسْرَ « كَوِي » ثُمَّ جِسْرَ « كَانُونْ » وَهُوَ يَجْرِي . رَأَى وَهُوَ يَقْتَرِبُ مِنْ مَرْكَزِ ٱلْمَدِينَةِ أَنَّ جَمِيعَ ٱلدُّورِ قَدْ تَهَدَّمَتْ وَٱلْكَثِيرَ مِنْهَا تَشْتَعِلُ فِيهِ ٱلنَّارُ . وَلَقَدْ صَارَتِ ٱلأَشْجَارُ عَارِيَةً وَجُذُورُهَا سَوْدَاءَ . وَحَاوَلَ مِنْ أَمَاكِنَ عِدَّةٍ أَنْ يَخْتَرِقَ ٱلْخَرَائِبَ وَلَكِنَّ ٱلنِّيرَانَ كَانَتْ تَصُدُّهُ (3) . وَكَانَ ٱلنَّاسُ يَصِيحُونَ مِنْ تَحْتِ دُورٍ كَثِيرَةٍ طَالِبِينَ ٱلْغَوْثَ وَلاَ مُغِيثَ . وَكَانَ ٱلأَحْيَاءُ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ لاَ يُسْعِفُونَ بِوَجْهٍ عَامٍّ إِلاَّ ذَوِي قُرْبَاهُمْ أَوْ جِيرَانَهُمْ ٱلأَدْنِينَ (4) لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُدْرِكُونَ أَوْ يَتَوَقَّعُونَ أَنَّ دَائِرَةَ ٱلتَّعَاسَةِ أَوْسَعُ مِنْ مُحِيطِهِمْ . وَكَانَ ٱلْجَرْحَى يَسِيرُونَ مُتَحَامِلِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ غَيْرَ مُكْتَرِثِينَ بِمَا يَسْمَعُونَ مِنْ صِيَاحٍ .

وَكَانَ ٱلسَّيِّدُ « تَانِيمُوتُو » غَيْرَ مُكْتَرِثٍ أَيْضًا بِتِلْكَ ٱلصَّيْحَاتِ . وَكَانَ بِوَصْفِهِ مَسِيحِيًّا قَدِ ٱمْتَلأَتْ نَفْسُهُ عَطْفًا عَلَى أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ وَقَفُوا فِي فَخِّ ٱلأَبْنِيَةِ ٱلْمُتَهَدِّمَةِ وَبِوَصْفِهِ يَابَانِيًّا قَدْ عَرَاهُ ٱلْخَجَلُ لأَنَّهُ لَمْ يُصَبْ بِسُوءٍ .

وَكَانَ يَدْعُو اللهَ وَهُوَ يَجْرِي : «اَللَّهُمَّ سَاعِدْهُمْ وَنَجِّهِمْ مِنَ اَلنَّارِ ! » .

جون هرسي : هيروشيما

تعريب : حسن محمود

مجلّة الكاتب المصري، سبتمبر 1949

ص ص 548ـــ550

التّعريف بالكاتب :

جون هرسي : صحفي أمريكي زار هيروشيما على إثر إلقاء القنبلة الذريّة عليها واتّصل ببعض من نجَوا من الكارثة وروى ما أخبروه به في إحدى الجرائد الأمريكيّة .

الشّـرح :

(*) في صباح اليوم السّادس من أوت سنة 1945 وفي السّاعة الثّامنة والرّبع بتوقيت اليابان وبعد رفض الزّعماء اليابانيين الإنذار النّهائي الذي أبلغه الحلفاء لهم إثر اجتماع بوستدام ألقيت القنبلة الذريّة على هيروشيما . وهي مدينة يابانية بها مصانع الجيش ومخازنه وميناء لإنزال العتاد الحربي . ولقد تسبّبت هذه القنبلة في موت ما يقارب 240.000 نسمة ولم ينج من سكّان المدينة إلّا نفر قليل منهم القسّ « تانيموتو » الذي روى بعض ما شاهد للصّحافي « جون هرسي » .

(1) أَسْمَالٌ : اِسم مفرده سَمَلٌ وهو الخَلَق من الثّياب .
سَمَلَ الثّوبُ يسمُل سُمُولاً : أخلق .

(2) مُنَكَّسٌ : اِسم مفعول من نَكَّسَ .
نَكَّسَ الشّيءَ يُنَكِّسُهُ تَنْكِيسًا : قلبه على رأسه .
نَكَسَ فلانٌ رأسَه : طَأْطَأَهُ مِنْ ذُلٍّ .

(3) تَصُدُّهُ : صَدَّه عن الشّيء يصُدُّه صَدًّا : منعه .

(4) الأدنون : هذه الكلمة هي جمع « الأدنى » .

الأسئلـة :

1 ــ إستخرج من الفقرة الأولى الجملة التي تصوّر أثر تفجير القنبلة النّفسي في سكّان هيروشيما ثمّ آذكر ما تستخلصه منها .

2 ــ ما هو سلوك سكان هيروشيما على إثر تفجير القنبلة ؟ وكيف تفسّر ذلك السّلوك ؟

3 ــ لماذا شعر السيّد « تاينموتو » بالخجل ؟ وكيف تفسّر شعوره ذاك ؟

4 ــ هل لك أن تستخلص من النّصّ موقف الصّحفي الأمريكي « جون هرسي » ممّا أقدمت عليه بلاده من تفجير القنبلة الذريّة على مدينة هيروشيما ؟

109 ـ لَسْتُ أُرِيدُ لَهَا أَنْ تَمُوتَ

... دَعْنِي [1] أَقُلْ لَكَ ، إِنِّي أَبٌ ... أَبٌ لَيْسَ غَيْرْ
وَأَنْتَ أَبٌ ... وَكِلاَنَا حَنُونْ
سِوَى أَنَّ بِي رِقَّةً لِلْبَنِينْ
وَلِي طِفْلَةٌ كَٱنْتِلاَقِ ٱلصَّبَاحْ
كَحُلْمِ ٱلرَّبِيعِ كَهَمْسِ ٱلْقُبَلْ
كَنَوَّارَةٍ فِي ٱخْضِرَارِ ٱلْحُقُولْ
يُنَغْنِغُ [2] فِي شَفَتَيْهَا ٱلأَمَلْ
تُحَاوِلُ جَاهِدَةً أَنْ تَسِيرَ . وَكَانَتْ لِعَهْدِي لَمْ تَقْعُدِ
فَحِينًا تَلُوذُ إِلَى حَائِطٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَإِلَى مَقْعَدِ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ وَقَفَتْ لَحْظَةً لِتَضْرِبَ مَا حَوْلَهَا بِٱلْيَدِ
وَيَا رُبَّمَا رَنَّحَتْهَا [3] ٱلْخُطَا ... وَيَا طَالَمَا وَقَعَتْ ضَاحِكَهْ
لِتَنْهَضَ عَازِمَةً مِنْ جَدِيدٍ ، كَذَلِكَ تَمْضِي بِنَا ٱلْمَعْرَكَهْ
تُدَرِّبُهَا عَثَرَاتُ ٱلطَّرِيقِ وَتَدْفَعُهَا خِبْرَةُ ٱلتَّجْرِبَهْ
وَلَسْتُ أُرِيدُ لَهَا أَنْ تَمُوتَ ... فَرِفْقًا وَأَنْتَ تَخَطُّ ٱلْمَصِيرْ
أَتَرْمِي حَمَامَاتِنَا بِٱلنُّسُورْ [4]
مَعَاذَ [6] ٱلأُبُوَّةِ يَا سَيِّدِي ، فَأَنْتَ أَبٌ وَكِلاَنَا حَنُونْ

أَلَسْتَ تَصُونُ حَيَاةَ ٱبْنَتِكْ ؟
فَهَلْ تَصْنَعُ ٱلْمَوْتَ لِلأُخْرَيَاتْ ؟

وَإِنِّي لأَدْعُوكَ بِٱسْمِ ٱلأُبُوَّةِ بِٱسْمِ ٱلْحَيَاةِ وَبِٱسْمِ ٱلصِّغَارْ
لِتَعْقِدَ حِلْفًا يَصُونُ ٱلسَّلاَمَ وَيَرْعَى ٱلْمَوَدَّاتِ بَيْنَ ٱلْكِبَارْ

فَأَنْتَ أَبٌ قَدْ صَنَعْتَ ٱلْحَيَاةَ وَلَنْ تَصْنَعَ ٱلْمَوْتَ بَعْدَ ٱلْحَيَاةْ

عبد الرّحمان الشّرقاوي

عن مجلّة الآداب ، ماي 1957

ص 24

التعريف بالكاتب :

عبد الرّحمان الشّرقاوي : أديب مصريّ معاصر . وهو من أشهر كتّاب الرّواية الواقعيّة التي تصف حياة الفلاّحين .

من مؤلّفاته : « الأرض » ــ الفلاّح » ــ « الشّوارع الخلفيّة » .

الشّـرح :

(1) دَغْنِي : هذه هي صيغة الأمر من فعل « وَدَعَ » و« وَدَعَ » معناه ترك .

(2) يُنَغْنِغُ : أي يغنّي في صوت طفوليّ .

(3) رَنَّحَتْهَا : رَنَّحَه يُرَنِّحُه جعله يتمايل .

(4) ترمز الحمامات في النّصّ إلى السّلام أمّا النّسور فترمز إلى التسلّط والظّلم .

(5) مَعَاذ : مصدر ميميّ من فعل « عاذ » بمعنى لَجَأَ .

الأسئلـة :

1 ــ هل لك أن تستخلص من النّصّ منزلة الشّخص الذي يتحدّث الكاتب إليه ؟

2 ــ ماذا وصف الكاتب من آبنته ؟ ولماذا قصد في نصّه إلى وصف الجوانب تلك ؟

3 ــ ما هو الجانب الذي أراد الكاتب أن يؤثّر فيه من مخاطبه ؟

4 ــ إستخرج التّشابيه التي جاءت في النّصّ وبيّن وظيفتها في الوصف .

— 3 —

مشاكـــل التّغذيـــة

110 ــ « بَيْتُ ٱلْمُونَةِ »

كَانَ « بَيْتُ ٱلْمُونَة » ٱلَّذِي تُدَّخَرُ فِيهِ أَقْوَاتُ ٱلْعَائِلَةِ لِسَنَةٍ كَامِلَةٍ هُوَ ٱلْمَكَانُ ٱلَّذِي يُولِيهِ رَبُّ ٱلْبَيْتِ ٱلرِّعَايَةَ ٱلتَّامَّةَ. فَلاَ يَغْفَلُ عَنْ تَزْوِيدِهِ بِٱلْمُؤَنِ [1] فِي جَمِيعِ فُصُولِ ٱلسَّنَةِ حَتَّى يَفِيَ بِحَاجَاتِ ذَوِيهِ فِي أَيَّامِ ٱلرَّخَاءِ [2] وَٱلشِّدَّةِ .

فَإِذَا ٱدْلَهَمَّتِ ٱلسَّمَاءُ وَٱشْتَدَّ ٱلْبَرْدُ وَعَسُرَتْ زِيَارَةُ ٱلْجَارِ لِلْجَارِ لَجَأَتْ رَبَّةُ ٱلْبَيْتِ إِلَيْهِ لإِعْدَادِ طَعَامٍ سَخِنٍ طَيِّبٍ لِعِيَالِهَا . وَإِذَا كَسَدَتِ ٱلسُّوقُ أَوْ قَلَّتْ مَوَارِدُ زَوْجِهَا ٱعْتَمَدَتْ عَلَى مَا ٱخْتَزَنَتْهُ مِنْ طَعَامٍ حَتَّى تَنْفُقَ [3] ٱلسُّوقُ أَوْ تَنْفَرِجَ ٱلأَزْمَةُ . وَإِذَا ٱرْتَفَعَ سِعْرُ ٱللَّحْمِ وَعَزَّ شِرَاؤُهُ أَلْقَتْ فِي ٱلْقِدْرِ قِطَعًا صَغِيرَةً مِنَ ٱللَّحْمِ ٱلْقَدِيدِ حَتَّى يَتَسَلَّى أَبْنَاؤُهَا بِرَائِحَةِ ٱللَّحْمِ عِنْدَ فِقْدَانِهِ .

فَبَيْتُ ٱلْمُونَةِ ضَمَانٌ لِٱسْتِقْرَارِ ٱلْعَائِلَةِ وَتَوَاصُلِ تَمَاسُكِهَا وَٱلْتِفَافِهَا حَوْلَ رَبِّ ٱلْمَنْزِلِ . فِيهِ تَجِدُ خَوَابِي ٱلزَّيْتِ مُسْنَدَةً إِلَى ٱلْحَائِطِ عَنْ يَمِينِ ٱلدَّاخِلِ، وَبِجَانِبِهَا جِرَارُ ٱلسَّمْنِ وَٱلْعَسَلِ وَٱللَّحْمِ ٱلْقَدِيدِ ، وَتُشَاهِدُ أَكْيَاسَ ٱلْقَمْحِ وَٱلدَّقِيقِ وَٱلْكُسْكُسِي وَٱلْبُرْغُلِ وَٱلْفُولِ وَٱلْحِمَّصِ وَعُلَبًا قَصْدِيرِيَّةً مَمْلُوءَةً بِٱلطَّمَاطِمِ ٱلْمُصَبَّرَةِ وَحُقَقًا فِيهَا أَلْوَانٌ مِنَ ٱلأَفَاوِيهِ [4] ٱلْمَحَلِّيَّةِ مِنْ كَمُّونٍ وَكَرْوِيَّةٍ وَكَسْبَرَةٍ [5] ، وَتَسْطَعُ [6] أَنْفَكَ ٱلرَّائِحَةُ ٱلْعَاتِيَةُ ٱلسَّاطِعَةُ ٱلَّتِي تَفُوحُ مِنْ قَلاَئِدِ ٱلثُّومِ وَٱلْفُلْفُلِ ٱلأَحْمَرِ ٱلْمُجَفَّفِ ٱلْمُتَدَلاَّةِ مِنَ ٱلسَّقْفِ ، فَتُثِيرُ فِي نَفْسِكَ ٱلشَّهِيَّةَ إِلَى ٱلطَّعَامِ .

بَيْتُ ٱلْمُونَةِ ــ رَغْمَ ضِيقِهِ وَٱكْتِنَازِ ٱلْبَضَائِعِ فِيهِ ــ عَالَمٌ بِأَسْرِهِ يُشْبِعُ ٱلْحَوَاسَّ وَيُذْكِي ٱلْمُخَيِّلَةَ ، فَيَجْعَلُهَا تَسْبَحُ فِي فَضَاءٍ رَحْبٍ تَسْتَعِيدُ فِيهِ

ذِكْرَى سَاعَاتٍ عِشْنَاهَا فِي صِبَانَا وَعَرَفْنَا فِيهَا ٱلْهَنَاءَ وَرَغَدَ [7] ٱلْعَيْشِ ، عِنْدَمَا كُنَّا نَتَحَلَّقُ حَوْلَ مَائِدَةِ ٱلطَّعَامِ عَلَى ضَوْءِ قِنْدِيلٍ وَقُودُهُ زَيْتُ ٱلزَّيْتُونِ لِنَأْكُلَ مَعَ أَبَوَيْنَا طَعَامًا بِعَيْنِهِ أَعَدَّتْهُ لَنَا أُمُّنَا مِمَّا يُدِرُّهُ عَلَيْنَا ذَلِكَ ٱلْبَيْتُ .

بَيْتُ ٱلْمُونَةِ غُرْفَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ بَابِ ٱلدَّارِ ٱلرَّئِيسِيِّ. جُعِلَتِ ٱلْغُرْفَةُ فِي ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ حَتَّى يَكُونَ تَزْوِيدُهَا مَيْسُورًا لِقُرْبِهَا مِنَ ٱلْمَدْخَلِ وَلاَ يَكُونَ صَحْنُ ٱلدَّارِ مَمَرًّا لِلْحَمَّالِينَ وَٱلأَكَّارِينَ [8] . تُؤَدِّي إِلَيْهَا دَرَجَاتٌ ثَلاَثٌ تَجْعَلُ مِنْهَا غُرْفَةً مُعَلَّقَةً لاَ تَتَأَثَّرُ بِٱلرُّطُوبَةِ ٱلَّتِي تَتَسَرَّبُ فِي أَسْفَلِ ٱلْجُدْرَانِ عِنْدَ غَسْلِ بَلاَطِ ٱلْمَنْزِلِ . وَيَفْتَحُ بَابُهَا عَلَى ٱلدِّهْلِيزِ ٱلْوَاسِعِ ٱلَّذِي يَسْتَقْبِلُ فِيهِ رَبُّ ٱلْبَيْتِ ٱلزُّوَّارَ وَٱلَّذِي يُسَمَّى ٱلسَّقِيفَةَ .

يَعْلَمُ رَبُّ ٱلْبَيْتِ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ أَنَّ أَهَمَّ دَوْرٍ يَقُومُ بِهِ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا لإِرْضَاءِ خَالِقِهِ هُوَ ٱلإِنْفَاقُ عَلَى ٱلْعِيَالِ حَتَّى يَشُقَّ بَنُوهُ بِدَوْرِهِمْ طَرِيقَهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ .

وَٱلإِنْفَاقُ يَفْتَقِرُ إِلَى خِصَالٍ أَهَمُّهَا ٱلْقُدْرَةُ عَلَى ٱلتَّخْطِيطِ وَٱلاِقْتِصَادِ فِي ٱلنَّفَقَاتِ فَلاَ تُقْتَنَى ٱلأَقْوَاتُ إِلاَّ فِي فُصُولِهَا حَتَّى تَكُونَ أَجْوَدَ وَأَزْهَدَ ثَمَنًا .

فَٱلزَّيْتُ يُشْتَرَى مُبَاشَرَةً فِي ٱلْمَعَاصِرِ بَعْدَ جَنْيِ ٱلزَّيْتُونِ . وَٱلسَّمْنُ يُقْتَنَى فِي ٱلرَّبِيعِ عِنْدَمَا يَنْتَشِرُ ٱلأَعْرَابُ فِي ٱلْمَدِينَةِ قَادِمِينَ إِلَيْهَا بِقِلاَلِهِمْ ٱلْمَمْلُوءَةِ سَمْنًا أَصْفَرَ كَٱلذَّهَبِ ٱلْمُذَابِ . وَٱلْقَمْحُ يُسْعَى إِلَيْهِ فِي أَسْوَاقِ ٱلْبَادِيَةِ فِي فَصْلِ ٱلصَّيْفِ بَعْدَ مَوْسِمِ ٱلْحَصَادِ . أَمَّا ٱلطَّمَاطِمُ وَٱلْفُلْفُلُ وَٱلْفُولُ وَٱلْحِمَّصُ وَٱلأَفَاوِيهُ فَيَتَحَرَّكُ ذَوُو ٱلْحُنْكَةِ [9] وَٱلْبَصِيرَةِ [10] لِشِرَائِهَا عِنْدَمَا تَغُصُّ أَسْوَاقُ ٱلْمَدِينَةِ بِهَا فَيَجِدُ ٱلسَّاعِي لاِقْتِنَائِهَا مَجَالاً وَاسِعًا لاِخْتِيَارِ مَا يَرْغَبُ فِي شِرَائِهِ مِنْ بَيْنِ أَصْنَافِ ٱلْبَضَائِعِ ٱلْمَعْرُوضَةِ .

وَلاَ يُبَارِكُ ٱللَّهُ سَعْيَ أَبِ ٱلْعِيَالِ إِلاَّ إِذَا كَانَتْ رَبَّةُ ٱلْبَيْتِ صَالِحَةً تُحْسِنُ

ٱلتَّصَرُّفَ فِي مَا يَجْلُبُهُ إِلَيْهَا بَعْلُهَا وَتَجْتَنِبُ ٱلتَّبْذِيرَ . فَلاَ فَائِدَةَ فِي ٱمْتِيَاحِ (11) ٱلْمَاءِ مِنَ ٱلْبِئْرِ إِذَا كَانَتِ ٱلْجَابِيَةُ مَثْلُومَةً (12) . فَمِفْتَاحُ بَيْتِ ٱلْمُونَةِ فِي عُهْدَتِهَا لاَ تُسَلِّمُهُ إِلاَّ إِلَى زَوْجِهَا عِنْدَ ٱلإِقْتِضَاءِ . وَهِيَ تُخْرِجُ كُلَّ يَوْمٍ بِنَفْسِهَا مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ ذَخِيرَتِهَا لإِعْدَادِ طَعَامِهَا . كُلُّ شَيْءٍ بِمِقْدَارٍ. لاَ تَفْرِيطَ وَلاَ إِفْرَاطَ.

الطّاهر قيقة : الصّخرة العالية

ص ص 51ـ53

دار التركي للنشر - تونس 1988

التّعريف بالكاتب :

الطّاهر قيقة : أديب تونسيّ معاصر وُلِد بتكرونة قرب النّفيضة سنة 1922 . اشتغل لسنوات بالتّدريس .

من مؤلّفاته : الصّين الحديثة ـــ نسور وضفادع ـــ الصّخرة العالية .

الشّـرح :

(1) ٱلْمُؤَنُ : إسم مفرده مَؤُونَةٌ أي القوت .

وجاء في معجم لسان العرب أنّ المؤونة من ٱلأَوْنِ وهو التّعب. فالمؤونة ـــ في أصل الاشتقاق ـــ هي القوت الذي يحصل عليه الانسان بعد التّعب والعناء .

(2) الرَّخاء : إسم معناه سعة العيش ولينه .

يقال : رَخِي فلانٌ يَرْخَى فهو رَخِيُّ البال إذا كان في نعمة مُوَسَّعًا عليه في رزقه .

(3) تَنْفُقُ : نَفَقَتِ السِّلعةُ تنفُق نفاقا أي غلت ورغب النّاس فيها والنَّفاق ضدّ الكساد .

(4) الأفاويه : جمع أُفْوَاهٍ وهي ـــ في السّياق الذي جاءت به في النّصّ ـــ التّوابل. واحدتها فُوهٌ .

(5) كسبرة : لم نعثر على هذه الكلمة في المعاجم ولكنّنا وجدنا كلمة هي « كُزْبَرَة » وهي بقلة أوراقها ورديّة اللّون أو بيضاء بزرها من الأفاويه .

(6) تَسْطَعُ : سطَعت الرّائحةُ تسطَع سطْعا وسُطوعا أي فاحت وعلت وٱرتفعت .
سطعتني رائحة المسك أي طارت إلى أنفي .
ويُقال للصّبح إذا طَلَعَ ضوْؤُه في السّماء قد سطَع .

(7) رَغَدٌ : خِصْبٌ وسَعَةُ عَيْشٍ .

(8) الأكّارين : إسم مفرده أَكَّارٌ وهو الزّارع .

(9) ٱلْحُنْكَةُ : إسم ــ هي التّجربة والبصر بالأمور .

(10) البصيرة : العلم بالشّيء .

(11) إمتياح : مصدر ــ امتاح فلانٌ الماء من البئر : جذبه بالدّلو .

(12) مثلومة : إسم مفعول ــ ثَلَم الإناءَ يثلِمُه ثَلْمًا أي كسر حرفه .
الثُّلْمَةُ هي المَوْضِع الذي كُسِر .

الأسئلة :

1 ــ ما هي الحكمة من ٱصطناع « بيت المونة » حسب ما جاء في النّصّ ؟

2 ــ إنّ محتويات « بيت المونة » تشير إلى ألوان من الطّعام كما تشير إلى بعض خصائص الطّبخ في بعض الجهات من الجمهوريّة . بيّن ذلك .

3 ــ يبدو حسب ما جاء في النّصّ من إشارات لطيفة أنّ الدّخول إلى « بيت المونة » يُذْكِي بعض الحواسّ . بيّن ذلك .

4 ــ لقد أثار الحديث عن « بيت المونة » في الكاتب ذكريات . ما هي ؟ وماذا تستشفّ من ذكرياته تلك ؟

5 ــ هل لك أن تستخلص ممّا جاء في النّصّ مِعْمَارَ المنزل العتيق ؟

6 ــ إستخرج من النّصّ جميع ما يفيد حُسن تدبير العائلة التّونسيّة في القديم .

7 ــ قارن بين طريقة تدبير القوت كما وصفها الكاتب في النّصّ وما تلاحظه في مجتمعنا اليوم . بم تفسّر الفرق ؟ وما رأيك ؟

111 ــ كَذٰلِكَ كَانَ يَعِيشُ أَبُوكِ

عَرَفْتُهُ فِي ٱلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ حِينَ أُرْسِلَ إِلَى ٱلْقَاهِرَةِ لِيَخْتَلِفَ إِلَى (1) دُرُوسِ ٱلْعِلْمِ فِي ٱلأَزْهَرِ ... كَانَ نَحِيفًا شَاحِبَ ٱللَّوْنِ مُهْمَلَ ٱلزِّيِّ أَقْرَبَ إِلَى ٱلْفَقْرِ مِنْهُ إِلَى ٱلْغِنَى ، تَقْتَحِمُهُ (2) ٱلْعَيْنُ ٱقْتِحَامًا فِي عَبَاءَتِهِ ٱلْقَذِرَةِ وَطَاقِيَتِهِ ٱلَّتِي ٱسْتَحَالَ بَيَاضُهَا إِلَى سَوَادٍ قَاتِمٍ ... تَقْتَحِمُهُ ٱلْعَيْنُ فِي هٰذَا كُلِّهِ وَلٰكِنَّهَا تَبْتَسِمُ لَهُ حِينَ تَرَاهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَالٍ رَثَّةٍ وَبَصَرٍ مَكْفُوفٍ ، وَاضِحَ ٱلْجَبِينِ مُبْتَسِمَ ٱلثَّغْرِ مُسْرِعًا مَعَ قَائِدِهِ إِلَى ٱلأَزْهَرِ ... تَقْتَحِمُهُ ٱلْعَيْنُ وَلٰكِنَّهَا تَبْتَسِمُ لَهُ وَتَلْحَظُهُ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلرِّفْقِ حِينَ تَرَاهُ فِي حَلْقَةِ ٱلدَّرْسِ مُصْغِيًا كُلُّهُ إِلَى ٱلشَّيْخِ يَلْتَهِمُ كَلاَمَهُ ٱلْتِهَامًا ...

عَرَفْتُهُ يَا ٱبْنَتِي فِي هٰذَا ٱلطَّوْرِ . وَكَمْ أُحِبُّ لَوْ تَعْرِفِينَهُ كَمَا عَرَفْتُهُ إِذَنْ تُقَدِّرِينَ مَا بَيْنَكِ وَبَيْنَهُ مِنْ فَرْقٍ . وَلٰكِنْ أَنَّى لَكِ هٰذَا وَأَنْتِ فِي ٱلتَّاسِعَةِ مِنْ عُمُرِكِ تَرَيْنَ ٱلْحَيَاةَ كُلَّهَا نَعِيمًا وَصَفْوًا !

عَرَفْتُهُ يُنْفِقُ ٱلْيَوْمَ وَٱلأُسْبُوعَ وَٱلشَّهْرَ وَٱلسَّنَةَ لاَ يَأْكُلُ إِلاَّ لَوْنًا (3) وَاحِدًا ، يَأْخُذُ مِنْهُ حَظَّهُ فِي ٱلصَّبَاحِ وَيَأْخُذُ مِنْهُ حَظَّهُ فِي ٱلْمَسَاءِ لاَ شَاكِيًا وَلاَ مُتَبَرِّمًا وَلاَ مُتَجَلِّدًا وَلاَ مُفَكِّرًا فِي أَنَّ حَالَهُ خَلِيقَةٌ بِٱلشَّكْوَى . وَلَوْ أَخَذْتِ يَا ٱبْنَتِي مِنْ هٰذَا ٱللَّوْنِ حَظًّا قَلِيلاً فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ لأَشْفَقَتْ أُمُّكِ وَلَقَدَّمَتْ إِلَيْكِ قَدَحًا مِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْمَعْدَنِيِّ وَلاَنْتَظَرَتْ أَنْ تَدْعُوَ ٱلطَّبِيبَ .

لَقَدْ كَانَ أَبُوكِ يُنْفِقُ ٱلأُسْبُوعَ وَٱلشَّهْرَ لاَ يَعِيشُ إِلاَّ عَلَى خُبْزِ ٱلأَزْهَرِ . وَوَيْلٌ لِلأَزْهَرِيِّينَ مِنْ خُبْزِ ٱلأَزْهَرِ ! لَقَدْ كَانُوا يَجِدُونَ فِيهِ ضُرُوبًا مِنَ ٱلْقَشِّ وَأَلْوَانًا مِنَ ٱلْحَصَى وَفُنُونًا مِنَ ٱلْحَشَرَاتِ .

وَكَانَ يُنْفِقُ ٱلأُسْبُوعَ وَٱلشَّهْرَ وَٱلأَشْهُرَ لاَ يَغْمِسُ هَذَا ٱلْخُبْزَ إِلاَّ فِي ٱلْعَسَلِ ٱلأَسْوَدِ وَأَنْتِ لاَ تَعْرِفِينَ ٱلْعَسَلَ ٱلأَسْوَدَ وَخَيْرٌ لَكِ أَلاَّ تَعْرِفِيهِ .

كَذَلِكَ كَانَ يَعِيشُ أَبُوكِ مُبْتَسِمًا لِلْحَيَاةِ وَٱلدُّرُوسِ مَحْرُومًا لاَ يَكَادُ يَشْعُرُ بِٱلْحِرْمَانِ . حَتَّى إِذَا ٱنْقَضَتِ ٱلسَّنَةُ وَعَادَ إِلَى أَبَوَيْهِ وَأَقْبَلاَ عَلَيْهِ يَسْأَلاَنِهِ كَيْفَ يَأْكُلُ ؟ وَكَيْفَ يَعِيشُ ؟ أَخَذَ يَنْظُمُ لَهُمَا ٱلأَكَاذِيبَ كَمَا تَعَوَّدَ أَنْ يَنْظُمَ لَكِ ٱلْقِصَصَ فَيُحَدِّثُهُمَا بِحَيَاةٍ كُلُّهَا رَغَدٌ وَنَعِيمٌ وَمَا كَانَ يَدْفَعُهُ إِلَى هَذَا ٱلْكَذِبِ حُبُّ ٱلْكَذِبِ لِمَا كَانَ يَرْفُقُ بِهَذَيْنِ ٱلشَّيْخَيْنِ وَيَكْرَهُ أَنْ يُنْبِئَهُمَا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ حِرْمَانٍ ـ وَكَانَ يَرْفُقُ بِأَخِيهِ ٱلأَزْهَرِيِّ وَيَكْرَهُ أَنْ يَعْلَمَ أَبَوَاهُ أَنَّهُ يَسْتَأْثِرُ دُونَهُ بِقَلِيلٍ مِنَ ٱللَّبَنِ . كَذَلِكَ كَانَتْ حَيَاةُ أَبِيكِ فِي ٱلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ .

عن طه حسين : الأيّام

الجزء الأول، دار المعارف بمصر، د.ت

ص ص 149ـ151

التّعريف بالكاتب :

ٱنظر ترجمته في نصّ « المستطيع غيره » .

الشّـرح :

(1) يختلف إلى : يتردّد على .

(2) تقتحمه : اقتحمته عيني أي ازدرته .

(3) ألوان : مفرده لَوْنٌ والمقصود به نوع .

الأسئلـة :

1 ــ استخرج من النّصّ جميع ما يشير إلى شظف حياة طه حسين لمّا كان صبيًا في الثّالثة عشرة .

2 ــ في النّصّ صورة لبعض طلبة العلم في القديم . أبرزها .

3 ــ ما الفرق بين طه حسين صبيًا وأبنته حسب ما جاء في النّصّ ؟ وإلام ترجع ذلك ؟

4 ــ لِمَ توجّه طه في نصّه بالخطاب إلى أبنته ؟

5 ــ ألا تجد في النّصّ نبرة افتخار ؟ إن وجدت فأبرزها .

112 ـ ٱلْمِقْـلاَةُ

ٱلدُّكَّانُ ضَيِّقٌ لاَ يَتَّسِعُ إِلاَّ لِثَلاَثِ طَاوِلاَتٍ . حَوْلَ كُلِّ طَاوِلَةٍ أَرْبَعُ كَرَاسِي . مُكَعَّبٌ كَبِيرٌ مَبْنِيٌّ فِي ٱلْجَانِبِ ٱلأَيْسَرِ مِنْ مَدْخَلِ ٱلْبَابِ فَوْقَهُ مِقْلاَةٌ [1] كَبِيرَةٌ وَصُحُونٌ خَزَفِيَّةٌ وَخُضَرٌ . تَحْتَ ٱلْمُكَعَّبِ فُرْنٌ يَقَعُ أَسْفَلَ ٱلْمِقْلاَةِ لاَ يُرَى مِنْهُ إِلاَّ كُوَّةٌ [2] صَغِيرَةٌ يَخْرُجُ مِنْهَا دُخَانٌ ، حَوَاشِيهَا مُتَّسِخَةٌ ، سَوْدَاءُ . حَاشِيَتُهَا ٱلسُّفْلَى يَنْزِلُ مِنْهَا رَمَادٌ أَزْرَقُ ، رَمَادِيٌّ ، يَقَعُ عَلَى ٱلْقَاعَةِ أَكْدَاسًا صَغِيرَةً .

ٱلدُّكَّانُ ضَيِّقٌ لاَ يَتَّسِعُ إِلا لِثَلاَثِ طَاوِلاَتٍ مُسْتَطِيلَةٍ ، خَشَبِيَّةٍ ، قَدِيمَةٍ مُتَوَسِّطَةِ ٱلْحَجْمِ ، حَوْلَ كُلِّ طَاوِلَةٍ أَرْبَعَةُ كَرَاسِي . بَيْنَ ٱلطَّاوِلَةِ وَٱلأُخْرَى مَمَرٌّ ضَيِّقٌ يُحُدُّهُ ٱلْحَائِطُ . ٱلْمُكَعَّبُ وَسَطَهُ رَجُلٌ لاَ يُرَى إِلاَّ نِصْفُهُ ٱلأَعْلَى، ٱلرَّجُلُ ٱلآخَرُ وَاقِفٌ أَمَامَ ٱلْمُكَعَّبِ . أَرْبَعَةُ رِجَالٍ جَالِسُونَ : اِثْنَانِ جَالِسَانِ إِلَى طَاوِلَةٍ وَاحِدَةٍ مُتَقَابِلَيْنِ ، ٱلرَّجُلُ ٱلآخَرُ يَنْظُرُ إِلَى ٱلشَّارِعِ أَمَّا ٱلرَّابِعُ فَقُبَالَتَهُ ٱلْحَائِطُ . رَجُلٌ خَامِسٌ وَقَفَ أَمَامَ ٱلدُّكَّانِ ... نَظَرَ إِلَى ٱلرَّجُلِ ٱلْوَاقِفِ فِي ٱلْمُكَعَّبِ ، لَعَلَّهُ هَمَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ ثَمَنِ ٱلصَّحْنِ . وَلَكِنَّهُ دَخَلَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا . ضَجِيجُ ٱلشَّارِعِ يَدْخُلُ إِلَى ٱلدُّكَّانِ فَيَمْلَؤُهُ حَتَّى لَكَأَنَّ ٱلشَّارِعَ يَدْخُلُ ٱلدُّكَّانَ ... وَلَكِنْ عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْ هَذَا فَنَشِيشُ [3] ٱلزَّيْتِ ... وَرَائِحَةُ ٱلْمَقْلِيِّ وطَعْمُ ٱلدُّخَانِ كُلُّ هَذِهِ ٱلأَشْيَاءِ تُعْطِي لِلدُّكَّانِ طَعْمَهُ وَلَوْنَهُ وَرَائِحَتَهُ .

طَعْمُهُ هُوَ طَعْمُ « ٱلْكَفْتَاجِي » وَلَوْنُهُ هُوَ لَوْنُ « ٱلْكَفْتَاجِي » وَرَائِحَتُهُ هِيَ رَائِحَةُ « ٱلْكَفْتَاجِي » ...

وَقَفَ سَائِلٌ أَمَامَ ٱلْبَابِ لَمْ يَسْأَلْ وَلَكِنَّهُ سَأَلَ عَنْ ثَمَنِ ٱلصَّحْنِ ثُمَّ دَخَلَ

وَجلَسَ . كُلُّ ٱلْجُلاَّسِ طَلَبُوا « ٱلْكَفْتَاجِي » ...

أَخَذَ ٱلصَّحْنَ ٱلأَبْيَضَ ، وَضَعَ فِيهِ قَرْعًا مَقْلِيًّا وَبَطَاطَا مَقْلِيَّةً ، وَفُلْفُلاً مَقْلِيًّا وَطَمَاطِمَ مَقْلِيَّةً ، وَصَبَّ فِيهِ زَيْتًا مَقْلِيًّا . فَعَلَ هَذَا ثُمَّ ٱحْتَفَى وَسَطَ ٱلْمُكَعَّبِ . لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَرَزَ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ بِيَدِهِ بَيْضَةٌ . ضَرَبَهَا عَلَى حَافَةِ ٱلْمِقْلاَةِ ثُمَّ أَدْخَلَ فِيهَا إِبْهَامَهُ حَتَّى ٱنْشَقَّتْ ...

رِجَالٌ يَأْكُلُونَ . رَجُلٌ يَتَرَقَّبُ قَلِقًا . رَجُلٌ جَلَسَ وَطَلَبَ وَأَكَلَ صَحْنَهُ وَمَسَحَ فَمَهُ فِي يَدِهِ وَمَسَحَ يَدَهُ بِفَمِهِ وَوَقَفَ وَدَفَعَ ...

جَذَبَ ٱلصَّحْنَ . نَظَرَ إِلَيْهِ ، دَفَعَهُ إِلَى ٱلأَمَامِ قَلِيلاً ، مَسَحَ فَمَهُ بِيَدِهِ ـــ هَاتِ ٱلْخُبْزَ .

أَخَذَ ٱلصَّحْنَ . طَأْطَأَ رَأْسَهُ . شَمَّهُ .

أَخَذَ الصَّحْنَ . نَظَرَ إِلَيْهِ . ٱبْتَسَمَ ...

وَضَعَ أَمَامَهُ رُبْعَ خُبْزَةٍ . مَدَّ يَدَهُ إِلَى قِطْعَةِ ٱلْخُبْزِ فَسَقَطَتْ عَلَى ٱلأَرْضِ . اِنْحَنَى لِيَأْخُذَهَا فَتَدَحْرَجَتْ قَالَ لَهَا : أَيْنَ أَنْتِ ذَاهِبَةٌ ؟! خَطَا وَرَاءَهَا وَلَكِنَّهَا ظَلَّتْ تَتَدَحْرَجُ . تَبِعَهَا وَلَكِنَّهَا ظَلَّتْ تَتَدَحْرَجُ . أَسْرَعَ فَأَسْرَعَتْ ... خَرَجَتْ مِنَ ٱلدُّكَّانِ . ضَرَبَ بِيَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَقَالَ : هَرَبَتْ . خَرَجَ يَجْرِي وَيَصِيحُ . لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ . كُلُّهُمْ يَجْرُونَ ... كُلٌّ وَرَاءَ خُبْزَتِهِ .

عن محمود التّونسي : صحن كفتاجي بالعضمة

مختارات من الأدب التّونسي المعاصر، ج II

وزارة الشّؤون الثّقافيّة والدّار التّونسيّة للنّشر، 1985

ص ص 161ـــ163

التّعريف بالكاتب :

محمود التونسيّ : رسّام وأديب ولد بمدينة منزل تميم (الوطن القبلي) سنة 1941. تخرّج في مدرسة الفنون الجميلة. وهو يشتغل أستاذا في الرّسم بالمعاهد الثانويّة .

له تجارب طريفة في كتابة الشّعر وله أقاصيص جمع طائفة منها تحت عنوان « فضاء » (تونس 1973) .

الشّـرح :

(1) مِقْلاَةٌ : اِسم آلة من فعل قَلَى . قَلَى الشّيء يقليه قَلْيًا أي أنضجه على المقلاة .

(2) كُوَّةٌ : اِسم جمعه كِوًى ومعناه الثّقب في الحائط .

(3) نَشِيشٌ : مصدر من نَشَّ يَنِشُّ أي صوّت عند الغليان .
نشَّ اللّحمُ نشيشا أي سُمِع له صوت على المِقْلى أو في القِدر .

الأسئلـة :

1 ــ ما هي الجوانب المختلفة التي وصفها الكاتب من الدّكّان ؟ وماذا تستخلص من وصفه للجوانب تلك ؟

2 ــ اِعتبر بعض الدّارسين أن محمود التّونسي ٱنتهج في نصّه هذا أسلوب الرّسم في دقّة آدائه للأحجام والأشكال والألوان فما رأيك ؟ دعّم جوابك بقرائن من النّصّ

3 ــ ما هي الشّخصيّات التي دخلت الدّكّان ؟ وماذا تستخلص من وصف الكاتب لطريقة جلوسها أو لهيئتها ؟

4 ــ هنالك كلمات تتعلّق بنوع من الطّعام كرّرها الكاتب . ما هي ؟ ولِمَ كرّرها؟

5 ــ ماذا تستخلص من علاقة الرّجل في الفقرة الأخيرة بالطّعام ؟

6 ــ ألا ترى أنّ الكاتب ٱستغلّ في نهاية النّصّ صورة شائعة في حديثنا فولّدها وأسند بها إلى نصّه دلالات ٱجتماعيّة . بيّن ذلك وٱذكر وجه الطّرافة .

7 ــ كيف تبدو لك تجربة الأكل من خلال هذا النّصّ ؟

113 ـ آفَـةُ ٱلْجُـوعِ

ٱنْظُرْ إِلَى هَذِهِ ٱلأُمِّ ٱلْبَئِيسَةِ [1] تُمْسِكُ ثَدْيًا خَاوِيًا [2] يَتَدَلَّى إِلَى جَوْفِهَا. وَوَلَدُهَا ٱلرَّضِيعُ شَاحِبُ ٱلْوَجْهِ ، نَحِيلُ ٱلْجِسْمِ ، فِي حِجْرِهَا يَبْكِي، فَٱلثَّدْيُ جَفَّ ، وَنَضَبَ [3] مِنْهُ ٱلْحَلِيبُ ، وَٱمْتَصَّهُ ٱلصَّبِيُّ وَٱمْتَصَّ حَتَّى نَزَّ [4] مِنْهُ الدَّمُ .

ٱلْوَلَدُ الرَّضِيعُ جَوْعَانُ يَبْكِي ، وَيَبْكِي مَعَهُ ٱلأَطْفَالُ ٱلرُّضَعُ ٱلْجِيَاعُ حَتَّى يَمُوتُوا بَيْنَ أَيْدِي أُمَّهَاتِهِمْ بِٱلْبُلْدَانِ ٱلْفَقِيرَةِ ٱلْجَائِعَةِ بِآسِيَا وَأَمْرِيكَا ٱلْجَنُوبِيَّةِ وَإِفْرِيقْيَا . فَهَلْ يَمُوتُ حَقًّا فِي كُلِّ سَنَةٍ فَوْقَ أَرْضِنَا ثَلاثُونَ مَلْيُونًا مِنَ ٱلأَطْفَالِ وَٱلْكُهُولِ يَقْتُلُهُمْ ٱلْجُوعُ ؟ وَهَلْ يَشْكُو حَقًّا أَلَمَ ٱلْجُوعِ خَمْسُمَائَةِ مَلْيُونٍ مِنَ الأَطْفَالِ فِي شَتَّى بُلْدَانِ ٱلْعَالَمِ ٱلثَّالِثِ ٱلْجَائِعِ ٱلْمِسْكِينِ ؟

إِنَّهُ لَهَوْلٌ [5] عَظِيمٌ لَوْ صَدَقَتْ أَرْقَامُ عُلَمَاءِ ٱلإِجْتِمَاعِ ٱلْمُعَاصِرِينَ . هَوْلُ هَذِهِ ٱلآفَةِ ، آفَةِ ٱلْجُوعِ ، هَوْلٌ كَهَوْلِ ٱلْوَبَاءِ ٱلْجَارِفِ [6] .

يَقْتُلُ ٱلْجُوعُ ٱلأَوْلاَدَ الرُّضَّعَ . أَوْ يُطْلِعُ ٱلأَطْفَالَ ٱلْجِيَاعَ عَلَى أَمْرَاضٍ مُزْمِنَةٍ قَاسِيَةٍ تَنْحَرِفُ بِهَا أَبْدَانُهُمْ وَتَخْتَلُّ أَعْضَاؤُهُمْ . وتَضْطَرِبُ مَدَارِكُهُمْ ٱلْفِكْرِيَّةُ وَإِحْسَاسَاتُهُمْ ، وَيَنْشَؤُونَ عَلَى شَقَاءِ ٱلْجُوعِ مَعَ شَقَاءِ ٱلْجَهْلِ وَٱلْفَقْرِ اللَّزِيمِ [7] .

لَكِنْ هَلْ صَارَ ٱلْجُوعُ بِٱلْبُلْدَانِ ٱلْفَقِيرَةِ قَضَاءً مَحْتُومًا ؟ وَكَيْفَ تَسْكُتُ ٱلإِنْسَانِيَّةُ عَنْ هَذِهِ ٱلآفَةِ ٱلْفَتَّاكَةِ ٱلْمُتَوَلِّدَةِ عَنِ ٱلْفَقْرِ وَتَكَاثُرِ ٱلنَّسْلِ ، وَكَذَلِكَ عَنْ عُقْمٍ فِي هَيَاكِلِ ٱلإِجْتِمَاعِ وَأَحْوَالِ ٱلإِقْتِصَادِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْعَالَمِ ٱلثَّالِثِ؟ إِنَّ هَذَا ٱلْمَدَدَ [8] ٱلَّذِي تُقَدِّمُهُ ٱلأُمَمُ ٱلثَّرِيَّةُ بِأُورُوبَا وَأَمْرِيكَا ٱلشَّمَالِيَّةِ

لاَ يَكَادُ يَسُدُّ ٱلرَّمَقَ [9]، فَلَيْسَ عَلَيْهِ يُعَوَّلُ، لاَ سِيَّمَا أَنَّهُ مَدَدٌ يَنْقُصُ قَدْرُهُ بِقَدْرِ مَا تَزْدَادُ حَاجَةُ ٱلْبُلْدَانِ ٱلْفَقِيرَةِ إِلَيْهِ .

لِذَلِكَ وَجَبَ عَلَى أَهْلِ بُلْدَانِ ٱلْعَالَمِ ٱلثَّالِثِ أَنْ يُبَادِرُوا بِإِصْلاَحِ مَعَايِشِهِمْ وَتَغْيِيرِ مَا بَلِيَ عِنْدَهُمْ مِنْ هَيَاكِلِ ٱلإِجْتِمَاعِ وَأَسْبَابِ ٱلإِقْتِصَادِ، لِذَلِكَ وَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعَوِّلُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِلْقَضَاءِ عَلَى آفَةِ ٱلْجُوعِ ، وَأَنْ يَحْرِصُوا هَكَذَا عَلَى ٱلتَّوْفِيرِ مِنْ إِنْتَاجِ ٱلْمَوَادِ ٱلْغِذَائِيَّةِ، وَيُقَدِّمُوا هَذَا ٱلْوَجْهَ عَلَى سَائِرِ وُجُوهِ ٱلتَّنْمِيَةِ ٱلإِقْتِصَادِيَّةِ ، وَيُعِدُّوا لَهُ أَكْمَلَ عُدَّةٍ بِٱلأَمْوَالِ ٱلضَّرُورِيَّةِ وَوَسَائِلِ ٱلإِنْتَاجِ ٱلْعَصْرِيَّةِ .

فَإِنَّهُ لَوِ ٱتَّجَهَتِ ٱلْهِمَّةُ فِي ٱلتَّنْمِيَّةِ ٱلإِقْتِصَادِيَّةِ عِنْدَ ٱلأُمَمِ ٱلْغَنِيَّةِ وَٱلأُمَمِ ٱلْفَقِيرَةِ كَذَلِكَ ، لاَ إِلَى وِجْهَةِ ٱسْتِغْلاَلِيَّةٍ بِتَوْفِيرِ ٱلْمَكَاسِبِ ، بَلْ إِلَى أَسْمَى ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْمَادِيَّةِ ، أَيْ إِلَى إِرْضَاءِ ٱلْحَاجَاتِ ٱلأَسَاسِيَّةِ مِثْلَ حَاجَةِ ٱلْقُوتِ وَٱلْغَذَاءِ ، لَصَلُحَتِ ٱلْبَرَامِجُ ٱلإِقْتِصَادِيَّةُ وَلَدَرَّتِ ٱلأَرْضُ بِخَيْرَاتِهَا ، فَأَكَلَ ٱلْبَشَرُ بِأَجْمَعِهِمْ مِنْ ثَمَرَاتِهَا وَشَبِعُوا .

فرحات الدّشراوي

العمل الثّقافي ، العدد 117

السّنة الثّالثة، الجمعة 2 جويلية 1971

التّعريف بالكاتب :

فرحات الدّشراوي : أستاذ جامعيّ تونسيّ ، متخصّص في الحضارة الإسلامية. ولقد تحصّل من جامعة الصّربون على دكتوراه الدولة في ذلك الاختصاص .
تقلّد الأستاذ فرحات الدّشراوي مهام وزارة الشؤون الاجتماعيّة .
من مؤلّفاته : الخلافة الفاطميّة بالمغرب (بالفرنسيّة)، تحقيق كتاب افتتاح الدّعوة للقاضي النّعمان .

الشّـرح :

(1) البئيسة : صفة مشبّهة بمعنى شديدة البؤس .
بئِس الرّجلُ يبأس بُؤْسًا : افتقر واشتدّت حاجته .

(2) خاويا : صفة مشبّهة . خَوَت الدّار تخوى أي خلت من أهلها . وخَوى البطنُ يخوى خَوًى وخَوَاءً أي كان فارغا .

(3) نضب : نضَب الماءُ ينضُب نُضُوبًا أي ذهب في الأرض .
نضب الثّدي من الحليب : جفّ .

(4) نَزَّ : يَنِزُّ نَزًّا ونزيزا أي تقاطر .

(5) هَوْلٌ : مصدر ــ هالني الأمرُ يهُولني هَوْلاً أي أفزعني . وجاء في معجم لسان العرب ما يلي : « الهول المخافة من الأمر لا يدرى ما يهجم منه كهَوْل اللّيل وهول البحر والجمع أهوال » .

(6) الجارِف : اِسم فاعل ــ جرَف الشّيء يجرُفه جرْفا أي أخذه أخذا كثيرا .
يُقال سَيْلٌ جُراف بمعنى أنّه يجرُف ما مرّ به .

(7) اللّزيم : صيغة مبالغة بمعنى شدّة الملازمة والتعلّق .

(8) الْمَدَدُ : هذه الكلمة تُستعمل في الأصل لما يرسله النّاس إلى قومهم في الحرب من طعام أو أعوان . وهي تفيد في النّصّ ما يرسل إلى بلد من إعانات .

(9) الرَّمَق : اِسم ــ الرَّمَقُ هو بقيّة الحياة .
يقال : عيش مُرَمَّقٌ أي قليل يسير ويقال أيضا : الرُّمُق للفقراء الذين يتبلّغون بأكل قليل يُمسِك الرَّمَق .

الأسئلـة :

1 ــ لِمَ بدأ الكاتب نصّه برسم صورة لأمّ بائسة ورضيعها ؟

2 ــ اِستخرج من النّصّ الأفعال والصّفات التي ٱستعملها الكاتب عند حديثه عن الجوع .

3 ــ ما هي آثار الجوع المختلفة في الأطفال حسب ما جاء في النّصّ ؟

4 ــ مَا هي أسباب الجوع حسب الكاتب ؟ وما هو الحلّ الذي يقترحه لمقاومة هذه المشكلة ؟

5 ــ في النّصّ نقد لبعض السّياسات المعتمدة في العالم الثّالث ونقد لبعض السّياسات المعتمدة في البلدان الغنيّة . أوضح ذلك وٱذكر رأيك .

114 ـ ٱلطَّعَامُ لِكُلِّ فَمٍ

ٱلابْنُ : ٱلْمَشْرُوعُ ٱلَّذِي نَعْمَلُ مِنْ أَجْلِهِ بَسِيطٌ جِدًّا ... بَسِيطٌ فِي مَعْنَاهُ ... يُلَخَّصُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ... وَلَوْ أَنَّهُ أَهَمُّ شَيْءٍ فِي حَيَاةِ ٱلنَّاسِ : ٱلطَّعَامُ ... مَشْرُوعُنَا هُوَ : « ٱلطَّعَامُ لِكُلِّ فَمٍ » ... فِكْرَتُنَا هِيَ أَنَّ تَحْطِيمَ ٱلذَّرَّةِ عَمَلٌ لاَ قِيمَةَ لَهُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ إِذَا لَمْ يُؤَدِّ إِلَى تَحْطِيمِ ٱلْجُوعِ ... كَيْفَ نُحَطِّمُ ٱلْجُوعَ ؟ ... كَيْفَ نُلْغِيهِ إِلْغَاءً ؟ ... هَذَا هُوَ مَشْرُوعُنَا ...

ٱلأُمُّ : وَلَكِنْ هَلْ هَذَا مُمْكِنٌ يَا طَارِقُ ؟ ...

ٱلابْنُ : مُمْكِنٌ يَا مَامَا ... مُمْكِنٌ بِٱسْتِنْبَاطِ [1] وَٱسْتِخْرَاجِ طَاقَاتٍ هَائِلَةٍ بِدُونِ تَكَالِيفَ تُذْكَرُ ... سَأَبْسُطُ لَكِ ٱلْمَوْضُوعَ ... تَصَوَّرِي مَثَلاً أَنَّ كِيلُو ٱللَّحْمِ يُسَاوِي غَدًا بَعْدَ تَنْفِيذِ ٱلْمَشْرُوعِ نِصْفَ مِلِّيمٍ ...

ٱلأُمُّ : كِيلُو ٱللَّحْمِ بِنِصْفِ مِلِّيمٍ ؟! ...

ٱلابْنُ : وَقِيسِي عَلَى ذَلِكَ بَقِيَّةَ ٱلْمَأْكُولاَتِ وَٱلْحَاجِيَاتِ ...

ٱلأُمُّ : مَعْنَى ذَلِكَ يَا طَارِقُ أَنَّ كُلَّ ٱلنَّاسِ سَيَأْكُلُونَ ٱللَّحْمَ ...

ٱلابْنُ : وَيَلْبَسُونَ وَيَسْكُنُونَ بِلاَ نَفَقَاتٍ تُذْكَرُ ...

ٱلأُمُّ : لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ فُقَرَاءُ إِذَنْ ؟ ...

ٱلابْنُ : عَلَى ٱلإِطْلاَقِ ...

ٱلأُمُّ : وَمَنِ ٱلَّذِي يَخْدِمُنَا ؟ ... لَنْ نَجِدَ لَنَا خَدَمًا ؟! ...

ٱلابْنُ : ٱلْعِلْمُ ... ٱلْمُخْتَرَعَاتُ ... ٱلآلاَتُ وَٱلأَجْهِزَةُ ... عِنْدَمَا نُلْغِي ٱلْجُوعَ سَنُلْغِي فِي نَفْسِ ٱلْوَقْتِ عُبُودِيَّةَ ٱلإِنْسَانِ لِلإِنْسَانِ !

ٱلأُمُّ : كَيْفَ يُمْكِنُ ذَلِكَ ؟ ...

ٱلابْنُ : أَمْكَنَنَا ذَلِكَ بِٱلْفِعْلِ ... عِلْمِيًّا وَنَظَرِيًّا ... ٱلْمَسْأَلَةُ مَحْلُولَةٌ وَلَكِنَّ ٱلصُّعُوبَةَ فِي ٱلتَّنْفِيذِ وَٱلتَّطْبِيقِ ... لأَنَّ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى إِجْمَاعِ ٱلْعَالَمِ كُلِّهِ وَتَكَاتُفِ (2) ٱلدُّوَلِ جَمِيعًا ... وَهَذَا غَيْرُ مُيَسَّرٍ ٱلآنَ ... لِسَبَبٍ بَسِيطٍ ، وَهُوَ أَنَّ مَنْ لَهُمْ مَصْلَحَةٌ فِي ٱلسَّيْطَرَةِ عَلَى ٱلنَّاسِ وَٱلشُّعُوبِ لاَ يُنَاسِبُهُمْ إِلْغَاءُ ٱلْجُوعِ ... إِنَّ ٱلْجُوعَ هُوَ سِلاَحُهُمْ فِي ٱلسَّيْطَرَةِ ٱلإِقْتِصَادِيَّةِ ... وَهُمْ يُفَضِّلُونَ بَذْلَ ٱلْجُهْدِ وَٱلْمَالِ فِي تَدْعِيمِ أَسْلِحَةِ ٱلدَّمَارِ ٱلَّتِي تَزِيدُ فِي ٱنْتِشَارِ ٱلْجُوعِ ... وَلاَ يَعْمَلُونَ خَالِصِينَ مِنْ أَجْلِ ٱلطَّعَامِ وَٱلسَّلاَمِ .

ٱلأُمُّ : إِذَنْ مَشْرُوعُكَ يَا بُنَيَّ ...

ٱلابْنُ : مُجَهَّزٌ عِلْمِيًّا وَنَظَرِيًّا فِي أَدَقِّ تَفْصِيلاَتِهِ ... وَهَذَا كُلُّ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ ٱلآنَ ... اِنْتِظَارًا لِلْغَدِ ... كُلُّنَا أَمَلٌ فِي ٱلْغَدِ ... عِنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ وَعْيُ ٱلْعَالَمِ كُلِّهِ ... عِنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ ٱلضَّمِيرُ ٱلإِنْسَانِيُّ ... ٱلضَّمِيرُ ٱلْحَقِيقِيُّ ...

ٱلأُمُّ : ٱلضَّمِيرُ ؟! ... وَمَتَى يَسْتَيْقِظُ هَذَا ٱلضَّمِيرُ يَا طَارِقُ ؟ ...

ٱلابْنُ : كُلُّنَا أَمَلٌ ... كُلِّي أَمَلٌ ...

توفيق الحكيم : الطّعام لكلّ فم

مصر، المطبعة النّموذجيّة

ص 43ـ44ـ45ـ46

التّعريف بالكاتب :

آنظر ترجمته في نصّ « ما العمل ؟ » .

الشّـرح :

(1) اِسْتِنْبَاطٌ : مصدر ــ اِسْتَنْبَطَ الشّيءَ يَسْتَنْبِطُهُ آسْتِنْبَاطًا : اِسْتَخْرَجَهُ.

(2) تَكَاتُفٌ : مصدر ــ تكَاتَفَ القومُ يتكاتفون : تعاونوا وكأنّ كتِفَ كُلِّ واحِدٍ يشدّ كَتِفَ الآخرِ .

الأسئلـة :

1 ــ بيّن كيف يجعل الجوع الإنسان عبدا للإنسان .

2 ــ ما هي الأطراف التي لا يناسبها إلغاء الجوع حسب الابن ؟ ولماذا ؟

3 ــ إعتبر الابن أنّ آستيقاظ الضّمير الإنسانيّ شرط لتحقّق مشروعه . فكيف يستيقظ الضّمير الإنسانيّ في رأيك ؟

4 ــ ما رأي الأمّ في مشروع آبنها ؟ دعّم جوابك بقرائن من النّصّ .

— 4 —

النّموّ الدّيموغرافي

115 ــ المعلّــم نونــو

تقديــم :

أراد أحمد عاكف ــ وهو الشّخصيّة الرّئيسيّة في رواية « خان الخليلي » ــ أن يتعرّف إلى الحيّ الجديد الذي حلّت به عائلته فخرج يتجوّل والتقى بالمعلّم نونو وهو خطّاط يشتغل بدكّان يقع في الطابق السّفلي من العمارة التي تقطنها أسرة أحمد . دعا المعلّم نونو أحمد إلى مجلسه ودار بينهما حديث ، هذا النّصّ جزء منه :

* * *

... مَلْعُونٌ أَبُو ٱلدُّنْيَا ؟ هَذَا شِعَارُكَ ٱلْمَحْبُوبُ يَا مُعَلِّم طَالَمَا صَعِدَ إِلَى حُجْرَتِي تَرْدِيدُكَ لَهُ .

ــ أَجَلْ مَلْعُونٌ أَبُو ٱلدُّنْيَا . هَذَا شِعَارُ ٱلاسْتِهَانَةِ لاَ ٱللَّعْنِ أَوِ ٱلسَّبِّ. وَلَكِنْ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَلْعَنَهَا بِٱلْفِعْلِ كَمَا تَلْعَنُهَا بِاللِّسَانِ ؟ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَهِينَ بِهَا وَتَضْحَكَ مِنْهَا إِذَا أَفْقَرَتْكَ ؟ وَإِذَا أَعْرَتْكَ ؟ ، وَإِذَا كَرَبَتْكَ ؟ [1] وَإِذَا أَجَاعَتْكَ ؟ صَدِّقْنِي أَنَّ ٱلدُّنْيَا كَالْمَرْأَةِ تُدْبِرُ [2] عَمَّنْ يَجْثُو [3] بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَتُقْبِلُ عَلَى مَنْ يَضْرِبُهَا وَيَلْعَنُهَا ، فَسِيَاسَتِي مَعَ ٱلدُّنْيَا وَمَعَ ٱلنِّسَاءِ وَاحِدَةٌ ، وَٱتِّكَالِي مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ عَلَى ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ. وَرُبَّ يَوْمٍ يَسْتَدْبِرُ وَلَمَّا يَفْتَحِ ٱللهُ عَلَيْنَا بِمِلِّيمٍ ، وَلاَ يَدْرِي أَحَدٌ مَاذَا يَأْكُلُ ٱلْعِيَالُ وَمَا أَمْلِكُ ثَمَنَ ٱلنَّارْجِيلَةِ . فَمَا أَزَالُ آخِذًا فِي ٱلْغِنَاءِ وَٱللَّعْنِ وَٱلتَّنْكِيتِ، وَكَأَنَّ ٱلْعِيَالَ عِيَالُ جَارِي وَالْفَقْرَ رَاكِبٌ عَدُوِّي . ثُمَّ تُفْرَجُ ، فَيُطْلَبُ مِنَّا عَمَلٌ وَأَقْبِضُ مُقَدَّمَ ٱلأَتْعَابِ . اِفْرَحْ يَا نُونُو . ٱشْكُرِ ٱللهَ يَا نُونُو ، خُذِي

يا زَيْنَبُ اِشْتَرِي لَحْمَةً وَأَنْتَ يَا حَسَنُ هَاتِ فِجْلاً ، اِجْرِي يَا عَائِشَةُ آبْتَاعِي بَطِّيخَةً . اِمْلأْ بَطْنَكَ يَا نُونُو ، كُلُوا يَا أَبْنَاءَ نُونُو ، وَآشْكُرْنَ يَا زَوْجَاتِ نُونُو ...

وَلَفَتَ سَمْعَ أَحْمَدَ قَوْلُهُ : « زَوْجَاتِ نُونُو » فَتَسَاءَلَ تُرَى كَمْ زَوْجَةً يَضُمُّ حَرِيمُ (4) نُونُو ؟! ... وَهَلْ يُحَدِّثُهُ بِأَسْرَارِهِ آلدَّاخِلِيَّةِ بِمِثْلِ صَرَاحَتِهِ هَذِهِ عَنْ فَلْسَفَتِهِ الْعَامَّةِ ؟! ... وَلَمْ يَجِدْ سَبِيلاً إِلَى غَرَضِهِ إِلاَّ بِالْحِيلَةِ ، فَسَأَلَهُ :

ــ كَانَ اللهُ فِي آلْعَوْنِ ، آلظَّاهِرُ أَنَّ أُسْرَتَكَ كَبِيرَةٌ .

فَقَالَ آلرَّجُلُ بِبَسَاطَةٍ :

ــ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ، وَأَرْبَعُ شُمُوسٍ .

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى نَفْسِهِ وَكَمَّلَ قَائِلاً :

ــ وَقَمَرٌ وَاحِدٌ !

فَتَرَدَّدَ عَاكِفُ لَحَظَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ :

ــ وَهَلْ تَسْتَأْجِرُ تَبَعًا لِذَلِكَ بُيُوتًا أَرْبَعَةً ؟

ــ بَلْ شُقَّةً وَاحِدَةً كَشُقَّةِ حَضْرَتِكَ ، مُكَوَّنَةً مِنْ حُجُرَاتٍ **أَرْبَعٍ فِي** كُلِّ حُجْرَةٍ أُمٌّ وَأَبْنَاؤُهَا !

فَلاَحَتِ آلدَّهْشَةُ فِي وَجْهِ آلرَّجُلِ وَنَظَرَ إِلَى مُحَدِّثِهِ **بِإِنْكَارٍ** آلْمُعَلِّمُ ضَحْكَتَهُ آلْعَظِيمَةَ بِفَخَارٍ ، وَقَالَ :

ــ مَا آلدَّاعِي لِلدَّهْشَةِ يَا أَحْمَد أَفَنْدِي ؟

فَآتَتْ [5] أَحْمَدَ جَرَاءَةٌ لَيْسَتْ مِنْ طَبْعِهِ ، وَسَأَلَهُ :

ــ لِمَاذَا لَمْ تَقْنَعْ بِوَاحِدَةٍ ؟

ــ وَاحِدَة ؟! ... أَنَا خَطَّاطٌ ، وَٱلنِّسَاءُ كَٱلْخَطِّ أَنْوَاعٌ لاَ يُغْنِي نَوْعٌ عَنْ نَوْعٍ ، فَهَذِهِ نَسْخٌ ، وَتِلْكَ رُقْعَةٌ ، وَثَالِثَةٌ ثُلُثٌ ، وَرَابِعَةٌ فَارِسِيٌّ . أَنَا لاَ أُوَحِّدُ إِلاَّ الله .

ــ وَكَيْفَ تَجْمَعُهُنَّ فِي شُقَّةٍ وَاحِدَةٍ ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ بِمَا يُقَالُ عَنْ غَيْرَةِ ٱلنِّسَاءِ ؟

فَهَزَّ ٱلْمُعَلِّمُ مَنْكِبَيْهِ [6] الْعَرِيضَيْنِ ٱسْتِهَانَةً وَبَصَقَ عَلَى ٱلأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَ :

ــ هَلْ تُصَدِّقُ مَا يُقَالُ عَنِ ٱلنِّسَاءِ وَغَيْرَتِهِنَّ وَمَكْرِهِنَّ ؟! ... كُلُّ أُولَئِكَ سَجَايَا [7] خَلَقَهَا ضُعْفُ ٱلرَّجُلِ . ٱلْمَرْأَةُ فِي ٱلأَصْلِ عَجِينَةٌ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَخْرِجَ مِنْهَا ٱلشَّكْلَ ٱلَّذِي تَشَاءُ . وَٱعْلَمْ أَنَّهَا حَيَوَانٌ نَاقِصُ ٱلْعَقْلِ وَٱلدِّينِ فَكَمِّلْهَا بِأَمْرَيْنِ ، بِٱلسِّيَاسَةِ وَالْعَصَا ! فَمَا مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْ نِسَائِي إِلاَّ مُطْمَئِنَّةٌ إِلَى أَنَّهَا الأَثِيرَةُ [8] ٱلْمُفَضَّلَةُ ، وَلَنْ تَجِدَ مِثْلَ بَيْتِي سَعَادَةً وَهُدُوءًا ، وَلاَ مِثْلَ زَوْجَاتِي حِشْمَةً وَتَنَافُسًا فِي إِرْضَائِي .

فَابْتَسَمَ أَحْمَدُ ٱبْتِسَامَةً غَامِضَةً وَنَهَضَ .

عن نجيب محفوظ

خان الخليلي

ص ص 38ــ39

التّعريف بالكاتب :

آنظر ترجمته في نصّ « أمينة »

الشّــرح :

(1) كَرَبْتَكَ : كَرَبَ الأمرُ فلانًا يَكْرُبُه كَرْبًا : اِشتدّ عليه وأغمّه .
الكَرْبُ : هو الحزن والغمّ الذي يأخذ بالنّفس .

(2) تُدْبِرُ : أَدْبَرَ يُدْبِرُ إِدْبَارًا أي وَلَّى وذَهَبَ .
ففعل (أدبر) يقابل فعل (أقبل) .

(3) يَجْثُو : جَثَا فلانٌ يَجْثُو جُثُوًّا أي جَلَسَ على رُكبتيه .

(4) حريم : جاء في معجم لسان العرب ما يلي :« حَرَم الرّجل وحريمه : أهله » .

(5) آتت : آتاه على الأمر أي طاوعه .
آتيته على الأمر مُؤاتاة أي وافقته وطاوعته .

(6) مَنْكِبَيْهِ : اِسم مفرده مَنْكِبٌ وهو مكان التقاء عظم العضُد والكتف عند الإنسان.

(7) سَجَايا : اِسم مفرده سجيّة والسّجيّة هي الطّبيعة والخُلُق .

(8) الأثيرة : صفة مشبّهة ــ أثر فلانٌ يأثُر أي كان مفضّلا .

الأسئلــة :

1 ــ ما هو النّموذج الاجتماعي الذي ترمز إليه شخصيّة المعلّم نونو ؟ دعّم جوابك بقرائن من النّصّ .

2 ــ اِستخلص من الفقرة الأولى مذهب المعلّم نونو في السّلوك وحاول أن تفسّر أسباب ذلك المذهب .

3 ــ ما هو ــ في رأيك ــ دور الضّحك في حياة هذه الشّخصيّة ؟ علّل جوابك .

4 ــ بيّن موقف المعلّم نونو من وضعيّته العائليّة بالاستناد إلى الصّورة التي جاءت على لسانه في النّصّ .

5 ــ ما هي منزلة المرأة في عيني المعلّم نونو ؟

6 ــ ما موقف نجيب محفوظ من شخصيّة المعلّم نونو ؟ وعلام ٱعتمدت في ٱستخلاص الموقف الذي ذكرتَ ؟

116 ــ أَصْبَحَ ٱلأَمْرُ لاَ يُحْتَمَلُ

مُنْذُ عَشْرَةِ أَعْوَامٍ كَانَتْ أُمْنِيَتِي ٱلْوَحِيدَةُ قَبْلَ ٱلزَّوَاجِ أَنْ تُصْبِحَ يَوْمِيَّتِي رُبْعَ جُنَيْهٍ . وَقَدْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ ٱلأُمْنِيَةُ بَلْ زَادَتْ يَوْمِيَّتِي وَأَصْبَحَتْ ثَلاَثِينَ قِرْشًا ... وَلَكِنْ أَصْبَحَ لِي فِي ٱلْوَقْتِ نَفْسِهِ خَمْسَةُ أَوْلاَدٍ ذُكُورٍ أَكْبَرُهُمْ فِي ٱلسَّابِعَةِ ... وَلاَ تَظُنَّ أَنَّ هَذَا ٱلْعَدَدَ يَدُلُّ عَلَى تَقْصِيرِنَا [1] فِي ٱلإِنْتَاجِ وَلاَ عَلَى كَرَاهِيَّةِ زَوْجَتِي لإِنْجَابِ ٱلأَطْفَالِ ... فَهُنَاكَ ثَلاَثُ بَنَاتٍ ٱخْتَارَهُنَّ ٱلرَّبُّ لِجِوَارِهِ ... وَإِنْ كُنْتُ لاَ أَدْرِي حِكْمَةَ ٱلرَّبِّ فِي ٱخْتِيَارِ ٱلْبَنَاتِ فَقَطْ ... وَعَلَى أَيِّ حَالٍ شُكْرًا وَحَمْدًا لَهُ لأَنَّهُ أَرَاحَنَا وَأَرَاحَهُنَّ .

وَنَحْنُ نُقِيمُ فِي حَيِّ الشُّرَابِيَّةِ ... فِي حُجْرَةٍ وَاحِدَةٍ كُلُّنَا ... فِي لَيَالِي ٱلصَّيْفِ نَشْتَرِكُ مَعَ جِيرَانِنَا فِي رَدْهَةِ [2] ٱلشُّقَّةِ ٱلْمُقَسَّمَةِ حُجْرَاتٍ ... وَهُمْ بِلاَ فَخْرٍ يُنَافِسُونَنَا فِي إِنْجَابِ ٱلأَطْفَالِ وَنَجْتَمِعُ فِي ٱلرَّدْهَةِ لِلأَكْلِ وَٱلسَّمَرِ ... وَتَطْبُخُ فِيهَا ٱلنِّسَاءُ أَيْضًا ... وَيَلْعَبُ فِيهَا الأَطْفَالُ وَيَنَامُونَ ... وَلَنَا فِيهَا مَنَافِعُ أُخْرَى ... وَفِي لَيَالِي ٱلشِّتَاءِ ٱلْبَارِدَةِ نَتَكَدَّسُ جَمِيعًا فِي ٱلْحُجْرَةِ ... ٱلصِّغَارُ مُتَجَاوِرُونَ عَلَى ٱلأَرْضِ ... وَٱلرَّضِيعُ يُشَارِكُنَا ٱلْفِرَاشَ دَائِمًا ...

أَخَذَتْ زَوْجَتِي « مَاتِيلْدَا » تَضْمُرُ [3] حَتَّى أَصْبَحَتْ لاَ فَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عُودِ ٱلْقَصَبِ . إِلاَّ أَنَّ عُودَ ٱلْقَصَبِ فِي رَحِيقِهِ حَلاَوَةٌ ، صَدْرٌ أَعْجَفُ [4] كَصَدْرِ ٱلصَّبِيِّ ... أَنْفَاسٌ لاَهِثَةٌ بِٱسْتِمْرَارٍ ... وَعُيُونٌ تَبْرُقُ ... وَبِرَغْمِ ذَلِكَ لاَ أَذْكُرُ أَنَّهَا رَقَدَتْ يَوْمًا وَاحِدًا فِي ٱلْفِرَاشِ مَرِيضَةً... فَهْيَ كُتْلَةٌ دَائِبَةٌ مِنَ ٱلنَّشَاطِ لاَ تَهْدَأُ وَلاَ تَكُفُّ عَنِ ٱلْحَرَكَةِ ... وَغَالِبًا مَا تَجِدُ فِي يَدِهَا ٱلإِبْرَةَ وَٱلْخَيْطَ وَهْيَ تَرْتُقُ فِي مَهَارَةٍ ٱلثُّقُوبَ ٱلْعَدِيدَةَ

ٱلَّتِي لاَ يَبْرُعُ سِوَى ٱلصِّغَارِ ٱلْمَلاَعِين فِي خَلْقِهَا ... وَإِنْ أَخَذْتَ فِي أَنْ تَتَبَيَّنَ لَوْنَ ٱلْجِلْبَابِ ٱلأَصْلِيَّ ... فَلاَ تَعْجَبْ ... لأَنَّهُ خَلِيطٌ مِنْ عِدَّةِ أَثْوَابٍ مُخْتَلِفَةٍ ... وَٱلْحَيَاةُ تَسِيرُ بِنَا ...

قَامَتْ زَوْجَتِي بَعْدَ ٱلْوَضْعِ ... لَقَدْ نَسِيتُ أَنْ أُخْبِرَكَ أَنَّهَا حَامِلٌ ... وَذَلِكَ لأَنَّهُ أَمْرٌ عَادِيٌّ . فَهْيَ لاَ تَنْتَهِي مِنْ وِضْعِ طِفْلٍ إِلاَّ لِتَحْمِلَ آخَرَ... ٱلْمُهِمُّ ... ٱلْوَلِيدُ ٱلْجَدِيدُ لاَ يَكُفُّ عَنِ ٱلْبُكَاءِ لَيْلاً وَلاَ نَهَارًا ... وَ«مَاتِيلْدَا» زَوْجَتِي لاَ تَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى أَنْ تَحْتَوِيَهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا وَتُرَبِّتَهُ بِحَنَانٍ وَتَنْظُرَ إِلَيْهِ بِحَسْرَةٍ ... وَٱلصَّغِيرُ ٱلْمَلْعُونُ مَعْذُورٌ فَإِنَّهُ يَحْتَوِي ثَدْيَ أُمِّهِ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَيَنْقَضُّ عَلَيْهِ بِٱلشَّرَاهَةِ ٱلْمَعْهُودَةِ ... ثُمَّ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يُطْلِقَهُ صَارِخًا ... فَقَدْ جَفَّ ٱلثَّدْيُ تَمَامًا مِنَ ٱللَّبَنِ ... وَأَصْبَحَ ٱلأَمْرُ لاَ يُحْتَمَلُ ... فَٱلرَّضِيعُ كَمَا تَعْلَمُ يُشَارِكُنَا ٱلْفِرَاشَ ... أَيْنَ أَنَامُ ؟ ... وَهُوَ لاَ يَكُفُّ عَنِ ٱلصُّرَاخِ... فَكَّرْتُ فِي كَتْمِ أَنْفَاسِهِ مِرَارًا ... وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كُنْتُ أَكْتَفِي بِأَنْ أَلْعَنَهُ ... وَأَصُبَّ جَامَ (5) غَضَبِي عَلَى زَوْجَتِي « مَاتِيلْدَا » فَتَأْخُذُهُ وَتَخْرُجُ بِهِ مِنَ ٱلْحُجْرَةِ حَتَّى أَنَامَ .

عن محمّد القرش

الدّنيا بخير، مجلّة القصّة، العدد الثّاني
السّنة الأولى، فيفري 1964
ص ص 41ـــ43

التعريف بالكاتب :

محمّد القرش : قصّاص مصري معاصر . نشر أقاصيصه في المجلاّت ولا سيّما في مجلّتي « القصّة » و« المجلّة »

الشّـرح :

(1) تَقْصِيرُنَا : مصدر ــ قصّر فلانٌ في الأمر يقصِّر تقصيرا أي توانى فيه . أمّا قَصَرَ فله معنى آخر يُقال : قَصَر فلانٌ عن الشّيء يقصُر قُصُورا أي كفّ عنه وتركه عن عجز .

(2) الرَّدْهَةُ : اِسم ــ جمعها رَدْهٌ وهي البيت الواسع .

(3) تَضْمُرُ : ضمُر يضمُر ضُمُورًا : هزل وقلّ لحمه .

(4) أَعْجَفُ : صفة مشبّهة من عجِف أو عجُف المؤنّث منه عجفاءُ والجمع عِجاف. والعَجَف هو غِلظ العظام وعراؤها من اللّحم .

(5) جام : اِسم جمعه جامات ومعناه الإناء .

الأسئلـة :

1 ــ ما هي الجوانب المختلفة التي ذكرها الرّاوي من حياة عائلته ؟

2 ــ ماذا تستخلص من وصف الرّاوي للزّوجة ؟

3 ــ ما علاقة الرّاوي بأبنائه ؟ وبم تفسّر العلاقة تلك ؟

4 ــ ما موقف الزّوجة من وضعها ؟ وعلام اعتمدت في استخلاص الموقف الذي ذكرت ؟

5 ــ في النّصّ سخرية : حدّد مواطنها وبيّن دلالتها .

117 ـ جَيْشُ ٱلنَّمْلِ

بَعْدَ صَلاَةِ ٱلْعِشَاءِ [1] كَانَتْ خَرَاطِيمُ مِنَ ٱلشَّتَائِمِ تَتَدَفَّقُ بِغَزَارَةٍ مِنْ فَمِ عَبْدِ ٱلْكَرِيمِ فَتُصِيبُ آبَاءَ ٱلْقَرْيَةِ وَأُمَّهَاتِهَا .

وَٱلْحِكَايَةُ أَنَّ عَبْدَ ٱلْكَرِيمِ مَا كَادَ يَخْطِفُ ٱلأَرْبَعَ رَكَعَاتٍ حَتَّى تَسَلَّلَ مِنَ ٱلْجَامِعِ وَمَضَى فِي ٱلزُّقَاقِ ٱلضَّيِّقِ وَقَدْ لَفَّ يَدَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَجَعَلَهَا تُطْبِقُ عَلَى شَقِيقَتِهَا فِي ضِيقٍ وَتَبَرُّمٍ ، وَأَحْنَى صَدْرَهُ فِي تَزَمُّتٍ شَدِيدٍ وَكَأَنَّ أَكْتَافَهُ تَنُوءُ بِحَمْلِ (ٱلْبُرْنُسِ) ٱلثَّقِيلِ ٱلَّذِي غَزَلَهُ بِيَدِهِ مِنْ صُوفِ ٱلنَّعْجَةِ .

وَٱلَّذِي بَلْبَلَ [2] كِيَانَهُ ، أَنَّهُ مَا أَنْ دَخَلَ إِلَى ٱلزُّقَاقِ حَتَّى ضَاعَتْ مِنْهُ سَاقَاهُ ٱلْغَلِيظَتَانِ ٱلْمَنْفُوخَتَانِ، وَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ ٱلْكَبِيرَتَيْنِ ٱلْمُفَلْطَحَتَيْنِ ٱللَّتَيْنِ تَشَقَّقَ أَسْفَلُهُمَا حَتَّى كَادَ ٱلشَّقُّ يَبْلَعُ ٱلْمِسْمَارَ فَلاَ يَبِينُ لَهُ رَأْسٌ .

اِرْتَبَكَ ٱلرَّجُلُ رَغْمَ ٱلْقَسْوَةِ ٱلَّتِي ضَمَّ بِهَا نَفْسَهُ لأَنَّ ٱلزُّقَاقَ كَانَ يَمْتَلِئُ بِصِغَارٍ كَٱلْفِرَاخِ يَلْعَبُونَ وَيَصْرَخُونَ ، وَيَتَسَرَّبُونَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، وَيَسْرَحُ وَاحِدٌ مِنْ بَعِيدٍ وَيَنْطَحُهُ ، وَيَشُدُّ آخَرُ (ٱلْبُرْنُسَ) مِنْ وَرَائِهِ ، وَيُصِيبُهُ شَقِيٌّ بِصَفِيحَةٍ [3] فِي أَصْبَعِ قَدَمِهِ ٱلْكَبِيرَةِ ٱلنَّافِرَةِ عَنْ بَقِيَّةِ أَصَابِعِهِ .

وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِزَاءَ هَذَا كُلِّهِ إِلاَّ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ لِسَانَهُ ، فَيُخَرِّبَ ٱلْبُيُوتَ فَوْقَ رُؤُوسِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ ، وَيَلْعَنُ ٱلْقَابِلَةَ ٱلَّتِي شَدَّتْ رِجْلَ ٱلْوَاحِدِ مِنْهُمْ .

وَيَرْتَعِشُ عَبْدُ ٱلْكَرِيمِ بِٱلْحَنَقِ [4] وَهُوَ يَسُبُّ وَيَبْصُقُ عَلَى ٱلْبَلَدِ ٱلْخَائِبِ ٱلَّذِي أَصْبَحَ كُلُّهُ صِغَارًا فِي صِغَارٍ . وَيَتَسَاءَلُ وَ(بُرْنُسُهُ) يَهْتَزُّ ، عَنْ مَعْمَلِ ٱلتَّفْرِيخِ ٱلَّذِي يَتَأَتَّى مِنْهُ مَنْ هُمْ أَكْثَرُ مِنْ شَعْرِ رَأْسِهِ . وَيَزْدَرِدُ

غَيْظَهُ وَهُوَ يُطَمْئِنُ نَفْسَهُ أَنَّ ٱلْغَدَ كَفِيلٌ بِهِمْ ، وَأَنَّ ٱلْجُوعَ لاَ مَحَالَةَ قَاتِلُهُمْ، وَ(ٱلْكُورِيرَهْ) سُرْعَانَ مَا تَجِيءُ فَتُطِيحُ بِنِصْفِهِمْ

وَتَشَهَّدَ عَبْدُ ٱلْكَرِيمِ وَهُوَ يَشْعُرُ بِرَاحَةٍ حَقِيقِيَّةٍ حِينَ خَلَّفَ ٱلنَّحْلَ وَرَاءَهُ فِي ٱلزُّقَاقِ وَأَصْبَحَ يُشْرِفُ عَلَى ٱلْوَاسِعَةِ ٱلَّتِي تُحِيطُ بِٱلْبِرْكَةِ فِي وَسَطِ ٱلْبَلَدِ .

وَٱنْبَسَطَ ٱلظَّلاَمُ ٱلْكَثِيرُ أَمَامَهُ حَيْثُ ٱلْبُيُوتُ ٱلْمُنْخَفِضَةُ ٱلدَّاكِنَةُ، وَتَرْقُدُ أَمَامَهَا أَكْوَامُ ٱلْقُمَامَةِ كَٱلْقُبُورِ ٱلَّتِي طَالَ عَلَيْهَا ٱلإِهْمَالُ، وَلاَ شَيْءَ بَقِيَ يَدُلُّ عَلَى ٱلأَحْيَاءِ ٱلْمُكَدَّسِينَ تَحْتَ ٱلسُّقُوفِ إِلاَّ مَصَابِيحَ مُتَنَاثِرَةً فِي ٱلدَّائِرَةِ ٱلْمُظْلِمَةِ ٱلْوَاسِعَةِ وَكَأَنَّهَا عُيُونُ جِنِّيَاتٍ رَابِضَاتٍ يَقْدَحُ مِنْهَا ٱلشَّرَرُ .

وَتَشَتَّتَ بَصَرُ عَبْدِ ٱلْكَرِيمِ فِي ٱلظَّلاَمِ وَدَارَ بِرَأْسِهِ هُنَا وَهُنَاكَ ، وَرَائِحَةُ ٱلْمَاءِ ٱلصَّدِي فِي ٱلْمُسْتَنْقَعِ تَتَلَوَّى مَعَ تَقَوُّسِ خَيَاشِيمِهِ . وَفِي ٱلْحَالِ شَعُرَ بِٱلضِّيقِ يَكْتُمُ فَتَحَاتِ أَنْفِهِ ، فَشَدَّدَ مِنْ قَبْضَةِ يَدِهِ ، وَزَادَ ٱنْحِنَاءَهُ وَكَادَ يَرْمِي (بِٱلْبُرْنُسِ) عَلَى حَافَةِ ٱلْبِرْكَةِ .

وَكَانَ مَا ضَايَقَهُ وَكَتَمَ أَنْفَاسَهُ شَخِيرُ ٱلأَرَانِبِ أَهْلِ بَلَدِهِ ، وَهُوَ يَمْتَدُّ مَعَ ٱنْتِشَارِ ٱلظَّلاَمِ .

قَطَعَ ٱلْبَاقِي مِنَ ٱلْوَاسِعَةِ فِي ٱسْتِسْلاَمٍ وَأَخِيرًا ٱسْتَقَرَّ فِي وَسَطِ دَارِهِ ، وَقَدْ أَغْلَقَ ٱلْبَابَ بِٱلضَّبَّةِ [5] وَرَاءَهُ . وَتَخَطَّى أَوْلاَدَهُ وَهُوَ يَزْحَفُ فِي ٱلظَّلاَمِ عَلَى قَبْوَةِ ٱلْفُرْنِ حَيْثُ يَتَنَاثَرُونَ . وَمَصْمَصَ بِشَفَتَيْهِ وَهُوَ يَئِنُّ مِنْهُمْ وَمِنَ ٱلظَّلاَمِ ، وَيَعْتِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ عَلَى ٱلَّتِي مَنَحَتْهُ سِتَّةَ بُطُونٍ تَأْكُلُ ٱلطُّوبَ .

* * *

بَعْدَ شُهُورٍ كَانَتِ ٱلنِّسَاءُ كَٱلْعَادَةِ يُبَشِّرْنَهُ بِوَلَدٍ جَدِيدٍ ، وَكَانَ هُوَ يُعَزِّي نَفْسَهُ عَلَى ٱلسَّابِعِ ٱلَّذِي جَاءَ فِي آخِرِ ٱلزَّمَانِ ، وَٱلَّذِي لَنْ يَمْلأَ طُوبُ ٱلأَرْضِ بَطْنَهُ هُوَ ٱلآخَرُ ..

* * *

وَبَعْدَ شُهُورٍ وَسَنَوَاتٍ كَانَ عَبْدُ ٱلْكَرِيمِ لاَ يَزَالُ يَتَعَثَّرُ فِي جَيْشِ ٱلنَّمْلِ مِنَ ٱلصِّغَارِ ٱلَّذِينَ يَزْحَمُونَ طَرِيقَهُ فِي ذَهَابِهِ وَأَوْبَتِهِ وَكَانَ لاَ يَزَالُ يَتَسَاءَلُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَيْضًا ، وَيَدَاهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، وَأَنْفُهُ يُشَمْشِمُ حَوْلَهُ ، عَنِ ٱلْفَتْحَةِ ٱلَّتِي فِي ٱلأَرْضِ أَوْ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلَّتِي مِنْهَا يَجِيئُونَ !

عن يوسف إدريس : أرخص ليالي

عيون المعاصرة : مختارات قصصيّة

دار الجنوب للنّشر، تونس 1988

ص ص 25ـــ30

التّعريف بالكاتب :

يوسف إدريس : قصّاص مصريّ معاصر ترك مهنة الطّبّ ليشتغل بالصّحافة والأدب. هو من أشهر كتّاب القصّة القصيرة في البلاد العربيّة .

له مجموعات قصصيّة كثيرة منها « بيت من لحم » ـــ « النّداهة » ـــ « حادثة شرف » .

الشّـرح :

(1) العِشاء : هي الصّلاة التي بعد صلاة المغرب ووقتها حين يغيب الشّفق . أمّا العَشاء فهو الطّعام الذي يتناوله الإنسان في ذلك الوقت .

(2) بَلْبَلَ : فعل رباعيّ ــ بَلْبَلَ فُلاَنٌ قَوْمَه : جعلهم متفرّقي الآراء .
اَلْبَلْبَلَةُ : شدّة الهمّ والوَسْوَاسِ .

(3) صَفِيحَةٌ : حديدة عريضة .

(4) اَلْحَنَقُ : شدّة الْغَيْظِ .
حَنِقَ عليه يحنَق حَنَقًا : اغتاظ غيضا شديدا .

(5) الضَّبَّةُ : حديدة عريضة يُغلق بها الباب .

الأسئلـة :

1 ــ ماذا وصف الكاتب من شخصيّة « عبد الكريم » ؟ وما هي الدّلالات التي تستخلصها من وصفه له ؟

2 ــ ما هي الحيوانات التي استعارها عبد الكريم للحديث عن الصّغار في حارته ووالديهم ؟ ولماذا استعار الحيوانات تلك ؟

3 ــ ما هي ظروف عيش عائلة « عبد الكريم » وإلام أرجع عبد الكريم وضعه ؟

4 ــ ما هو موقف « عبد الكريم » من كثرة النّسل ؟ وما الحلّ في ذلك حسب رأيه ؟

5 ــ ما هو رأيك في شخصيّة عبد الكريم ؟

6 ــ بُني النصّ بناء دائريّا . بيّن ذلك واذكر دلالات ذلك البناء .

التّعريف بالكاتب :

عبد الرّحمان بن خلدون مؤرّخ عربي شهير ولد بتونس سنة 1332م وتوفّي بمصر سنة 1406م . درس المنطق والفقه . شغل خططا سامية منها الكتابة والسّفارة والقضاء والتّدريس .

ألّف في التّاريخ كتابا اشتهرت منه « المقدّمة » أيما اشتهار وفي هذه المقدّمة تناول ابن خلدون مسائل نظريّة تتعلّق بالتّاريخ والاجتماع البشري .

ولقد نُقِلت « المقدّمة » ــ وهي من إضافات العرب إلى الفكر الإنساني ــ إلى لغات عديدة .

الشّــرح :

(1) الالتماس : مصدر ــ اِلْتَمَسَ يَلْتَمِسُ اِلْتِمَاسًا أي طَلَبَ .

(2) فِطْرَته : طبيعة الإنسان الأولى .

(3) قاصرة : صفة مشبّهة ــ قَصَر عن الأمر يقصُر قُصُورًا أي تركه عن عجز .

الأسئلــة :

1 ــ إلام أرجع ابن خلدون حاجة الإنسان إلى الإنسان ؟

2 ــ لِمَ اهتمّ ابن خلدون في التّدليل على فكرته بما يستوجبه الغذاء من أعمال؟

3 ــ أشار ابن خلدون إلى ضرورة أن يتقاسم النّاس الأعمال. بيّن ذلك .

4 ــ إذا كان التّعاون البشري ضروريّا لتحصيل قوت بسيط فما القول فيه اليوم وقد تعقّدت متطلّبات الحياة وتضاعفت ضروريّاتها ؟ ماذا يفرض هذا التّعاون على البشر ؟

119 ــ ٱلْحَمَامَةُ ٱلْمُطَوَّقَةُ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ ٱلْعَاقِلَ لاَ يَعْدِلُ بِٱلإِخْوَانِ شَيْئًا فَٱلإِخْوَانُ هُمُ ٱلأَعْوَانُ عَلَى ٱلْخَيْرِ كُلِّهِ وَٱلْمُؤَاسُونَ (1) عِنْدَمَا يَنُوبُ (2) مِنَ ٱلْمَكْرُوهِ . وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَثَلُ ٱلْحَمَامَةِ ٱلْمُطَوَّقَةِ وَٱلْجُرَذِ (3) ... قَالَ ٱلْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟!

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ سَكَاوَنْدَجِينَ عِنْدَ مَدِينَةِ دَاهِرَ مَكَانٌ كَثِيرُ ٱلصَّيْدِ يَنْتَابُهُ ٱلصَّيَّادُونَ وَكَانَ فِي ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ شَجَرَةٌ كَثِيرَةُ ٱلأَغْصَانِ مُلْتَفَّةُ ٱلْوَرَقِ فِيهَا وَكْرُ غُرَابٍ .

فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي وَكْرِهِ إِذْ بَصُرَ بِصَيَّادٍ قَبِيحِ ٱلْمَنْظَرِ سَيِّءِ ٱلْخَلْقِ عَلَى عَاتِقِهِ شَبَكَةٌ وَفِي يَدِهِ عَصًا ... فَذُعِرَ مِنْهُ ٱلْغُرَابُ وَقَالَ : لَقَدْ سَاقَ هَذَا ٱلرَّجُلُ إِلَى هَذَا ٱلْمَكَانِ إِمَّا حَيْنِي (4) وَإِمَّا حَيْنُ غَيْرِي . فَلأَثْبُتَنَّ مَكَانِي حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ .

ثُمَّ إِنَّ ٱلصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ وَنَثَرَ عَلَيْهَا ٱلْحَبَّ وَكَمِنَ قَرِيبًا مِنْهَا فَلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ قَلِيلاً حَتَّى مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا ٱلْمُطَوَّقَةُ وَكَانَتْ سَيِّدَةَ ٱلْحَمَامِ وَمَعَهَا حَمَامٌ كَثِيرٌ فَعَمِيَتْ هِيَ وَأَصْحَابُهَا عَنِ ٱلشَّرَكِ . فَوَقَعْنَ عَلَى ٱلْحَبِّ يَلْتَقِطْنَهُ فَعَلِقْنَ فِي ٱلشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ . وَأَقْبَلَ ٱلصَّيَّادُ فَرِحًا مَسْرُورًا فَجَعَلَتْ كُلُّ حَمَامَةٍ تَضْطَرِبُ فِي حَبَائِلِهَا (5) وَتَلْتَمِسُ ٱلْخَلاَصَ لِنَفْسِهَا .

قَالَتِ ٱلْمُطَوَّقَةُ : لاَ تَتَخَاذَلْنَ فِي ٱلْمُعَالَجَةِ وَلاَ تَكُنْ نَفْسُ إِحْدَاكُنَّ أَهَمَّ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِ صَاحِبَتِهَا وَلَكِنْ نَتَعَاوَنُ جَمِيعًا فَنَقْلَعُ ٱلشَّبَكَةَ فَيَنْجُو بَعْضُنَا بِبَعْضٍ . فَقَلَعْنَ ٱلشَّبَكَةَ جَمِيعُهُنَّ بِتَعَاوُنِهِنَّ وَعَلَوْنَ فِي ٱلْجَوِّ . وَلَمْ يَقْطَعِ

ٱلصَّيَّادُ رَجَاءَهُ مِنْهُنَّ وَظَنَّ أَنَّهُنَّ لاَ يُجَاوِزْنَ إِلاَّ قَرِيبًا وَيَقَعْنَ .

فَقَالَ ٱلْغُرَابُ : لأَتْبَعُهُنَّ وَأَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنْهُنَّ . فَٱلْتَفَتَتِ ٱلْمُطَوَّقَةُ فَرَأَتِ ٱلصَّيَّادَ يَتْبَعُهُنَّ فَقَالَتْ لِلْحَمَامِ : هَذَا ٱلصَّيَّادُ مُجِدٌّ فِي طَلَبِكُنَّ . فَإِنْ نَحْنُ أَخَذْنَا فِي ٱلْفَضَاءِ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَلَمْ يَزَلْ يَتْبَعُنَا وَإِنْ نَحْنُ تَوَجَّهْنَا إِلَى ٱلْعُمْرَانِ خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَٱنْصَرَفَ وَبِمَكَانِ كَذَا جُرَذٌ هُوَ أَخٌ لِي . فَلَوِ ٱنْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَطَعَ عَنَّا هَذَا ٱلشَّرَكَ . فَفَعَلْنَ ذَلِكَ وَأَيِسَ ٱلصَّيَّادُ مِنْهُنَّ وَٱنْصَرَفَ وَتَبِعَهُنَّ ٱلْغُرَابُ .

فَلَمَّا ٱنْتَهَتِ ٱلْحَمَامَةُ ٱلْمُطَوَّقَةُ إِلَى ٱلْجُرَذِ أَمَرَتِ ٱلْحَمَامَ أَنْ يَسْقُطْنَ فَوَقَعْنَ ... ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرْضِ ٱلْعُقْدِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْمُطَوَّقَةُ فَقَالَتْ لَهُ ٱلْمُطَوَّقَةُ : اِبْدَأْ بِقَطْعِ عُقَدِ سَائِرِ (6) ٱلْحَمَامِ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَقْبِلْ عَلَى عَقْدِي وَأَعَادَتْ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِرَارًا وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلَ وَكَرَّرَتْ قَالَ لَهَا : لَقَدْ كَرَّرْتِ ٱلْقَوْلَ عَلَيَّ كَأَنَّكِ لَيْسَ لَكِ فِي نَفْسِكِ حَاجَةٌ وَلاَ لَكِ عَلَيْهَا شَفَقَةٌ وَلاَ تَرْعَيْنَ لَهَا حَقًّا .

قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِقَطْعِ عَقْدِي أَنْ تَمَلَّ وَتَكْسَلَ عَنْ قَطْعِ مَا بَقِيَ وَعَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْ بَدَأْتَ بِهِنَّ قَبْلِي وَكُنْتُ أَنَا ٱلأَخِيرَةَ لَمْ تَرْضَ ــ وَإِنْ أَدْرَكَكَ ٱلْفُتُورُ ــ أَنْ أَبْقَى فِي ٱلشَّرَكِ . قَالَ ٱلْجُرَذُ : هَذَا مِمَّا يَزِيدُ ٱلرَّغْبَةَ وَٱلْمَوَدَّةَ فِيكِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرْضِ ٱلشَّبَكَةِ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا فَٱنْطَلَقَتِ ٱلْمُطَوَّقَةُ وَحَمَامُهَا مَعَهَا .

عن ابن المقفّع : كليلة ودمنة

تقديم البشير المجدوب

دار تركي للنّشر، تونس 1989

ص ص 157ــ159

التّعريف بالكاتب :

آنظر ترجمته في نصّ « القائد الحربيّ والمنجّم والصّانع » .

الشّـرح :

(1) ٱلْمُؤَاسُونَ : اِسم فاعل مفرده ٱلْمُؤَاسي . آسَى فلانٌ فلانا : عزّاه وسلاّه عن حزنه .

(2) يَنُوبُ : نَاب الأمرُ يَنُوبُ نَوْبًا أي نزل .
النّوائب مفردها نائبة وهي ما ينوب الإنسان أي ينزِل به من المهمّات والمصائب.

(3) ٱلْجُرَذُ : الذّكر الكبير من الفأر ــ جمعه جِرْذانٌ .

(4) حَيْنِي : ٱلْحَيْنُ : ٱلْهَلاَكُ . حان الرّجل : هلَك .

(5) حَبَائل : اِسم مفرده حِبَالَةٌ وهي شَرَكٌ يُصاد به .

(6) سائر : اختلف أصحاب المعاجم في تفسير كلمة « سائر » في مثل السّياق الذي جاءت فيه بالنّصّ فبعضهم يذهب إلى أنّها تعني (جميع) وبعضَهم يذهب إلى أنّها تعني (باقي) .

الأسئلـة :

1 ــ ما هي علاقة الفقرة الأولى من النّصّ بما جاء بعدها ؟

2 ــ ما هي وظيفة الغراب في هذه الحكاية ؟ دعّم جوابك .

3 ــ هل تعتبر أنّ وجود الحمامة المطوّقة كان ضروريّا لنجاة الحمام ؟ دعّم جوابك بحجج .

4 ــ كان الحمام في حاجة إلى الجرذ لاستكمال الخلاص . فماذا تستخلص من ذلك ؟

5 ــ ما هي الخصال التي ينبغي أن تتوفّر في القائد حسب ما جاء في النّصّ ؟

120 ـ دِرْهَـمُ ٱلسُّـلِّ

« غَدًا ، أُرِيدُ أَنْ يُحْضِرَ كُلٌّ مِنْكُمْ دِرْهَمًا وَاحِدًا فَقَطْ لِيَأْخُذَ مِنْ هَذِهِ ٱلطَّوَابِعِ ٱلَّتِي أَمَامِي طَابَعًا ... مُشَارَكَةً مِنْهُ فِي مُكَافَحَةِ دَاءِ ٱلسُّلِّ ... لأَنَّهُ بِفَضْلِ دِرْهَمِكَ وَدِرْهَمِ زَمِيلِكَ ... وَدَرَاهِمَ أُخْرَى مِنْ أَمَاكِنَ أُخْرَى ... سَنَتَمَكَّنُ مِنْ جَمْعِ مَالٍ كَثِيرٍ يَتَدَاوَى بِهِ مَرْضَانَا بِٱلسُّلِّ ... أَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَرَضَ ٱلسُّلِّ مَرَضٌ خَطِيرٌ جِدًّا ؟ وَأَنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ مَرِيضٍ إِلَى صَحِيحٍ سَلِيمٍ؟ إِنَّهُ يُهَدِّدُنَا بِٱلْمَوْتِ ... » .

كَانَ بِالإِمْكَانِ ٱلْقَوْلُ بِأَنَّ جَمِيعَ ٱلْوُجُوهِ بَدَتْ عَلَيْهَا عَلاَمَةٌ وَاحِدَةٌ ، عَلاَمَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ وَمِيضِ [1] ٱلْفَرْحَةِ لَوْلاَ وُجُودُ وَجْهٍ وَاحِدٍ فَقَطْ بَدَتْ عَلَيْهِ عَلاَمَةٌ مُخَالِفَةٌ لِعَلاَمَةِ ٱلْبَاقِينَ ... كَانَ ٱلْوَجْهُ صَغِيرًا ... صَغِيرًا جِدًّا... وَجْهُ « غَرِيبٍ » ... وَهَذَا ٱسْمُ صَاحِبِهِ ... وَلَسْتُ أَدْرِي لِمَاذَا سُمِّيَ بِالذَّاتِ بِهَذَا الإِسْمِ .

حَقًّا كَانَ يَبْدُو غَرِيبًا بَيْنَ بَاقِي ٱلتَّلاَمِيذِ ... قَلِيلُونَ هُمْ أُولَئِكَ ٱلتَّلاَمِيذُ ٱلَّذِينَ يَتَحَدَّثُونَ إِلَيْهِ ... وَقَلِيلَةٌ هِيَ ٱلْمَرَّاتُ ٱلَّتِي يُحَدِّثُهُمْ فِيهَا ...

مَا كَادَ ٱلْمُعَلِّمُ يُفْرِغُ فَاهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْكَلِمَاتِ حَتَّى كَانَتْ دَقَّاتُ ٱلْجَرَسِ تَرِنُّ إِيذَانًا [2] بِٱنْقِضَاءِ يَوْمٍ آخَرَ مِنْ أَيَّامِ ٱلدِّرَاسَةِ .

* * *

غَرِيبُ : طَلَبَ مِنَّا ٱلْمُعَلِّمُ أَنْ نُحْضِرَ غَدًا دِرْهَمًا وَاحِدًا فَقَطْ ... لِنُشَارِكَ فِي مُكَافَحَةِ دَاءِ ٱلسُّلِّ ...

ٱلأَبُ : يَبْدُو أَنَّكَ جُنِنْتَ ... دَائِمًا أَقُولُ لَكَ ٱتْرُكِ ٱلْمُعَلِّمَ يَقُولُ مَا يَشَاءُ... إِنَّهُ لاَ يُخَاطِبُكَ ... لاَ يُخَاطِبُ أَمْثَالَكَ . إِنَّهُ يُخَاطِبُ غَيْرَكَ ... إِنَّكَ فَقِيرٌ ... إِنِّي فَقِيرٌ ... إِنِّي مُحْتَاجٌ إِلَى دِرْهَمٍ مِنْهُ ... ٱطْلُبْهُ يُعْطِكَ دِرْهَمًا ... مُشَارَكَةً مِنْهُ فِي مُكَافَحَةِ فَقْرِي... ٱطْلُبْهُ .

غَرِيبُ : أَبِي ... أُمِّي مَرِيضَةٌ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ بِهَذَا ٱلْمَرَضِ ... إِنَّهُ مَرَضٌ يَنْتَقِلُ مِنْ مَرِيضٍ إِلَى صَحِيحٍ ... إِنَّهُ يُهَدِّدُنَا بِٱلْمَوْتِ .

ٱلأَبُ : قُلْتُ لَكَ مِرَارًا ، حَذَارِ أَنْ تُحَدِّثَنِي هَكَذَا ... أَنَا لاَ أُرِيدُ أَنْ أُشَارِكَ فِي مُكَافَحَةِ أَيِّ شَيْءٍ ... إِنِّي فَقِيرٌ ... أَلاَ تَعْلَمُ هَذَا ؟

غَرِيبُ : أَعْلَمُ ذَلِكَ ... وَلَكِنْ بِدِرْهَمِي وَدَرَاهِمَ أُخْرَى مِنْ أَمَاكِنَ أُخْرَى سَتُشْفَى أُمِّي مِنْ هَذَا ٱلْمَرَضِ وَسَيُشْفَى مَعَهَا آخَرُونَ ... أَبِي .

ٱلأَبُ : اِطْمَئِنَّ ... إِنِّي لَنْ أُعْطِيَكَ وَلَوْ فِرَنْكًا ...

غَرِيبُ : أَبِي ... أَرْجُوكَ ... سَتُشْفَى ... أُمِّي مَرِيضَةٌ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ بِهَذَا ٱلْمَرَضِ ...

ٱلأَبُ : يَكْفِيكَ ... لَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا ...

* * *

ٱلأَبُ : أَنَا أَبُو غَرِيبْ ... جِئْتُ أُنْبِئُكَ ، سَيِّدِي ٱلْمُعَلِّمُ ، ضَيَاعَ كِتَابِهِ ٱلْمَدْرَسِيِّ ... إِنِّي أَرْغَمْتُهُ ٱلْبَارِحَةَ وَأَوَّلَ ٱلْبَارِحَةِ أَنْ يَقُولَ ٱلْحَقِيقَةَ وَلَكِنَّهُ ٱدَّعَى أَنَّ ٱلْكِتَابَ ضَاعَ مِنْهُ ... وَلَيْسَ فِي إِمْكَانِي أَنْ أُعَوِّضَ ٱلْمَدْرَسَةَ عَنْهُ ثَمَنًا .

ٱلْمُعَلِّمُ : غَرِيبُ ... غَرِيبُ ... تَعَالَ .

غَرِيبُ : حَاضِرٌ .

ٱلْمُعَلِّمُ : أَيْنَ كِتَابُكَ ؟

غَرِيبُ : ضَاعَ مِنِّي يَا سَيِّدِي .

ٱلْمُعَلِّمُ : كَيْفَ ضَاعَ ؟

غَرِيبُ : ...

ٱلْمُعَلِّمُ : تَكَلَّمْ كَيْفَ ضَاعَ مِنْكَ ؟

غَرِيبُ : ...

ٱلْمُعَلِّمُ : قُلِ ٱلْحَقِيقَةَ وَلاَ تَخَفْ ... سَأُعْطِيكَ كِتَابًا آخَرَ ..

غَرِيبُ : بِعْتُهُ لأُسَاهِمَ فِي مُكَافَحَةِ دَاءِ ٱلسُّلِّ ...

ٱلْمُعَلِّمُ : لاَ تَبْكِ !

ٱلأَبُ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ ...

جارك أحمد

عن مجلة الآداب البيروتية

جويلية، سنة 1963، ص 42

التعريف بالكاتب :

جارك أحمد : أديب مغربي معاصر .

الشّـرح :

(1) الْوَمِيضُ : اللّمعان الخفيف : من وَمَضَ يَمِضُ وَمْضًا ووَمَضَانًا وَوَمِيضًا .

(2) الإيذان : مصدر آذن بالشّـيء ، يؤذِنُ : أعْلَمَ به .

الأسئلـة :

1 ــ إلى أيّ شيء يدعو المعلّم ؟ كيف يتسنّى للفرد أن يساهم في مكافحة داء السلّ بدرهم واحد ؟

2 ــ إرتسمت على وجه التّلاميذ علامة قريبة من وميض الفرحة . لماذا ؟ ولماذا خالفهم غريب في ذلك ؟

3 ــ في الحوار الذي دار بين غريب وأبيه تلمس إصرارا من الأب على عدم إعطاء الدّرهم وإلحاحا من الابن على نيله منه . فكيف تفسّر هذا وذلك ؟

4 ــ ماذا فعل غريب لكي يساهم في مكافحة داء السّلّ ؟ هل أنّ ما فعل يبرّر غايته في نظرك ؟

5 ــ أيّ شعور آنتاب كلاّ من المعلّم والأب عندما علما بقصّة الكتاب ؟

121 ــ تَضَامُــنْ

هَكَذَا بَدَأَ ٱلشِّتَاءُ فِي هَذِهِ ٱلسَّنَةِ وَكَانَ كُلُّ يَوْمٍ يَأْتِي دُونَ مَطَرٍ يَحْمِلُ مَعَهُ مَزِيدًا مِنَ ٱلأَسَى لِلَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى ٱلْحُقُولِ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِحُزْنٍ . لَقَدْ تَحَجَّرَتِ ٱلتُّرْبَةُ مِنَ ٱلْبُرُودَةِ وَعَبَثَتْ بِهَا ٱلْعَصَافِيرُ ٱلَّتِي تَأْتِي بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ وَتَخْلُقُ فِي ٱلْجَوِّ دَوِيًّا لاَ يَنْقَطِعُ مِنَ ٱلْفَجْرِ إِلَى ٱلْغُرُوبِ . وَكَانَتْ هَذِهِ ٱلْعَصَافِيرُ لاَ تَرْهَبُ ٱلْفَزَّاعَاتِ ٱلسَّوْدَاءَ ٱلَّتِي تُنْصَبُ فِي أَمَاكِنَ عَدِيدَةٍ مِنَ ٱلْحُقُولِ .

إِنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ يَحْمِلُ نَذِيرًا [1] شَدِيدًا وَيُضِيفُ خَوْفًا جَدِيدًا فِي قُلُوبِ ٱلرِّجَالِ وَهَمًّا ثَقِيلاً أَقْرَبَ إِلَى ٱلْحُزْنِ فِي قُلُوبِ ٱلنِّسَاءِ . أَمَّا حِينَ يَعْصِفُ ٱلْجَوُّ وَتُعَرْبِدُ ٱلرِّيَاحُ ٱلْبَارِدَةُ فَإِنَّ ٱنْتِظَارًا مُمِضًّا [2] يُشْبِهُ حَدَّ ٱلْمُوسَى يُسَيْطِرُ عَلَى ٱلْبَلْدَةِ « هَلْ سَتَحْمِلُ هَذِهِ ٱلرِّيَاحُ ٱلْمَطَرَ ؟ هَلْ سَيَنْبُتُ ٱلزَّرْعُ بَعْدَ هَذَا ٱلْجَفَافِ ٱلطَّوِيلِ ؟ وَإِذَا جَاءَتْ قَطْرَةٌ أَوْ قَطْرَتَانِ فَمَنْ يَضْمَنُ ٱلْمَطَرَ فِي أَذَارَ وَنَيْسَانَ ؟ » ...

بَدَأَتْ إِذَنْ ٱلأَيَّامُ ٱلصَّعْبَةُ ٱلْقَاسِيَةُ . وَمِثْلَمَا ٱخْتَارَتِ ٱلطِّيبَةُ [3] أَنْ تَكُونَ فِي هَذَا ٱلْمَوْقِعِ مِنَ ٱلْعَالَمِ ، عَلَى أَطْرَافِ ٱلْبَادِيَةِ ، فَقَدِ ٱخْتَارَتِ ٱلصَّيِّدَ [4] وَٱلشَّجَاعَةَ وَعَرَفَتْ كَيْفَ تَتَحَمَّلُ كُلَّ مَا يُوَاجِهُهَا مِنْ مَكَارِهَ وَصِعَابٍ. وَإِذَا كَانَتِ ٱلْمَجَاعَاتُ تُفَرِّقُ عَادَةً بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَتَجْعَلُ كُلَّ ٱنْسَانٍ يَبْحَثُ لِنَفْسِهِ عَنْ طَرِيقٍ يَضْمَنُ بِهَا خُبْزَهُ فَإِنَّ ٱلْمَجَاعَاتِ وَٱلأَحْزَانَ تُقَرِّبُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلطِّيبَةِ وَتَجْعَلُهُمْ أُسْرَةً وَاحِدَةً وَجَسَدًا وَاحِدًا ... وَبِهَذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ ٱلْفَذَّةِ ٱلْمَلِيئَةِ بِٱلْبُطُولَةِ ٱلصَّامِتَةِ لَمْ يُتْرَكْ أَحَدٌ يَمُوتُ دُونَ أَنْ تُقَدَّمَ إِلَيْهِ أَقْصَى ٱلْمَعُونَاتِ وَأَغْلَبَ ٱلأَحْيَانِ بِشَكْلٍ خَفِيٍّ لاَ يُدْرِكُهُ أَحَدٌ ... فَٱلأُسْرَةُ ٱلْكَبِيرَةُ

ٱلْعَدَدِ وَٱلَّتِي لاَ تَقْوَى عَلَى مُوَاجَهَةِ ٱلْحَيَاةِ كَانَتْ تَفْتَحُ أَبْوَابَ بُيُوتِهَا فِي سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ ٱللَّيْلِ أَوِ ٱلنَّهَارِ فَيُرْمَى دَاخِلَهَا بِكَمِيَّةٍ مِنَ ٱلْحِنْطَةِ أَوْ قَلِيلٍ مِنَ ٱلسُّكَّرِ وَٱلشَّايِ وَٱلصَّابُونِ ... وَٱلنَّاسُ ٱلَّذِينَ فَقَدُوا كُلَّ مَا يَمْلِكُونَ ثَمَنًا لِلْبَذَارِ ثُمَّ ثَمَنًا لِبَعْضِ ٱلأَشْيَاءِ ٱلَّتِي ٱشْتَرَوْهَا مِنَ ٱلْمَدِينَةِ ، كَانَ هَؤُلاَءِ يَجِدُونَ مُسَاعَدَةً لاَ تَتَيَسَّرُ لِلَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ قُدْرَةً مِنْهُمْ ... حَتَّى ٱلْمُقْعَدُونَ وَذَوُو ٱلْعَاهَاتِ تَكَفَّلَ بِهِمْ عَدَدٌ مِنَ ٱلشَّبَابِ وَكَانُوا يُقَدِّمُونَ لَهُمُ ٱلأَكْلَ ٱلْمَطْبُوخَ وَغَالِبًا مَا يَكُونُ حِسَاءً مِنَ ٱلطَّيْرِ أَوِ ٱلْهَرِيسَةِ . أَمَّا ٱلنِّسَاءُ ٱلأَرَامِلُ فَقَدْ كُنَّ فِي هَذِهِ ٱلْفَتْرَةِ مَوْضِعَ رِعَايَةٍ كَبِيرَةٍ ...

وَٱلأَبْنَاءُ فِي ٱلْمُدُنِ ٱلْبَعِيدَةِ لَمْ يَنْتَظِرُوا صَرَخَاتِ ٱلاسْتِغَاثَةِ وَإِنَّمَا بَادَرُوا [5] إِلَى تَقْدِيمِ كُلِّ مَا يَسْتَطِيعُونَ ... بَعَثُوا بِكَمِّيَاتٍ مِنَ ٱلْحِنْطَةِ وَٱلشَّعِيرِ وَبَعَثُوا بِٱلْعَدَسِ وَٱلسُّكَّرِ وَٱلشَّايِ وَٱلصَّابُونِ ... وَبَعَثُوا أَيْضًا يَطْلُبُونَ أَنْ يَأْتِيَ عَدَدٌ مِنَ ٱلأَهْلِ وَٱلأَصْدِقَاءِ لِيَنْزِلُوا عِنْدَهُمْ فِي ٱلْمَدِينَةِ .

بَالَغَ ٱلأَبْنَاءُ أَوَّلَ ٱلأَمْرِ فِي إِرْسَالِ كُلِّ مَا يَسْتَطِيعُونَ ثُمَّ بَدَأُوا يَتَوَافَدُونَ إِلَى ٱلْبَلْدَةِ لِلزِّيَارَةِ أَوَّلَ ٱلأَمْرِ ثُمَّ لِلْمُشَارَكَةِ بِطَرِيقَةٍ مَا مِنْ أَجْلِ ٱلْوُقُوفِ فِي وَجْهِ هَذَا ٱلْكَرْبِ ٱلْقَاسِي لَعَلَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ عَمَلَ شَيْءٍ .

عن عبد الرّحمان منيف : النّهايات

دار الآداب، ط. 2، بيروت 1980

ص ص 36ـــ48

التّعريف بالكاتب :

عبد الرّحمان منيف : قصّاص أردني معاصر . درس ببغداد ثم بيوغسلافيا حيث تخرّج خبيرا في النّفط .

من أشهر رواياته : « الأشجار واغتيال مرزوق » ــ « النّهايات » ــ « مدن الملح » ــ « شرق المتوسّط » .

الشّــرح :

(1) النّذير : اِسم يفيد الإنذار أي التّحذير .

(2) مُمِضًّا : اِسم فاعل من فعل أَمَضَّ . أَمَضَّنِي الجرحُ يُمِضُّنِي إِمْضَاضًا أي آلَمَنِي وَأَوْجَعَنِي .

(3) الطّيبة : هو اِسم القرية التي تدور فيها أحداث الرّواية .

(4) وصف الكاتب في الصّفحات السّابقة اندفاع أهل الطّيبة إلى الصّيد لافتقادهم الغذاء .

(5) بَادَرُوا : بَادَرَ فلان إلى القيام بعمل أي أسرع إلى القيام به من تِلقاء نفسه دون أن يُطلبَ ذلك منه .

الأسئلــة :

1 ــ اِستخرج العبارات التي تصوّر أثر انحباس المطر في سكّان الطّيبة ثمّ حلّل التّشبيه الذي استعمله الكاتب في وصف الإنتظار لديهم .

2 ــ اِختار سكّان الطّيبة الصّيد ــ كما أشار الكاتب إلى ذلك في النّصّ ــ لمقاومة المجاعة . كيف تفسّر هذا السّلوك ؟ وماذا تستخلص منه ؟

3 ــ ماذا تستخلص من أشكال التّضامن وطريقته كما وصفها الكاتب في النّصّ ؟

4 ــ لماذا توافد الأبناء على القرية حسب رأيك ؟

122 ـ أُخـوَّةٌ صَادِقَـةٌ

هُنَاكَ عَلَى ٱلأُفُقِ ٱلْغَرْبِيِّ قَدْ هَزَّ الِانْفِجَارُ ٱلأَرْضَ ، وَكَأَنَّمَا أَرْعَدَتْ ٱلسَّمَاءُ ، وَٱلْتَهَبَ ٱلأُفُقُ وَغَمَرَهُ دُخَانٌ هَائِلٌ [1] ... وَفَجْأَةً مَاجَ [2] ٱلنَّاسُ فِي السُّوقِ وَضَجُّوا ضَجِيجًا « ٱلْكِلاَبُ هَجَمُوا ... هَجَمُوا عَلَيْهِمْ ... أَحْرَقَتْهُمْ ، أَحْرَقَتْهُمْ الطَّائِرَاتُ بِٱلْقَنَابِلِ ... دَمَّرُوهُمْ ، يُهْلِكُهُمُ ٱللَّهُ ... مَسَاكِينُ ... يَا وَيْحَ ٱلْمُجَاهِدِينَ » .

وَأَرْعَدَتِ ٱلسَّمَاءُ مَرَّةً أُخْرَى هُنَاكَ عَلَى ٱلأُفُقِ ٱلْغَرْبِيِّ ، وَتَوَالَتْ ٱلِانْفِجَارَاتُ ، وَكَأَنَّ ٱلأَرْضَ زُلْزِلَتْ ، وَذُهِلَ ٱلْجَمْعُ فِي السُّوقِ ، وَظَلُّوا يَنْظُرُونَ نَحْوَ ٱلْغَرْبِ شَاخِصِينَ صَامِتِينَ ... وَفَجْأَةً مَاجُوا كُلُّهُمْ وَصَاحُوا صَيْحَةً وَاحِدَةً : « إِنَّهُمْ عَلَى ٱلسَّاقِيَةِ [3] ، قَنْبَلُوا ٱلسَّاقِيَةَ ... دَمَّرُوا ٱلسَّاقِيَةَ ... ٱلطَّائِرَاتُ هَجَمَتْ عَلَى ٱلسَّاقِيَةِ ... » .

لَقَدْ ظَنُّوا مُنْذُ حِينٍ أَنَّهُ ٱشْتِبَاكٌ مِنْ تِلْكَ الِاشْتِبَاكَاتِ ٱلْمُعْتَادَةِ هُنَاكَ عَلَى ٱلأُفُقِ ٱلْغَرْبِيِّ بَيْنَ ٱلْمُجَاهِدِينَ وَٱلْكِلاَبِ ٱلأَعْدَاءِ ...

إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَوَّلِ عَهْدِهِمْ بِهَا يُمْسِكُونَ عَنِ ٱلْحَرَكَةِ ، وَيَقِفُونَ لِيُنْصِتُوا إِلَى أَنْوَاعِ الِانْفِجَارَاتِ حَتَّى صَارُوا لاَ يَكْتَرِثُونَ لَهَا وَلاَ يَكُونُ لَهَا أَيُّ أَثَرٍ عَلَى مَجْرَى حَيَاتِهِمْ ، كَمَا أَنَّهُمْ أَنِسُوا إِلَى ٱلإِخْوَةِ ٱلْجَزَائِرِيِّينَ ٱللاَّجِئِينَ وَٱلْجُنُودِ ٱلْمُجَاهِدِينَ يَعِيشُونَ بَيْنَهُمْ وَيُشَارِكُونَهُمْ أَشْغَالَهُمْ فِي ٱلْمَتَاجِرِ وَٱلْحُقُولِ ، وَيُجَالِسُونَهُمْ فِي ٱلسُّوقِ وَٱلْمَقَاهِي ، بَلْ إِنَّهُمْ مَازَجُوهُمْ حَتَّى ٱخْتَلَطَ ٱلرِّجَالُ بِٱلرِّجَالِ ، وَٱلنِّسْوَةُ بِٱلنِّسْوَةِ ، وَٱلأَوْلاَدُ بِٱلأَوْلاَدِ ، وَصَارُوا كَأَنَّهُمْ مِنْ قَوْمٍ وَاحِدٍ وَمِنْ بَلَدٍ وَاحِدٍ .

... وَٱكْتَظَّتِ ٱلسَّاحَةُ بِٱلنَّاسِ حَوْلَ ٱلْمَسْؤُولِينَ أَمَامَ ٱلْمَدْرَسَةِ ٱلْمُهَشَّمَةِ، وَٱجْتَمَعَ نِسْوَةٌ حَوْلَ جُثَثِ ٱلأَطْفَالِ ٱلْبَيْضَاءِ ، وَجَلَسْنَ يَبْكِينَ فِي هُدُوءٍ وَصَمْتٍ ... وَسَادَ بِالْقَرْيَةِ حَالٌ رَهِيبٌ ... لَقَدْ جَلَّ [4] ٱلْمُصَابُ حَقًّا ... حَطَّمُوا ٱلْمَدْرَسَةَ ، وَنَسَفُوا ٱلْمَنَازِلَ ٱلآمِنَةَ ، وَخَرَّبُوا ٱلسُّوقَ ، وَتَبَدَّدَتِ ٱلْبَضَائِعُ وَأَمْتِعَةُ ٱلنَّاسِ وَأَمْوَالُهُمْ .

... لَقَدْ أَقْدَمَ أَهْلُ ٱلْحُدُودِ عَلَى إِيوَاءِ ٱلْمُجَاهِدِينَ ٱلْجَزَائِرِيِّينَ وَٱخْتَارُوا أَنْ يُعَرِّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِبَشَرِّ ٱلْعَدُوِّ ... لِذَلِكَ صَمَدُوا إِلَى فَاجِعَةِ ٱلسَّاقِيَةِ وَصَبَرُوا ... أَلَيْسُوا جُنُودًا لِلْقَضِيَّةِ ٱلْجَزَائِرِيَّةِ مِثْلَ إِخْوَتِهِمْ ٱلْمُجَاهِدِينَ ؟ ضَحَايَا ٱلسَّاقِيَةِ هُمْ ضَحَايَا لِحُرِّيَّةِ ٱلْجَزَائِرِ ... وَذِكْرَى ٱلسَّاقِيَةِ ٱلشَّهِيدَةِ هِيَ ذِكْرَى ٱلتَّضَامُنِ بَيْنَ ٱلْبَلَدَيْنِ ٱلشَّقِيقَيْنِ عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ ، ذِكْرَى أُخُوَّةٍ صَادِقَةٍ بَاقِيَةٍ عَلَى مَرِّ ٱلزَّمَنِ .

فرحات الدّشراوي

عن جريدة العمل ملحق خاص
بولاية الكاف في ذكرى السّاقية
8 فيفري 1973

التّعريف بالكاتب :

ٱنظر نصّ « آفة الجوع » .

الشّـرح :

(1) هائل : من هاله الأمر يهوله هَوْلاً : أدخل على نفسه فزعا ورعبا .

(2) ماج النّاسُ : تسارعوا وٱضطربوا كما يضطرب الموج .

(3) السّاقية : هي ساقية سيدي يوسف البلدة المتاخمة للحدود الجزائرية . هاجمتها قوّات الاستعمار الفرنسي المتمركزة بالجزائر في 8 فيفري 1958 انتقاما من التّونسيّين الذين كانوا يساعدون الثوّار الجزائريّين .

(4) جَلَّ المُصَابُ : عظُم وٱشتدّت وطأته فهو جَلَلٌ .

(5) تبدّدت البضائع : تلاشت وأتلفت . وبدّد الشّيء : فَرَّقَهُ .

الأسئلـة :

1 ــ ما الذي جعل السّاقية عرضة لغارات الطّائرات الفرنسيّة سنة 1958 ؟

2 ــ هل تفطّن النّاس لحقيقة الواقعة من أوّل وهلة ؟ لماذا ؟

3 ــ ما هي الصّور التي أبرز بها الكاتب بشاعة الاعتداء الفرنسيّ على السّاقية ؟

4 ــ كيف تفسّر الهدوء والصّمت اللّذين سادا القرية بعد الواقعة ؟

5 ــ ما هي الأسباب التي دفعت أهل السّاقية إلى التّضامن مع إخوانهم الجزائريين رغم ما في ذلك التّضامن من ويلات ؟

123 ـ تآزُرُ الْفلاَّحِينَ

اِتَّجَهَ ٱلرِّجَالُ وَٱلنِّسَاءُ كُلُّهُمْ إِلَى بِئْرِ ٱلسَّاقِيَةِ وَهُمْ يَلْهَثُونَ . وَٱخْتَلَطَ ٱلصِّيَاحُ بِالِاسْتِغَاثَةِ وَحَاوَلَ شَيْخُ ٱلْبَلَدِ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى حَافَةِ ٱلْجِسْرِ حَيْثُ وَقَعَتِ ٱلْجَامُوسَةُ [1] وَزَعَق . وَلَكِنَّ ٱلصَّرَخَاتِ غَمَرَتْ ضَجِيجَهُ .

وَقَعَدَ مَسْعُودٌ عَلَى ٱلأَرْضِ لاَ يَقْوَى عَلَى ٱلْحَرَكَةِ وَأَخَذَ يَضْرِبُ ٱلتُّرَابَ بِيَدَيْهِ فِي حَسْرَةٍ مُخِيفَةٍ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقِفَ كَأَنَّهُ ٱنْكَسَرَ حَقًّا ...

غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ ٱلْهَادِي قَفَزَ إِلَى ٱلْبِئْرِ لاَهِثًا وَأَسْنَدَ رِجْلَيْهِ إِلَى ٱلْقَوَادِيسِ [2] وَوَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ بَطْنِ ٱلْجَامُوسَةِ وَهُوَ يُسْنِدُ قَدَمَيْهِ إِلَى غَوْرٍ فِي ٱلْبِئْرِ...

وَزَحَفَ ٱلرِّجَالُ ... وَوَقَفَ بَعْضُهُمْ أَمَامَ ٱلْبِئْرِ ... وَهَبَّ مِنْ نَاحِيَةِ عَبْدِ ٱلْهَادِي رَجُلٌ ... أَوْشَكَ أَنْ يَسْقُطَ فِي ٱلْبِئْرِ ، فَأَسْنَدَهُ عَبْدُ ٱلْهَادِي وَرَجَاهُ أَنْ يَصْعَدَ هُوَ وَيَسْتَرِيحَ بَعِيدًا ...

هُمُ ٱلآنَ أَمَامَ ضَيَاعِ جَامُوسَةٍ مَسْعُودٍ يُحِسُّونَ فَجْأَةً أَنَّهُ عِنْدَمَا تَنْزِلُ ٱلْكَارِثَةُ بِرَجُلٍ أَوِ ٱمْرَأَةٍ فَكَأَنَّمَا نَزَلَتْ بِهِمْ جَمِيعًا ...

وَهَبَطَ إِلَى ٱلْبِئْرِ رِجَالٌ آخَرُونَ وَوَقَفُوا كُلُّهُمْ يَتَسَانَدُونَ وَأَرْجُلُهُمْ إِلَى ٱلْقَوَادِيسِ أَوْ إِلَى غَوْرٍ فِي ٱلْبِئْرِ ، وَكَانُوا كُلُّهُمْ يُسْنِدُونَ بَعْضَهُمْ حِينَ تَقْلَقُ ٱلأَرْجُلُ [4] ... وَكَانُوا كُلُّهُمْ يُشَجِّعُونَ بَعْضَهُمْ وَأَيْدِيهِمْ جَمِيعًا تَحْتَ بَطْنِ ٱلْجَامُوسَةِ يُحَاوِلُونَ دَفْعَهَا بِكُلِّ مَا يَمْلِكُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ مِنْ قُوَّةٍ لِدَفْعِ ٱلْكَارِثَةِ ، كَانُوا كُلُّهُمْ يُعَانُونَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ لَحَظَاتٍ خَاطِفَةً مِنْ نَفْسِ ٱلْيَأْسِ ٱلْمُخِيفِ ، وَتَلْمَعُ لَهُمْ مَعًا وَمَضَاتٌ بَهِيجَةٌ مِنْ نَفْسِ ٱلأَمَلِ،

كَانُوا يَنْحَنُونَ وَيَعْرَقُونَ وَتَقْدَحُ عُيُونُهُمْ وَتَتَتَابَعُ أَنْفَاسُهُمْ ، كَانُوا دَاخِلَ ٱلْبِئْرِ وَخَارِجَ ٱلْبِئْرِ عَلَى مَدَارِ ٱلسَّاقِيَةِ يَتَدَافَعُ الرِّجَالُ وَٱلنِّسَاءُ ــ وَشَيْخُ ٱلْبَلَدِ يَزْعَقُ بِأَوَامِرَ لاَ يُصْغِي إِلَيْهَا أَحَدٌ ... وَٱلشِّنَّاوِي يَسْتَنْجِدُ بِقُوَّةِ ٱللَّه ... أَمَّا مَسْعُودٌ فَكَانَتْ عَيْنَاهُ عَلَى عَبْدِ ٱلْهَادِي وَيَدُهُ تَضْرِبُ ٱلأَرْضَ وَتَلْطُمُ . وَهُوَ قَاعِدٌ يُدِيرُ رَأْسَهُ إِلَى ٱلرِّجَالِ فِي دَاخِلِ ٱلْبِئْرِ وَإِلَى ٱمْرَأَتِهِ ٱلَّتِي جَلَسَتْ أَمَامَهُ صَفْرَاءَ كَٱلْمَوْتِ ، بِلاَ حِيلَةٍ وَلاَ قُوَّةٍ حَتَّى عَلَى ٱلْجَزَعِ وَٱلصُّرَاخِ ... وَرَأَى مَسْعُودٌ جَامُوسَتَهُ تَرْتَفِعُ قَلِيلاً مِنْ مَكَانِهَا فِي ٱلْبِئْرِ وَلَكِنَّهَا عَادَتْ فَسَقَطَتْ وَٱلرِّجَالُ مَازَالُوا يَتَصَايَحُونَ وَيَتَسَانَدُونَ مِنْ دَاخِلِ ٱلْبِئْرِ وَٱلأَيْدِي كُلُّهَا تَحْتَ بَطْنِ ٱلْجَامُوسَةِ تُحَاوِلُ أَنْ تَرْفَعَهَا فِي غَيْرِ يَأْسٍ وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَصْعَدُ رَجُلٌ يَلْهَثُ لِيَهْبِطَ رَجُلٌ جَدِيدٌ .

وَأَخِيرًا رُفِعَتِ ٱلْجَامُوسَةُ عَلَى أَيْدِي ٱلرِّجَالِ فَرُدَّتِ ٱلرُّوحُ إِلَى ٱمْرَأَةِ مَسْعُودٍ وَزَغْرَدَتْ .

وَوَقَفَ مَسْعُودٌ فَجْأَةً ... وَٱنْتَفَضَ كَأَنَّمَا صُبَّتْ فِي عُرُوقِهِ دِمَاءُ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ فَتِيَّةٍ بِكُلِّ ٱلدِّفْءِ وَٱلأَمَلِ ... وَٱرْتَفَعَتْ زَغَارِيدُ ٱلنِّسَاءِ .

عبد الرّحمان الشّرقاوي

الأرض

مطبوعات دار الشّعب، القاهرة، 1970

ص ص 132ــ133

التّعريف بالكاتب :

عبد الرحمان الشّرقاوي : كاتب مصري معاصر من أبرز مؤلّفي القصّة والرواية، من إنتاجه رواية « الأرض » يصوّر فيها تشبّث الرّيفيين بالأرض وصراعهم مع المستعمر ومن تواطأوا معه على ٱنتزاع الأرض وٱستغلالها لمصالحهم الشخصيّة

الشّـرح :

(1) الجاموسة : ضرب من البقر يوجد بكثرة في مصر .

(2) القواديس : جمع قادوس ، وهو إناء يخرج به الماء من السواقي .

(3) تقلق الأرجل : تضطرب .

الأسئلـة :

1 ــ إستخرج من النّصّ العبارات التي أستعملها الكاتب في تصوير حال مسعود وزوجته عند سقوط الجاموسة في البئر وعند إخراجها منه وأذكر ما تستخلصه من ذلك عن حيـاة الفلاّحين .

2 ــ ما هي الصّيغ الصّرفية التي أستعملها الكاتب حين وصف الرّجال في البئر يحاولون إخراج الجاموسة ؟ ولماذا أستعمل الصّيغ تلك ؟

3 ــ إستعمل الكاتب عبارة بعينها للتوكيد . ما هي ؟ كم أستعملها من مرّة ؟ ولماذا ؟

124 ــ ٱلسَّائِـــلُ

هَيْكَـلٌ [1] كَـادَ يَفْقُـدُ ٱلـرُّوحَ لَـوْلاَ أَمَـلٌ فِـي ٱلْحَيَـاةِ شَدَّ عِظَامَـهْ [2]
لاَحَ لِي كَالْخَيَالِ يَخْطُـو ٱلْهُوَيْنَـى أَثْقَلَتْـهُ كَآبَـةٌ وَسَآمَـهْ
ضَجَّ [3] مِـنْ حَوْلِـهِ ٱلأَسَى وَعَلَتْـهُ سُحُبٌ مِـنْ شَقَائِـهِ حَوَّامَـهْ
وَدَّ لَـوْ تَخْتِـمُ ٱلْمَنُـونُ مَآسِيـ ـهِ وَلَـوْ يُسْكِـنُ [4] ٱلـرَّدَى آلاَمَـهْ
سَائِـلَ ٱلْقُـوتِ ! إِنَّمَـا ٱلْعَـيْشُ يَـأْسٌ فَرَجَـاءٌ ، وَدَمْعَـةٌ فَٱبْتِسَامَـهْ
مَنْ لِهَذَا ٱلْمِسْكِينِ ؟ أَضْحَى طَرِيـدًا قَطَّـعَ الْبُـؤْسُ وَٱلشَّقَـا أَرْحَامَـهْ [5]
مَنْ لِهَذَا ٱلْمِسْكِينِ [6] ؟ ضَاقَتْ بِهِ الأَرْ ضُ عَلَـى عَرْضِهَـا وَمَـلَّ مُقَامَـهْ
كُلَّمَـا حَـاوَلَ النَّجَـاةَ مِـنَ ٱلْهَـوْ لِ ٱسْتَبَـدَّ [7] ٱلأَسَى ، فَشَدَّ لِجَامَـهْ
كُلَّمَـا جَـدَّ يَوْمُـهُ [8] عَصَفَتْ رِيـ ـحُ ٱلْعَـوَادِي [9] فَبَـدَّدَتْ أَحْلاَمَـهْ
سَائِـلَ ٱلْقُـوتِ ! مَـا جَنَيْتَ ؟ فَجُـوزِ يتَ مِنَ ٱلدَّهْرِ سُخْطَهُ وَٱنْتِقَامَـهْ

أحمد اللّغماني

« قلب على شفة »، ص 23ــ24

الدّار التّونسية للنّشر 1966

التّعريف بالشّاعر :

أحمد اللّغماني : شاعر تونسي ولد بقرية الزّارات قرب قابس سنة 1923 . ٱشتغل بالتّعليم والتّفقّد ونشط في ميدان الأدب فنشر كثيرا من القصائد وأصدر ديوان شعر بعنوان « قلب على شفة » .

الشّـرح :

(1) هيْكل : الهيْكل : البناء المرتفـع الضّخم أو الصّورة والشّخصُ والتّمثال وهنا يعني بُنية السّائل التي برزت فيها عظامه لفرط نحافته .

(2) شـدّ عظامه : أمسك بعضها إلى بعض فمنعها من التّفكّك .

(3) ضجّ : ضجَّ يَضِجُّ ضجًّا وضَجيجا : صاح لفزعه من شيء أخافه .

(4) يُسْكِنُ : مضارع أسكَنَه جعله ساكنا أي هامدا فاقدا للحركة والمقصود هنا أن السّائل ودّ لو حلّ به الموتُ فيقضي على آلامه .

(5) أرحامه : مفردها الرَّحِمُ وهو موضع الجنين في أحشاء أمّه . والمقصود بالأرحام صلات القرابة .

(6) مَنْ لهذا المسكين ؟ : أسلوب استفهامي يفيد النّفي .

(7) استبدّ بالأمر : آنفرد به .
يقال : تبدّد القومُ الشيءَ : آقتسموه بدَدًا أي حِصصا . والبُدُّ والبُدَّةُ والبُدَادُ : النّصيب .

(8) جَدَّ يوْمه : جَدَّ يجدُّ يومَه جِدّةً : حَلّ من جديد .
وجَدَّ الرّجُلُ يَجَدُّ جَدًّا : كان ذا جَدٍّ أي حظٍّ .
وقد يكون المعنى المقصود : كلّما حلّ يوم جديد ... أو كلّما آبتسم له الحظّ في يوم جديد ...

(9) العوادي : مفردها العادية : وهي الشّرّ والضّرُّ وهي النّائبة أو المصيبة .
من عدا عَدْوًا وعُدْوانا عليه : هَجَم .

الأسئلـة :

1 ــ يمكن تقسيم هذه الأبيات من حيث المعنى إلى قسمين . حدّدهما وضع عنوانا لكلّ منهما .

2 ــ ما هي الصّفات التي تستفيدها عن السّائل من هذه القطعة ؟

3 ــ ما هو الشّعور الذي أراد اللّغماني بثّه في نفس السّائل بقوله : « إنّما العيش يأس فرجاء ودمعة فابتسامة » ؟

4 ــ ما غرض الشّاعر من تعداد مصائب السّائل في الأبيات الخمسة الأخيرة ؟ ماذا تثير هذه الأبيات في نفسك ؟

5 ــ أضافت بعض الصّور إلى هذه القطعة قيمة فنيّة معتبرة مثل ضَجّ من حوله الأسى ــ ضاقت به الأرض على عرضها ــ اِستبدّ الأسى ــ عصفت ريح العوادي... ما وجه الإجادة في هذه الطريقة من التّعبير ؟

قسم خاصّ بالشّعبة المهنيّة

1) القيم الإنسانية والاجتماعية من خلال نماذج من عظماء الإنسانية

2) العلم والعمل في خدمة الإنسان :
(سيطرة الإنسان على الطّبيعة وآستغلال مواردها)

125 ـ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ

قَضَى أَيَّامًا فِي بَيْتِ عَائِشَةَ يَشْكُو مِنْ آلاَمِ ٱلْكَبِدِ وَٱرْتِفَاعِ ٱلْحَرَارَةِ وَفَاطِمَةُ وَعَائِشَةُ إِلَى جِوَارِهِ يُرَطِّبَانِ جَبْهَتَهُ وَأَطْرَافَهُ بِٱلْمَاءِ .

وَأَنِسَ (1) ذَاتَ صَبَاحٍ فِي نَفْسِهِ ٱلْعَافِيَةَ (2) فَطَلَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يُسَاعِدُوهُ حَتَّى يَلْقَى ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَسْجِدِ ...

وَجَلَسَ عَلَى ٱلْمِنْبَرِ يَقُولُ : «أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ (3) مِنِّي ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضًا (4) فَهَذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ . وَمَنْ أَخَذْتُ لَهُ مَالاً فَهَذَا مَالي فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ وَلاَ يَخْشَى ٱلشَّحْنَاءَ (5) مِنْ قِبَلِي فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِي » .

وَطَلَبَهُ رَجُلٌ بِثَلاَثَةِ دَرَاهِمَ فَأَعْطَاهَا لَهُ قَائِلاً : أَلاَ إِنَّ فُضُوحَ (6) ٱلدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ ٱلآخِرَةِ .

ثُمَّ أَوْصَاهُمْ بِٱلأَنْصَارِ (7) وَأَوْصَاهُمْ أَنْ يَكُونَ ٱلإِخَاءُ دَائِمًا هُوَ مَا يَسُودُ عَلاَقَاتِهِمْ وَأَنْ يُعَامِلُوا كُلَّ مَنْ يَدْخُلُ فِي ٱلإِسْلاَمِ كَمَا يَتَعَامَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ... وَأَوْصَاهُمْ بِٱلصَّلاَةِ وَٱلزَّكَاةِ .

لَقَدْ جَاءَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ فِيهِ صَلاَحُهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ... تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ ... تُؤْمِنُ بِإِلَهٍ وَاحِدٍ ... وَدِينٍ وَاحِدٍ ... وَقِيَمٍ وَاحِدَةٍ .

عَلَّمَهُمْ ٱلصِّدْقَ ، وَأَنَّ شَهَادَةَ ٱلزُّورِ هِيَ أَكْبَرُ ٱلْكَبَائِرِ « وَكَبُرَتْ خِيَانَةً عِنْدَ ٱللَّهِ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ » وَنَهَاهُمْ عَنِ ٱلْبُخْلِ وَسُوءِ ٱلْخُلُقِ .

عَلَّمَهُمْ مُقَاوَمَةَ ٱلظُّلْمِ ، وَقَالَ لَهُمْ : « إِذَا رَأَيْتُمْ ٱلظَّالِمَ وَلَمْ تَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ (8) يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّكُمْ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ » .

وَحَثَّهُمْ عَلَى طَلَبِ ٱلْعِلْمِ وَقَالَ لَهُمْ : « فَضْلُ ٱلْعَالِمِ عَلَى ٱلْعَابِدِ كَفَضْلِ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ ٱلْكَوَاكِبِ » .

وَطَالَبَهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا أَحْرَارًا أَمَامَ ٱلْحَيَاةِ ... وَأَنْ يُمَارِسُوا حُرِّيَّةَ ٱلْعَمَلِ... ٱلإِنْسَانُ حُرٌّ ... وَعَمَلُهُ هُوَ ٱلَّذِي يُشَكِّلُهُ ... هَذَا هُوَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ ... ٱلصِّدْقُ وَٱلْبِرُّ وَرِعَايَةُ ٱلْوَالِدَيْنِ وَمَكَارِمُ ٱلأَخْلاَقِ ، وَٱلْعَدْلُ وَٱلْمُسَاوَاةُ وَٱلشَّجَاعَةُ وَٱلْكَرَمُ وَحَقُّ ٱلإِنْسَانِ وَوَاجِبُهُ فِي ٱلدِّفَاعِ عَنِ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ كُلُّ هَذَا جَاءَهُمْ بِهِ خِلاَلَ ثَلاَثَةٍ وَعِشْرِينَ عَامًا .

وَدَخَلَ بَيْتُ عَائِشَةَ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلْمُفْضِي إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ... وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكَدْ يَبْلُغُ فِرَاشَهُ حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ .

عبد الرحمان الشّرقاوي

من كتاب : محمّد رسول الحريّة

طبعة عالم الكتب، القاهرة

ص ص 396ـــ398

التّعريف بالكاتب :

عبد الرّحمان الشّرقاوي : أديب مصري معاصر ولد سنة 1905 ، برز خاصّة في ميدان القصّة والمسرحيّة . من مؤلّفاته « الأرض » و« الشّوارع الخلفيّة » و« مأساة جميلة » .

الشّـرح :

(1) أَنِسَ في نَفْسِه : المقصود وَجَد في نَفْسِهِ .

(2) العَافية : مصدر من عافاه الله بمعنى : الصّحّة التامّةُ .

(3) فلْيَسْتَقِدْ : فعل مضارع مجزوم بلام الأمْر مِنْ ٱسْتَقَادَ فُلانٌ ممّن آذاه : ٱقتصّ منه بمثل فعله .

(4) عِرْضًا : اسم : العِرْضُ هو الحَسَبُ والشَّرَفُ

(5) الشّحْناءُ : اسم : ما تَمْتلئُ به النّفس من حِقْد وعداوَةٍ .

(6) فُضُوح : أحد مَصَادر فَضَح . فضَحَهُ يفضَحُه : كشف مَسَاوِئه .

(7) الأنصار : المسلمون من أهل المدينة من الأوْس والخزرج . ناصروا الرّسول ﷺ حين هاجر إليهم وآوَوْا المهاجرين معه وآخَوْهُمْ .

(8) لَمْ تَأْخُذُوا على يديه : أخذ على يديه : كفَّه عن فعل الشّيء ومنعه .

الأسئلـة :

1 ــ كيف تفسّر إصرار الرّسول على ملاقاة المسلمين بالمسجد رغم ما يعانيه من مرض ؟

2 ــ يسعى الرّسول من خلال توصياته إلى تركيز قيم إنسانية عظيمة ، فهل لك أن تذكرها ؟

3 ــ ما هي نظرة الرّسول إلى العلم ؟ هل تعرف آيات أو أحاديث تشيد بالعلم والعلماء ؟

4 ــ يستفاد من كلام الرّسول أن الدّين الإسلامي دين علم وعمل ، استدلّ على ذلك من النّصّ .

126 ــ خَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ [1]

بَيْنَمَا ٱلْحَرْبُ فِي شِدَّتِهَا وَٱلأَبْطَالُ يَتَصَارَعُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ قَدِمَ رَسُولٌ مِنْ نَحْوِ ٱلْحِجَازِ بِبَرِيدٍ . فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْجَيْشِ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ فَقَالُوا لَهُ : مَا ٱلْخَبَرُ ؟

لَكِنَّ مَا أَتَى بِهِ ٱلرَّسُولُ فِي غَايَةِ ٱلْخُطُورَةِ فَتَقَدَّمَ إِلَى خَالِدٍ فَقَالَ لَهُ فيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقَ [2] قَدْ تُوُفِّيَ وَصَارَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ [3] خَلِيفَةً وَقَدْ أَمَرَ أَنْ يَكُونَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ ٱلْجَرَّاحِ [4] أَمِيرًا عَلَى ٱلْجُيُوشِ .

إِنَّهَا أَشَدُّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَاتِ ٱلتَّارِيخِ وَأَعْظَمُ مِحْنَةٍ [5] يُبْتَلَى بِهَا قَائِدٌ وَجَيْشٌ فِي وَقْتِ ٱلالْتِحَامِ ٱلَّذِي يَتَقَرَّرُ فِيهِ ٱلْمَصِيرُ وَيُخْشَى فِيهِ مِنَ ٱلْوَهَنِ [6] وَٱلضَّيَاعِ . وَلَوْ سَرَتْ هَمْسَةٌ بِٱلتَّغْيِيرِ ٱلَّذِي حَلَّ بِٱلْخِلاَفَةِ وَبِٱلْقِيَادَةِ لَصَرَفَتْ [7] كَثِيرًا مِنَ ٱلْمُقَاتِلِينَ عَنْ جِهَادِهِمْ إِلَى تَسَاؤُلِهِمْ وَفُتُورِهِمْ . لِهَذَا كَانَ خَالِدٌ حَكِيمًا أَجْمَلَ ٱلْحِكْمَةِ وَرَائِعًا أَشَدَّ الرَّوْعَةِ وَمُؤْمِنًا أَخْلَصَ ٱلإِيمَانِ . لَمْ يَشْغَلْهُ أَمْرٌ عَنْ أَمْرٍ وَلَمْ تُثْرْ نَفْسُهُ لِنَفْسِهِ [8] بَلْ كَتَمَ ٱلأَمْرَ وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى وَجْهِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا سَمِعَ مِنَ ٱلرَّسُولِ ٱلَّذِي جَاءَ بِخَبَرِ ٱلْخَلِيفَةِ وَبِعَزْلِهِ [9] وَقَالَ لَهُ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ يَسْمَعُونَ : أَحْسَنْتَ ، وَأَخَذَ مِنْهُ ٱلْكِتَابَ [10] فَوَضَعَهُ فِي كِنَانَتِهِ [11] وَٱشْتَغَلَ بِمَا كَانَ فِيهِ مِنْ تَدْبِيرِ ٱلْحَرْبِ وَٱلْمُقَاتَلَةِ وَأَوْقَفَ ٱلرَّسُولَ ٱلَّذِي جَاءَ بِٱلْكِتَابِ إِلَى جَانِبِهِ . وَدَارَتْ رَحَى ٱلْحَرْبِ عَلَى الرُّومِ وَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ .

وَٱلَّذِي يَزِيدُ فِي عَظَمَةِ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ وَقَدْ عَزَلَهُ عُمَرُ مِنْ إِمْرَةِ [12] ٱلْجَيْشِ ثُمَّ مِنْ قِيَادَةِ فِرْقَةٍ مِنَ ٱلْجَيْشِ أَنَّ خَالِدٍ حِينَ حَضَرَتْهُ ٱلْوَفَاةُ أَوْصَى

أَنْ يَكُونَ عُمَرُ هُوَ ٱلْوَصِيُّ عَلَى ذُرِّيَتِهِ .

إِنَّ ٱلْبَطَلَ ٱلْعَظِيمَ ٱلَّذِي عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ لاَ يَهُمُّهُ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى ٱلْجُيُوشِ أَوْ جُنْدِيًّا مِنَ ٱلْجُنُودِ مَا دَامَ عَمَلُهُ خَالِصًا لِلَّهِ .

عبد الستّار أحمد فراج

مجلّة العربي، عدد 181

ديسمبر 1973، ص 122ـــ123

التّعريف بالكاتب :

أحمد عبد الستّار فراج : كاتب مصري

الشّـرح :

(1) خالد بن الوليد : كبير أمراء الجيوش الإسلاميّة حارب الفرس في العراق والبيزنطيين في الشّام وتوفّي سنة 648 ميلاديّة .

(2) أبو بكر الصّدّيق : أوّل من أسلم من الرّجال ، وأوّل خليفة لرسول الله ﷺ، ووالد عائشة زوجة الرّسول .

(3) عمر بن الخطّاب : هو ثاني الخلفاء الرّاشدين . لقّبه الرسول الفاروق لحزمه وعدله . ولد سنة 581م وتوفي سنة 644م .

(4) أبو عبيدة بن الجرّاح : صحابي شهير . ناصر الرّسول في معركة « أُحد » وصحبه في بقيّة غزواته . ولاّه عمر بن الخطّاب قيادة الجيش في الشّام . فتح دمشق وحمص وأنطاكية وحلب ومات في عهد عمر بن الخطاب .

(5) مِحْنة : جمعها مِحَنٌ . ما يُمْتَحَنُ به الإنسان من بَلِيَّةٍ .
مِنْ مَحَنَه يَمْحَنُه مَحْنًا : إِخْتبرَه وجَرَّبَه .

(6) الوَهَنُ : مصدر وَهِنَ يَوْهَنُ أي ضعُف .

(7) صَرَفَتْ المقاتلين عن جهادهم : ردّتهم عنه وجعلتهم ينشغلون بأمر آخر .

(8) لم تثُرْ نفسُه : المضارع المجزوم من ثار يثور ثورانا وثوْرةً : هاجَ وٱنتشر
وَلَـمْ تثُرْ نفسُه لِنفْسه : بمعنى لم يغضَب ولم يفكّر في مصلحته الخاصّة .

(9) عزله : مصدر عَزَلَهُ يَعْزِله : أبْعده ونَحّاهُ .

(10) الكتاب : المقصود بها في النّصّ الرّسالة .

(11) كنانته : الكنانة هي جعبة من جلد أو خشب تجعل فيها السّهام .

(12) إمْرَة الجيش : الإمْرَةُ : مصدر أمَرَ عليهم يَأْمُرُ : صَارَ أَمِيرًا عليهم .

الأسئلـة :

1 ــ لِماذا ٱعتبر الكاتب عزل خالد بن الوليد أعظم محنة يُبتَلَى بها قائدٌ وجيشٌ ؟

2 ــ أخفى خالد بن الوليد نبأ موت أبي بكر الصدّيق ونبأ عزله . لماذا ؟

3 ــ إستخرج من النّصّ ما يدلّ على أن تصرّف خالد بن الوليد كان تصرّفا مسؤولا قدّم فيه مصلحة المسلمين على ما يتّصل بمنزلته الخاصّة بينهم ؟

4 ــ كيف تفسّر وصيّة خالد بن الوليد إلى عمر بن الخطّاب رغم المحنة التي ٱبتلاه بها ؟

5 ــ إستخلص من النّصّ جملة القيم التي كانت توجّه خالدا بن الوليد في حياته وتحدّد سلوكه ؟

127 ــ سُقْـــرَاطُ [1]

لَمْ يَكُنْ مِنْ أُسْرَةٍ مُمْتَازَةٍ ، بَلْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أُسْرَةٍ مُتَوَسِّطَةٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ إِلَى ٱلطَّبَقَةِ ٱلدُّنْيَا أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى ٱلطَّبَقَاتِ ٱلأُخْرَى : كَانَ أَبُوهُ حَفَّارًا [2] وَكَانَتْ أُمُّهُ قَابِلَةً، وَلَمْ يَكُنْ حَسَنَ ٱلْخَلْقِ وَلاَ جَمِيلَ ٱلطَّلْعَةِ [3]وَإِنَّمَا كَانَ قَبِيحَ ٱلْمَنْظَرِ مَمْقُوتَ [4] ٱلشَّكْلِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ ذَكِيَّ ٱلْقَلْبِ نَافِذَ ٱلْبَصِيرَةِ شَدِيدَ ٱلْفِطْنَةِ . وَلَمْ يَكُنْ بِدْعًا [5] مِنَ ٱلأَثِينِيِّينَ فِي عَصْرِهِ ، وَإِنَّمَا سَلَكَ ٱلسَّبِيلَ ٱلَّتِي كَانَ يَسْلُكُهَا غَيْرُهُ مِنَ ٱلنَّاسِ. يُقَالُ: إِنَّهُ تَعَلَّمَ مِهْنَةَ أَبِيهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمْضِ فِيهَا . وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ كَانَ كَغَيْرِهِ مِنَ ٱلشُّبَّانِ ٱلأَثِينِيِّينَ يَخْتَلِفُ إِلَى [6] ٱلْمَجَالِسِ ٱلْعَامَّةِ ، وَإِلَى ٱلْحَمَّامِ ، وَإِلَى مَحَالِّ ٱلأَلْعَابِ ٱلرِّيَاضِيَّةِ ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ لِلْخُطَبَاءِ وَيُحَاوِرُ كُلَّ مَنْ لَقِيَهُ ضُرُوبًا مِنَ ٱلْحِوَارِ غَرِيبَةً لَمْ يَأْلَفْهَا ٱلنَّاسُ ، فِي ٱلْفَاظٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ رَاقِيَةً مُهَذَّبَةً، فَقَدْ كَانَتْ قَوِيَّةً خَلاَّبَةً سَاحِرَةً . وَمَا هِيَ إِلاَّ أَنْ كَلِفَ بِهِ [7] ٱلشُّبَّانُ وَكَلِفَ بِهِمْ فَسَعَوْا إِلَيْهِ ، أَوْ قُلْ : سَعَى إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ تَكُنْ مَدْرَسَةً ، وَإِنَّمَا كَانَ هُوَ مَدْرَسَةً مُتَنَقِّلَةً ، يُحَاوِرُ فِي ٱلْمَيَادِينِ ٱلْعَامَّةِ وَفِي حَوَانِيتِ ٱلْحَذَّائِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ ٱلصُّنَّاعِ ، وَفِي أَرْوِقَةِ ٱلْحَمَّامِ وَفِي ٱلْمَلاَعِبِ ٱلرِّيَاضِيَّةِ .

... وَكَانَ حَسَنَ ٱلدُّعَابَةِ ، بَلْ لَمْ يَكُنْ حِوَارُهُ إِلاَّ دُعَابَةً مُتَّصِلَةً وَهَزْلاً مُسْتَمِرًّا . وَلَكِنَّ هَذِهِ ٱلدُّعَابَةَ ٱلْحُلْوَةَ وَهَذَا ٱلْهَزْلَ ٱللَّذِيذَ ، لَمْ يَكُونَا إِلاَّ سِتَارًا لَطِيفًا شَفَّافًا يَنِمُّ بِمَا دُونَهُ مِنْ حَقٍّ وَجِدٍّ . لَمْ تَكُنْ لَهُ مَدْرَسَةٌ ثَابِتَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَوْضُوعٌ بِعَيْنِهِ يَدْرُسُهُ أَوْ يُحَاوِرُهُ فِيهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَدْرُسُ كُلَّ

شَيْءٍ ، كَانَ لاَ يَتَقَاضَى عَلَى عِلْمِهِ أَجْرًا ، لأَنَّهُ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لاَ يُعَلِّمُ ٱلنَّاسَ شَيْئًا . فَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْ يُفْتَنَ بِهِ ٱلْجُمْهُورُ مِنْ شَبَابِ أَثِينَا . وَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْ يَتَسَامَعَ بِهِ ٱلنَّاسُ فِي « أَتِكَا » (8) ثُمَّ فِي ٱلْبِلاَدِ ٱلْيُونَانِيَّةِ ٱلأُخْرَى. وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَقْدَمَ ٱلْيُونَانِيُّونَ مِنْ أَقْطَارِ ٱلأَرْضِ عَلَى أَثِينَا لِيَلْقَوْا سُقْرَاطَ وَيَتَحَدَّثُوا إِلَيْهِ . وَلَكِنَّ حَادِثَةً حَدَثَتْ فَغَيَّرَتْ مِنْ سِيرَةِ سُقْرَاطَ وَرَأْيِهِ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا كَثِيرًا . ذَلِكَ أَنَّ أَحَدَ ٱلْمُعْجَبِينَ بِهِ ، وَكَانُوا كَثِيرِينَ ، ذَهَبَ إِلَى « دَلْفَ » (9) وَسَأَلَ « أَبُلُونَ » (10) : أَبَيْنَ فَلاَسِفَةِ ٱلْيُونَانِ وَحُكَمَائِهِمْ مَنْ يَفُوقُ سُقْرَاطَ أَوْ يَبْلُغُهُ فَلْسَفَةً وَحِكْمَةً ؟ فَأَجَابَتِ ٱلْكَاهِنَةُ أَنْ لاَ . وَبَلَغَ ذَلِكَ سُقْرَاطَ ، فَحَمَلَهُ عَلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي بَعَثَ ٱلإِلَهَ « أَبُلُونَ » عَلَى أَنْ يُعْلِنَ أَنَّهُ أَحْكَمُ ٱلنَّاسِ وَأَحْسَنُهُمْ فَلْسَفَةً . وَلَمْ يَكُنْ سُقْرَاط يَرَى فِي نَفْسِهِ هَذَا ٱلرَّأْيَ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَرَى أَنَّهُ أَشَدُّ ٱلنَّاسِ جَهْلاً وَأَقَلُّهُمْ حَظًّا مِنْ عِلْمٍ أَوْ فَلْسَفَةٍ . وَمَا هِيَ إِلاَّ أَنْ أَخَذَ فِي ٱلْبَحْثِ وَٱلتَّحْقِيقِ ، فَأَلَمَّ بِٱلْحُكَمَاءِ وَٱلْفَلاَسِفَةِ ، وَبِٱلشُّعَرَاءِ وَالْكُتَّابِ ، وَبِٱلصُّنَّاعِ وَأَهْلِ ٱلْفَنِّ ، يُحَادِثُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ وَيَعْلَمُ عِلْمَهُمْ ، حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى هَذِهِ ٱلنَّتِيجَةِ، وَهِيَ أَنَّهُ أَحْكَمُ ٱلنَّاسِ حَقًّا . ذَلِكَ لأَنَّهُ رَأَى هَذِهِ ٱلطَّبَقَاتِ كُلَّهَا شَدِيدَةَ ٱلْغُرُورِ قَوِيَّةَ ٱلإِيمَانِ بِحَظِّهَا مِنَ ٱلْعِلْمِ أَوِ ٱلْفَلْسَفَةِ أَوِ ٱلشِّعْرِ أَوِ ٱلْفَنِّ . شَدِيدَةَ ٱلْجَهْلِ بِنَفْسِهَا وَرَأَى أَنَّهُ هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلْوَحِيدُ ٱلَّذِي لاَ يَغُرُّهُ شَيْءٌ، وَلاَ يَعْلَمُ إِلاَّ شَيْئًا وَاحِدًا هُوَ أَنَّهُ شَدِيدُ ٱلْجَهْلِ بِكُلِّ شَيْءٍ. وَكَانَ ٱلْقُدَمَاءُ قَدْ كَتَبُوا عَلَى مَعْبَدِ « دَلْفَ » هَذِهِ ٱلْحِكْمَةَ ٱلْقَدِيمَةَ : « اِعْرِفْ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ » ، فَمَا أَسْرَعَ مَا ٱتَّخَذَهَا سُقْرَاطُ شِعَارًا لَهُ وَقَاعِدَةً لِحَيَاتِهِ وَحِوَارِهِ وَتَعْلِيمِهِ ـــ وَمَا أَسْرَعَ مَا ٱعْتَقَدَ أَنَّ « أَبُلُونَ » قَدْ كَلَّفَهُ مُهِمَّةً عَظِيمَةَ ٱلْخَطَرِ (11) هِيَ أَنْ يَبُثَّ ٱلْحِكْمَةَ فِي ٱلنَّاسِ وَيُعَلِّمَهُمْ أَنْ

يَعْرِفُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ . مِنْ ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ جَدَّ سُقْرَاطُ فِي تَأْدِيَةِ رسالته .

طـه حسيـن

« قَادة الفكر »

دار المعارف بمصر، ط. 10، 1971

ص ص 32ـــ36

التعريف بالكاتب !

آنظر نصّ : « المستطيع بغيره » .

الشّـرح :

(1) سقراط : فيلسوف يوناني شهير وُلِد سنة 469 قبل الميلاد وتوفّي سنة 399 قبل الميلاد . عاش في أثينا، اشتهر بطريقته في المحاورة وتوليد التّفكير .

(2) حفّارًا : أي نحّاتًا .

(3) الطَّلْعَةُ : الوَجْهُ وَمَا طَلَعَ مِنْ كلّ شَيْءٍ .

(4) مَمْقُوت : اسم مفعول من مَقَتَه يَمْقُتُه مَقْتًا : أبغضه أشَدَّ البُغض .

(5) بِدْعًا : الْبِدَعُ وجَمْعُها أَبْداعٌ وَبُدُعٌ : المُقَدَّمُ على غيرِه .

(6) يختلف إلى المجالس العامّة : يَتَرَدَّدُ عليها .

(7) كَلِفَ به : كَلِفَ الشّيء وبه يَكْلَفُ كَلَفًا : أَحَبَّهُ وأُوْلِعَ به فهو كَلِفٌ .

(8) أَتِكَا : أو « أتيكَا » إقليم حول أثينا في الطّرف الشّرقي لأواسط بلاد الإغريق .

(9) دَلْفَ : أو « دَلْفَى » مدينة باليونان .

(10) أبولون : إلاه النّور والموسيقى والشّعر عند اليونان . كان معبده في دلفى يقصده اليونانيّون ليحلّ مشاكلهم .

(11) الْخَطَرُ : في النصّ بمعنى الأهمّية والقَدْر من خطُر يخطُر : صار رفيع المقام والصّفة منه خَطِيرٌ .

الأسئلـة :

1 ــ كان سقراط صاحب قدرات ذهنية متميّزة . كيف اكتسبها وأين ؟ ما رأيك في ذلك ؟

2 ــ لماذا عَدّ سقراط نفسه جاهلا والحال أنّه أحكمُ الحكماء في نظر النّاس؟ ما هي القيمة التي تستخلصها من ذلك ؟

3 ــ متى وَثِق سقراط بنفسه وبعلمه ؟ ما رأيك في ذلك ؟

128 ــ أَدِيسُــون [1]

خَرَجَ إِلَيْنَا فَإِذَا هُوَ كَهْلٌ فِي نَحْوِ ٱلسِّتِّينَ مِنْ عُمُرِهِ وَعَلَى ثَغْرِهِ ٱبْتِسَامَةٌ وَدِيعَةٌ . فَلَمَّا وَقَعَتْ أَنْظَارُنَا عَلَيْهِ ٱعْتَرَى نُفُوسَنَا شُعُورُ ٱلْهَيْبَةِ وَٱلْخُشُوعِ. لاَ كَمَا يَعْتَرِيهَا مِنْ رَهْبَةٍ أَمَامَ ٱلْجَبَابِرَةِ وَٱلطُّغَاةِ ، بَلْ هُوَ شُعُورٌ بِعَظَمَةِ ٱلْعَقْلِ وَجَلاَلِ ٱلْعَبْقَرِيَّةِ . أَلَسْنَا وَاقِفِينَ أَمَامَ أَشْهَرِ بَلْ أَعْظَمِ رَجُلٍ فِي ٱلْعَالَمِ : رَجُلٌ ٱسْتَطَاعَ بِجِدِّهِ ٱلْمُتَوَاصِلِ أَنْ يَزِيدَ رَخَاءَ [2] ٱلإِنْسَانِ ، وَيُوَسِّعَ لَهُ سَبِيلَ ٱلتَّقَدُّمِ وَٱلْعُمْرَانِ [3] ؟ ... وَقَفَ بِتَوَاضُعٍ وَهْوَ بِرِدَاءِ ٱلْعَمَلِ ، فَتَقَدَّمْنَا نَحْوَهُ ، وَصُدُورُنَا تَخْفُقُ بِٱلْغِبْطَةِ . وَأَخَذَ كُلٌّ مِنَّا يُصَافِحُهُ ذَاكِرًا ٱسْمَ ٱلْبَلَدِ ٱلَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ وَهْوَ يُقَابِلُ مُصَافَحَتَنَا بِأُنْسٍ وَٱبْتِسَامٍ .

لَمْ يَكُنْ أَدِيسُون خِرِّيجَ [4] مَدْرَسَةٍ أَوْ جَامِعَةٍ ، بَلْ تَخَرَّجَ عَلَى نَفْسِهِ بِمُسَاعَدَةِ وَالِدَتِهِ ، وَلَمْ يَبْلُغِ ٱلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ ٱلْعُمُرِ حَتَّى ٱضْطُرَّ إِلَى ٱلاِرْتِزَاقِ بِعَمَلِ يَدَيْهِ . فَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ بَائِعَ جَرَائِدَ ثُمَّ عَامِلاً فِي مَصْلَحَةِ ٱلتِّلِغْرَافِ . وَلَكِنَّ مَوْهِبَتَهُ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَتْ بَوَادِرُهَا لِلَّذِينَ كَانَ يَعْمَلُ عِنْدَهُمْ ، فَفَتَحَتْ أَمَامَهُ أَبْوَابًا جَدِيدَةً لِلتَّقَدُّمِ . وَبِدَافِعِ مَيْلِهِ إِلَى ٱلطَّبِيعِيَّاتِ [5] وَٱلْمِيكَانِيكِيَّاتِ أَخَذَ يُطَالِعُ كُلَّ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدَاهُ مِنْ كُتُبِ ٱلْعِلْمِ ٱلطَّبِيعِيِّ . وَهَكَذَا صَارَ يَخْطُو خُطْوَةً بَعْدَ خُطْوَةٍ فِي مَيْدَانِ ٱلْعِلْمِ وَٱلاِسْتِنْبَاطِ [6] وَمَازَالَ يَتَقَدَّمُ جَادًّا لاَ يُضِيعُ وَقْتًا وَلاَ يَنْصَرِفُ إِلَى لَهْوٍ حَتَّى بَلَغَ قِمَّةَ ٱلْمَجْدِ ــ مَالاً وَجَاهًا [7] وَشُهْرَةً ــ وَأَصْبَحَ بِذَكَائِهِ وَٱجْتِهَادِهِ تَنْحَنِي لَهُ رُؤُوسُ أَسَاطِينِ [8] ٱلْعِلْمِ إِجْلاَلاً وَتَقْدِيرًا .

عَلَى أَنَّ عَظَمَتَهُ ٱلْحَقِيقِيَّةَ لَمْ تَتَوَقَّفْ عَلَى مَا ٱسْتَنْبَطَهُ مِنْ آلاَتٍ وَأَحْرَزَهُ مِنْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ فَحَسْبُ ، بَلْ كَانَ أَدِيسُونْ يَقْرِنُ مَجْدَهُ ٱلْمَادِيَّ بِمَجْدٍ

رُوحِيٍّ . ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَحْ لِنَجَاحِهِ فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلإِخْتِرَاعِ أَنْ يَهْبِطَ بِهِ إِلَى دَرَكَةِ (9) ٱلْغُرُورِ ، أَوْ يَرْمِيهِ فِي مُسْتَنْقَعٍ مِنَ ٱلرَّخَاءِ وَٱلارْتِخَاءِ . بَلْ زَادَهُ تَوَاضُعًا وَمُرُوءَةً وَرَغْبَةً فِي مُوَاصَلَةِ ٱلْخِدْمَةِ .

إِنَّنِي لَنْ أَنْسَى ذَلِكَ ٱلْيَوْمَ ٱلَّذِي شَاهَدْتُهُ فِيهِ وَهُوَ فِي لِبَاسِهِ ٱلْعُمَّالِي ٱلْبَسِيطِ وَوَجْهُهُ يَطْفَحُ سَمَاحَةً وَرِضًى . وَكَأَنَّهُ يَقُولُ : أَيُّهَا ٱلشَّبَابُ ، ٱلْعَمَلَ ٱلْعَمَلَ ، فَلَيْسَتِ ٱلْحَيَاةُ ٱلنَّاجِحَةُ وَقْفًا عَلَى ٱلْعَبْقَرِيَّاتِ ... إِنَّ ٱلنَّجَاحَ عَشَرَةٌ بِالْمِائَةِ عَبْقَرِيَّةً ، وَتِسْعُونَ بِٱلْمِائَةِ ٱجْتِهَادًا ... وَلاَ نَجَاحَ إِلاَّ لِلْعَامِلِ ٱلْمُجِدِّ .

أنيس المقدسي

مجلّة العربي، العدد 177، سنة 1973

ص ص 34ـــ35

التّعريف بالكاتب :

أنيس المقدسي : أديب لبناني معاصر، درس الآداب العربيّة في جامعة بيروت، إشتهر بأبحاثه الأدبية ، من مؤلّفاته « الدّول العربية وآدابها » و« أمراء الشّعر العربي ». حظي بمقابلة « أديسون » سنة 1921 في مدينة نيويورك عندما كان يقضي فصلا دراسيّا في جامعة كولمبيا .

الشّـرح :

(1) أديسون : فيزيائي أميريكي هو مخترع جهاز التّلغراف ، وُلد سنة 1847 وتوفيّ سنة 1931 .

(2) رخاء : مصدر رَخَا العيش يَرْخو : إتّسع وصار سهلا يسيرا .

(3) العُمران : البُنيان وما يُعْمَر به البلد ويحسّن حاله بواسطة الفلاحة والصّناعة والتّجارة وكثرة الأهالي ونجح الأعمال والتّمدّن .

(4) خِرِّيج : المتعلِّم من خرَّجه في العلم أو الصّناعة : درّبه وعلّمه .

(5) الطّبيعيّات : يعني بها العلوم الطّبيعيّة .

(6) الاستنباط : مصدر استنبط : تلمّس الشّيء حتى عثر عليه بعد محاولات واجتهاد .

(7) جَاهًا : الجاهُ : السّلطة والسّيادة والنّفوذ .
وذو الجاه : هو الإنسان الوجيه : سيّد القوم .
من وجُه فلانٌ يَوْجُهُ وَجَاهةً : صار ذا قدرٍ ورتبة .

(8) أساطين : أساطين العلم والأدب : الثّقات المبرّزون فيه .
وأساطين الزّمان : حكماؤه وأفراده .

(9) دَرَكة : الدّركة هي المنزلة السّفلى مقابل الدّرجة التي هي المنزلة العليا .

الأسئلـة :

1 ــ ما هو نوع الشّعور الذي اعترى الجماعة في حضرة أديسون وبماذا تفسّره ؟

2 ــ كيف تفسّر تواضع أديسون ؟

3 ــ كان أديسون عصاميّا ورغم ذلك أصبح أشهر رجل في العالم في نظر الكاتب. فما هي القيم التي تستخلصها من سلوك هذا الرّجل في حياته العلميّة ؟

4 ــ ماذا غنم أديسون نفسُه من علمه وبمـاذا عزّزَ هذا الغنمَ ؟

129 ـ بَاسْتُـــور [1]

فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّادِسِ مِنْ شَهْرِ جُوِيلِية سَنَةَ 1885 زَارَتْ بَاسْتُور فِي عِيَادَتِهِ ٱمْرَأَةٌ مِنْ مُقَاطَعَةِ ٱلأَلْزَاسِ [2] تَصْطَحِبُ مَعَهَا وَلَدَهَا ٱلْبَالِغَ مِنَ ٱلْعُمُرِ تِسْعَ سَنَوَاتٍ . وَكَانَ ٱلصَّبِيُّ وَيُدْعَى جُوزِيف مِيسْتِر مُصَابًا بِعَضِّ مِنْ كَلْبٍ مُصَابٍ بِدَاءِ ٱلْكَلَبِ ٱنْقَضَّ عَلَيْهِ [3] بَيْنَمَا كَانَ ذَاهِبًا وَحْدَهُ إِلَى ٱلْمَدْرَسَةِ مُتَوَغِّلاً فِي مَسْلَكٍ ضَيِّقٍ وَسَطَ ٱلْحُقُولِ .

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي مَيْسُورِ طَبِيبِهِ ٱلَّذِي كَانَ يُعَالِجُهُ عَمَلُ أَيِّ شَيْءٍ لَهُ أَرْسَلَهُ إِلَى ٱلدُّكْتُورِ بَاسْتُور .

وَلَكِنْ هَلْ كَانَتْ لَدَى بَاسْتُورْ ٱلشَّجَاعَةُ ٱلْكَافِيَةُ لِيُطْعِمَ ٱلطِّفْلَ مَصْلَهُ [4] ٱلَّذِي طَالَمَا نَجَحَ نَجَاحًا تَامًّا مَعَ ٱلْكِلاَبِ ٱلْمَرْضَى وَلَمْ يُخْفِقْ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً ؟ هَلْ يَقُومُ بِحَقْنِ [5] مِكْرُوبَاتِ دَاءِ ٱلْكَلَبِ فِي دَمِ ٱلْوَلَدِ؟ وَلَكِنَّ بَاسْتُور كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ٱلصَّبِيَّ سَيَمُوتُ حَتْمًا إِذَا لَمْ يُعَالَجْ ...

وَهَكَذَا وَقَفَ بَاسْتُورُ حَائِرًا مُتَرَدِّدًا يَتَنَازَعُهُ عَامِلاَنِ مُتَعَاكِسَانِ : إِمْكَانِيَّةُ تَحْقِيقِ آمَالِهِ وَأَحْلاَمِهِ نَحْوَ ٱلْبَشَرِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ وَشِدَّةُ وَسَاوِسِهِ وَهَوَاجِسِهِ [6] وَتَخَوُّفَاتِهِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، وَٱسْتَدْعَى مُسَاعِدَهُ لِيَسْأَلَهُ عَمَّا إِذَا كَانَ يُعْتَبَرُ مَسْؤُولاً عَنْ مَوْتِ ٱلْفَتَى فِي حَالَةِ وَفَاتِهِ .

وَبَعْدَ تَفْكِيرٍ طَوِيلٍ تَشَجَّعَ بَاسْتُور وَبَدَأَ يَحْقِنُ ٱلطِّفْلَ بِمَصْلِ ٱلْكَلَبِ جَرَعَاتٍ خَفِيفَةً تَتْلُوهَا جَرَعَاتٌ أَقْوَى مِنْهَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ لِمُدَّةِ شَهْرٍ . وَقَلَّمَا كَانَ يَأْكُلُ أَوْ يَنَامُ أَثْنَاءَ قِيَامِهِ بِهَذِهِ ٱلْعَمَلِيَّةِ ، بَلْ كَثِيرًا مَا كَانَتْ تَنْتَابُهُ نَوْبَاتٌ [7] مِنَ ٱلْقَلَقِ وَٱلذُّعْرِ وَٱلْفَزَعِ وَٱلْحُمَّى فَيَزُورُ مَرِيضَهُ وَيَجْلِسُ بِٱلْقُرْبِ مِنْهُ .

وَفِي ٱلثَّالِثِ مِنْ أُوتٍ أَرْسَلَ بَاسْتُورُ خِطَابًا لابْنِهِ يَقُولُ فِيهِ : « إِنَّ أَخْبَارَ ٱلصَّبِيِّ طَيِّبَةٌ لِلْغَايَةِ وَمَا أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ غَدٍ حَتَّى يَكُونَ قَدْ مَضَى عَلَى إِصَابَتِهِ وَاحِدٌ وَثَلاثُونَ يَوْمًا » .

وَتَوَجَّهَ بَاسْتُورُ إِلَى ٱلرِّيفِ لِلِاسْتِجْمَامِ (8) بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَ حَيَاةَ ٱلصَّبِيِّ ٱلَّذِي كَانَ أَوَّلَ شَخْصٍ يَنْجُو مِنَ ٱلْمَوْتِ عَنْ طَرِيقِ حَقْنِهِ بِمَصْلِ ٱلْكَلَبِ .

كاترين شين

ترجمة الدّكتور محمّد عيسى

من كتاب « روّاد الطّبّ » مكتبة النّهضة

المصريّة، سنة 1962

الشّـرح :

(1) باستور : (1822ـــ1895) طبيب فرنسي شهير . درس الجراثيم وٱكتشف دواء الكلَب بالتلقيح في سنة 1880 شرع باستور في القيام باختبارات وتجارب وٱكتشف هذا اللقاح الواقي سنة 1884 .

(2) الألزاس : مقاطعة في الشّمال الشرقي من فرنسا تحدّ ألمانيا . وهي غنيّة بمنتوجاتها الفلاحيّة والمعدنيّة . ظلّت طويلا محلّ نزاع بين ألمانيا وفرنسا .

(3) انقضّ عليه : يَنْقضُّ ٱنقِضاضًا : ٱندفع وهجم عليه .

(4) مَصْله : المَصْلُ : اسم يُطلق على أنواع من الأدوية السّائلة يُستعمل للحقن في الجسم .

(5) حَقْن : مصدر حَقَنَ الطّبيبُ المريضَ يَحْقُنُه حَقْنًا فهو مَحْقُونٌ وَحَقِينٌ : أوصل الدّواء إلى باطنه بالمِحْقَنَةِ .

(6) هواجسه : مفردها هَاجِسٌ وهو الخاطر .
من هَجَسَ الأمْرُ في صدره يهجِس هجْسا : خطر بِبَالِه .

(7) نَوْبات : مفردها نَوبَة : النّازِلة والمُصيبة .

(8) الاستجمام : مصدر آستجَمَّ نفسَه : أراحَها .
وآستجمّ بمعنى أجَمَّ : آستراح فذهب إعياؤه .

الأسئلـة :

1 ــ مـا هي الظّروف التي أصيب فيها الطّفل بداء الكلب ؟ وكيف تمّت الإصابة ؟

2 ــ لمـاذا لم يَجْرُؤ باستور على تجربة اللّقاح على الإنسان رغم نجاح تجاربه على الحيوان ؟

3 ــ ما هي مختلف المشاعر التي أعترت باستور بحضرة الطّفل ؟ وبمَ تفسّرها ؟

4 ــ ما الذي جعل باستور يتشجّع ويقدم على حقن الصّبيّ بمصل داء الكلَب ؟

5 ــ استخلص القيم الإنسانية التي كانت تحفز باستور على متابعة مريضه ورعايته ؟

6 ــ بم تفسّر مراسلته أبنه بعد تأكّده من نجاة المريض ؟

www.lisanarb.com

(2)

العلم والعمل في خدمة الإنسان

(السّيطرة على الطّبيعة وآستغلال مواردها)

130 ــ ٱلسُّدُّ ٱلْعَالِي [1]

شَهْرُ مَايَ شَهْرُ ٱلْوَرْدِ وَٱلرَّيْحَانِ وَشَهْرُ ٱلسُّدِّ ٱلْعَالِي ، ٱلشَّهْرُ ٱلَّذِي أُلْجِمَ [2] فِيهِ أَطْوَلُ وَأَقْدَمُ نَهْرٍ يَذْكُرُهُ ٱلْخَلْقُ إِلْجَامًا ، إِلْجَامٌ كَإِلْجَامِ ٱلْفَرَسِ تَمَامًا . ٱلْفَرَسُ يُلْجَمُ حَتَّى لاَ يَجْرِي عَلَى مَشِيئَتِهِ وَٱلنِّيلُ جَرَى عَلَى مَشِيئَتِهِ عَارِمًا [3] عَاتِيًا [4] طَوَالَ ٱلْقُرُونِ : يَفِيضُ كُلَّ عَامٍ فَيَهْرُبُ ٱلْقُدَمَاءُ مِنْ شُطْآنِهِ [5] إِذْ يَغْمُرُهَا ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهَا يَبْذُرُونَ ٱلْحَبَّ وَيَنْتَظِرُونَ ٱلْحَصَادَ إِلَى أَنْ يَعُودَ ٱلنَّهْرُ إِلَى فُتُوَّتِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، هَكَذَا كَانَ ٱلنَّهْرُ ٱلْخَالِدُ فِي مِصْرَ ٱلْفِرْعَوْنِيَّةِ وَٱلْعَرَبِيَّةِ مُتَحَدِّيًا ذَكَاءَ ٱلإِنْسَانِ عَبْرَ ٱلْقُرُونِ .

وَيُحَاوِلُ ٱلإِنْسَانُ أَنْ يَقِفَ فِي طَرِيقِهِ يَحْجِزُ مِنْهُ بَعْضَ ٱلْخَيْرِ فَيَحْتَجِزُ مِنْهُ ٱلْقَلِيلَ ٱلأَقَلَّ وَيُفْلِتُ مِنْهُ ٱلْكَثِيرُ ٱلأَكْثَرُ ... وَوَجَبَ عَلَى ٱلإِنْسَانِ أَنْ يَصْبِرَ حَتَّى يُطِلَّ عَصْرُ ٱلْعِلْمِ وَٱلتِّقْنِيَةِ وَٱلآلَةِ ٱلْجَبَّارَةِ ، وَرُوَيْدًا رُوَيْدًا عَرَفَ ٱلإِنْسَانُ سَبِيلَهُ لِلْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ ٱلْغَايَةِ .

وَإِنْ تَنْظُرِ ٱلْيَوْمَ فِي شَتَّى أَنْحَاءِ ٱلأَرْضِ ، فِي كُلِّ أُمَّةٍ مُتَقَدِّمَةٍ ، فَلَنْ تَجِدَ نَهْرًا نَافِرًا [6] إِلاَّ وَعَلَى ظَهْرِهِ سَرْجٌ [7] وَفِي فَمِهِ لِجَامٌ ، وَعَلَى ٱلسُّرُوجِ جَلَسَ رِجَالُ ٱلْعِلْمِ وَٱلتِّقْنِيَةِ وَٱلْفَنِّ وَقَدْ أَمْسَكُوا مِنَ ٱللِّجَامَاتِ بِأَطْرَافِهَا ، يَشُدُّونَهَا إِنْ شَاؤُوا فَيَحْتَبِسُ ٱلنَّهْرُ أَوْ يُرْخُونَهَا فَتَجْرِي ٱلأَنْهَارُ عَلَى أَعِنَّتِهَا [8] .

إِنَّ لِلإِنْسَانِ بِٱلْعِلْمِ جَبَرُوتًا [9] فَوْقَ جَبَرُوتِ ٱلطَّبِيعَةِ ، أَلْجَمَ ٱلإِنْسَانُ ٱلنِّيلَ بِعِلْمِهِ وَفَنِّهِ وَسَدَّ عَلَيْهِ ٱلْمَسَالِكَ . لَقَدْ حُبِسَ مَاؤُهُ . حَبَسَهُ ٱلسُّدُّ ٱلْعَالِي. وَيَتَجَمَّعُ ٱلْمَاءُ وَرَاءَ ٱلسُّدِّ بَعْدَ ٱلْفَيَضَانِ تِلْوَ ٱلْفَيَضَانِ لِيَصْنَعَ أَكْبَرَ بُحَيْرَةٍ صَنَعَهَا ٱلإِنْسَانُ . فِيهَا يُخْتَزَنُ ٱلْمَاءُ . وَتُصْبِحُ خِزَانَةُ ٱلْمَاءِ هَذِهِ

كَخِزَانَةِ ٱلْمَالِ يُنْفَقُ مِنْهَا بِحِسَابٍ .

وَيَخْرُجُ ٱلْمَاءُ مِنَ ٱلسَّدِّ لِيَرْوِيَ ٱلأَرْضَ وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ عَلَيْهِ أُقِيمَتْ « تُرْبِينَاتُ » (10) يُدِيرُهَا ٱلْمَاءُ فَتُنْتِجُ ٱلْكَهْرَبَاءَ .

وَٱلْمَاءُ رِيٌّ وَحَيَاةٌ وَسَعَةٌ فِي ٱلأَرْضِ وَٱلْكَهْرَبَاءُ قُوَّةٌ وَصِنَاعَةٌ . وَٱلصِّنَاعَةُ رَفَهٌ وَعِزَّةٌ .

الدّكتور أحمد زكي

مجلّة العربي، العدد 66، جوان 1964

ص ص 8ـ9ـ10

التّعريف بالكاتب :

أحمد زكي : أحد رجال العلم والأدب في مصر . اِشتهر ببحوثه العلميّة الكثيرة. ترأّس تحرير مجلّة « العربي » الكويتيّة منذ صدورها إلى حين وفاته سنة 1975 .

الشّـرح :

(1) السّدّ العالي : من أعظم السّدود في العالم أقيم على نهر النّيل في مصر جنوب أسوان بـ7 كيلومترات . تمّ بناؤه سنة 1958 يحجز 175 مليار متر مكعّب من الماء ويعطي عشرة مليارات كيلو واط ساعة من الكهرباء .

(2) أُلْجِمَ : مضارع مسند إلى نائب الفاعل من أَلْجَم . أَلْجَمَ الرَّجُلُ الْفَرَسَ أَلْبَسه اللِّجَامَ . أَلْجَم النّهْرَ : خفض من اندفاع مياهه .

واللِّجامُ : الحديدة في فم الفرس ثم سَمَّوْها مع ما يتّصل بها من سيور وآلة لِجَامًا . جمعها : أَلْجِمَةٌ ولُجُمٌ .

(3) عَارِمًا : صفة مشبّهة من عَرِمَ فلان يَعْرِمُ عَرَمًا : شَرِسَ واشتدّ والأَمْرُ العَارِمُ : الشّديد .

والْعَرِمُ : السّيْل الذي لا يُطاق .

(4) عَاتِيًا : ٱلْعَاتِي جمعها عُتَاةٌ وَعُتِيٌّ : الجبّارُ . من عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا وَعِتِيًّا : ٱستكبر وجاوز الحدّ .

(5) شطآنه : الشطآن جمع تكسير لشاطىء . والشّاطىء من النّهر : الجانب .

(6) نافِرا : النّافِرُ : يقال : دابّة نافِرَةٌ : ذات نِفَارٍ والنِّفَارُ : الحِران والصّدود والامتناع.
من نَفَرَ يَنْفِر نَفْرًا ونفورًا من الشّيْء : فزع وٱنقبض غير راض به .

(7) سَرْجٌ : السَّرْجُ : رَحْلُ الدابة . جمعها سُروج .

(8) أعِنّتها : مفردها عِنَانٌ : سَيْرُ اللّجام الذي تُمسَك به الدّابّة .
أرخى العِنان للنّهر : تركه يجري حسب مشيئته .

(9) جبروتا : الجبروت : القهر .

(10) تُربينات : أو توربينات (أجنبيّة) : آلات تولّد الكهرباء عند إدارتها بمفعول المياه المتدفّقة .

الأسئلـة :

1 ــ وضّح علاقة الإنسان المصريّ بنهر النّيل قبل بناء السّدّ العالي ؟

2 ــ كيف ذلّل الإنسان من جبروت النّيل ؟ وما أفاد من ذلك ؟

3 ــ لماذا شبّه الكاتب النّهر بالدّابة النّافرة مرّة وبالفرس المُلْجَم مرّة ثانية ؟

4 ــ شبّه الكاتب الماء المتجمّع في السّدّ العالي بخزانة المال . فما هو وجه الشّبه بينهما ؟ وما هو المغزى الذي يرمي إليه ؟

5 ــ إلى أيّ شيْء يرجع الفضل في السّيطرة على النّيل وٱستغلال موارده ؟

131 ـ ٱلتَّصْنِيعُ [1] بِٱلصِّينِ

ٱلتَّصْنِيعُ مِحْوَرُ ٱلنَّهْضَةِ ٱلاقْتِصَادِيَّةِ وَٱلاجْتِمَاعِيَّةِ وَٱلثَّقَافِيَّةِ ٱلَّتِي تَهُزُّ هِمَمَ [2] جَمِيعِ ٱلصِّينِيِّينَ . إِنَّ ٱلْغَرَضَ هُوَ رَفْعُ مُسْتَوَى ٱلشَّعْبِ ٱلاقْتِصَادِيِّ وَٱلاجْتِمَاعِيِّ وَٱلثَّقَافِيِّ فِي أَقْرَبِ ٱلآجَالِ . وَلاَ يَتَأَتَّى [3] ذَلِكَ إِلاَّ بِنَشْرِ ٱلصِّنَاعَةِ ٱلْعَصْرِيَّةِ فِي كَامِلِ ٱلْبِلاَدِ إِذْ لاَ يُمْكِنُ لِلصِّينِيِّينَ أَنْ يُنْتِجُوا ٱلْمَوَادَّ ٱلْغِذَائِيَّةَ ٱلْكَافِيَةَ لِشَعْبٍ يَعُدُّ ٱلآنَ سِتِّمَائَةِ مِلْيُونِ [5] نَسَمَةٍ وَيَزْدَادُ بِنِسْبَةِ ٱثْنَيْنِ بِٱلْمِائَةِ فِي ٱلسَّنَةِ إِلاَّ بِٱسْتِعْمَالِ ٱلآلاَتِ ٱلْمِيكَانِيكِيَّةِ لإِحْيَاءِ مَنَاطِقَ شَاسِعَةٍ صَالِحَةٍ لِلزِّرَاعَةِ وَبِٱسْتِعْمَالِ أَسْمِدَةٍ [4] كِيمِيَائِيَّةٍ وَآلاَتٍ عَصْرِيَّةٍ لِتَنْمِيَةِ ٱلإِنْتَاجِ فِي ٱلْمَنَاطِقِ ٱلزِّرَاعِيَّةِ .

فَٱلنَّهْضَةُ ٱلزِّرَاعِيَّةُ تَابِعَةٌ لِلنَّهْضَةِ ٱلصِّنَاعِيَّةِ كَمَا أَنَّ رَفْعَ مُسْتَوَى ٱلشَّعْبِ ٱلصِّحِّيَّ وَٱلاجْتِمَاعِيَّ وَٱلثَّقَافِيَّ رَهِينُ ٱلتَّطَوُّرِ ٱلصِّنَاعِيِّ ، وَٱلصِّنَاعَاتُ ٱلْعَصْرِيَّةُ تُوَفِّرُ لِلشَّعْبِ ٱلْمَوَارِدَ وَٱلْمَرَافِقَ فَتُيَسِّرُ لَهُ كُلَّ تَقَدُّمٍ فِي مَيْدَانَيْ ٱلاجْتِمَاعِ وَٱلثَّقَافَةِ .

وَٱلنَّهْضَةُ ٱلصِّنَاعِيَّةُ بِدَوْرِهَا لاَ تَتَحَقَّقُ إِلاَّ إِذَا بُذِلَتْ ٱلْجُهُودُ لِتَنْمِيَةِ ٱلانْتَاجِ ٱلْفِلاَحِيِّ وَنُشِرَتْ وَسَائِلُ ٱلْوِقَايَةِ وَتَعَوَّدَ الشَّعْبُ عَلَى قَوَاعِدِ حِفْظِ ٱلصِّحَّةِ .

وَٱلصِّنَاعَةُ ٱلْعَصْرِيَّةُ تَنْمُو بِفَضْلِ ٱزْدِهَارِ ٱلتَّعْلِيمِ وَٱلتَّثْقِيفِ ٱلشَّعْبِيِّ فَٱلْجَامِعَاتُ تُكَوِّنُ الإِطَارَاتِ ٱلْفَنِيَّةَ وَمَرَاكِزُ ٱلتَّكْوِينِ ٱلصِّنَاعِيِّ تُخَرِّجُ ٱلاخْتِصَاصِيِّينَ وَحَمْلَةُ مُقَاوَمَةِ ٱلأُمِّيَّةِ تَرْفَعُ ٱلْجَهَالَةَ إِذْ لاَ يَكُونُ أَيُّ عَمَلٍ فِي أَيِّ مُجْتَمَعٍ عَصْرِيٍّ مُفِيدًا نَاجِعًا إِذَا كَانَ صَادِرًا عَنْ جَاهِلٍ لاَ يَعْرِفُ كِتَابَةَ ٱسْمِهِ وَلاَ قِرَاءَةَ لاَفِتَاتِ ٱلشَّوَارِعِ . فَبَيْنَ جَمِيعِ مَنَاطِقِ ٱلنَّشَاطِ

ٱلإِنْسَانِيِّ تَفَاعُلٌ (5) مُسْتَمِرٌّ . فَٱلصِّنَاعَةُ ٱلْعَصْرِيَّةُ تَحْتَلُّ ٱلْمَنْزِلَةَ ٱلأُولَى مِنْ بَيْنِ ٱلْوَسَائِلِ ٱلَّتِي تَرْمِي إِلَى رَفْعِ مُسْتَوَى ٱلأُمَمِ ٱلْمُتَخَلِّفَةِ .

إِنَّ الصِّينِيِّينَ رَغْمَ ضُعْفِهِمْ ٱلنِّسْبِيِّ حَالِيًّا لَهُمْ عَقْلِيَّةُ أُنَاسٍ فِي طَلِيعَةِ ٱلرُّقِيِّ، وَحَقًّا إِنَّهُمْ لاَ يَعِيشُونَ فِي ٱلْحَاضِرِ بَلْ يَعِيشُونَ فِي ٱلْمُسْتَقْبَلِ وَمَا يَكْسِبُ ٱلْحَاضِرُ فِي أَعْيُنِهِمْ مَعْنًى إِلاَّ كَتَهْيِئَةٍ لِلْمُسْتَقْبَلِ .

الطّاهر قيقة

الصّين الحديثة، ص 77

التّعريف بالكاتب :

الطّاهر قيقة : كاتب تونسي معاصر وُلد بتكرونة سنة 1922 . اشتغل بالتّدريس ثمّ تقلّب في عدّة مناصب . نشر الكثير من القصص القصيرة بمجلّتي النّدوة والفكر .

- وقد زار الطّاهر قيقة بلاد الصّين في صائفة 1957 وشاهد أمورا أثارت دهشته فسجّل مشاهداته وتأمّلاته في كتاب أسماه « الصّين الحديثة » نشر بتونس سنة 1960 . من مؤلّفاته الأخرى « نسور وضفادع » وهي مجموعة قصصيّة و« أقاصيص بني هلال » وهي تعريب لحكايات شعبيّة وضعها والده عبد الرّحمان قيقة .

الشّـرح :

(1) التّصنيع : مصدر صنّع بلاده : أحلّ فيها الصّناعة مكانة بارزة .

(2) هِمَم : مفردها هِمَّةٌ : العزم القويّ .

(3) يتأتّى : مضارع تَأَتَّى الأمْر : ترفّق له وأتاه من وجهه .

(4) أسمدة : مفردها سَمَادٌ : ما تصلح به الأرض وتقوى سواء كان طبيعيّا أو صناعيّا .

(5) تفاعل : مصدر تفاعل : التّفاعل في الأصل بمعنى كيمياوي أي تأثير متبادل بين مادّتين فأكثر كتفاعل الأوكسجين والهيدروجين المؤدّي إلى الماء . في النصّ : التّأثير المتبادل بين قطاعات الإنتاج .

(*) جاوز عدد الصّينيّين اليوم المليار نسمة .

الأسئلة :

1 ــ ما هي الطّريقة التي رآها الصّينيّون أنجع من غيرها للسّيطرة على الطّبيعة وٱستغلال الأرض ولماذا ؟

2 ــ لماذا ٱعتبر الكاتب النّهضة الزّراعيّة تابعة للنّهضة الصّناعيّة ومرتبطة بها وثيق الارتباط ؟ هل توافقه رأيه ؟ لماذا ؟

3 ــ يرى الكاتب أن لا تصنيع بدون ٱزدهار التّعليم . وضّح ذلك .

4 ــ ما هو الشّيء الذي يمتاز به الصّينيّون حتّى ضمنوا لأنفسهم النّجاح في مسيرتهم ؟

5 ــ إستخلص من النّصّ الأسس الثّلاثة التي جعلها الصّينيّون شروطا لتقدّمهم ورتّبها حسب الأهميّة ؟ وأبد رأيك فيها ؟

132 ــ التَّضْحِيَةُ فِي سَبِيلِ ٱلْعِلْمِ

بَدَأَ شَغَفُ جِمِسْ وَاتْ [1] بِكُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِٱلْعِلْمِ وَٱلْمَعْرِفَةِ مُنْذُ ٱلسَّادِسَةِ مِنْ عُمُرِهِ . فَكَانَ يُمْضِي ٱلسَّاعَاتِ ٱلطِّوَالِ كُلَّ يَوْمٍ فِي تَأَمُّلِ ٱلأَشْكَالِ ٱلْهَنْدَسِيَّةِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ مُحَاوِلاً رَسْمَهَا بِٱلطَّبَاشِيرِ ٱلْمُلَوَّنِ عَلَى جِدَارِ ٱلْمَوْقِدِ بِٱلْمَنْزِلِ أَوْ تَكْوِينِهَا بِوَاسِطَةِ ٱلْقِطَعِ ٱلْخَشَبِيَّةِ ٱلصَّغِيرَةِ . كَمَا كَانَ يُطِيلُ ٱلتَّأَمُّلَ فِي غَلاَّيَةِ ٱلشَّايِ وَمُرَاقَبَةَ أَثَرِ ٱلْبُخَارِ ٱلْمُتَصَاعِدِ مِنْهَا فِي غِطَائِهَا.

وَفِي ٱلثَّامِنَةِ وَٱلْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ عَرَضَ عَلَيْهِ مَعْمَلُ ٱلْجَامِعَةِ أَنْ يَقُومَ بِإِصْلاَحِ مِضَخَّةٍ [2] بُخَارِيَّةٍ لِامْتِصَاصِ ٱلْمِيَاهِ مِنْ مَنَاجِمِ ٱلْفَحْمِ ، فَأُتِيحَتْ لَهُ بِذَلِكَ فُرْصَةٌ ثَمِينَةٌ لِدِرَاسَةٍ عِلْمِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ دَقِيقَةٍ وَبَدَأَ يُفَكِّرُ فِي ٱخْتِرَاعِ آلَةٍ تَدُورُ بِقُوَّةِ ٱلْبُخَارِ .

قَضَى جِمِسْ وَاتْ بِضْعَةَ أَشْهُرٍ يُوَاصِلُ ٱلْعَمَلَ لَيْلَ نَهَارَ فِي سَبِيلِ ٱخْتِرَاعِ تِلْكَ ٱلآلَةِ ٱلْجَدِيدَةِ . وَكَانَتِ ٱلْعَقَبَاتُ ٱلَّتِي تَعْتَرِضُ سَبِيلَهُ كَثِيرَةً وَفِي مُقَدِّمَتِهَا فَقْرُهُ وَقِلَّةُ مَا لَدَيْهِ مِنْ وَسَائِلَ وَأَدَوَاتٍ لاَزِمَةٍ لإِجْرَاءِ تَجَارِبِهِ ٱلْمُتَعَدِّدَةِ ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ كُلِّهِ لَمْ يَجِدِ ٱلْيَأْسُ إِلَى نَفْسِهِ سَبِيلاً ، وَأَخَذَ يَسْتَخْدِمُ ٱلزُّجَاجَاتِ ٱلْعَادِيَّةَ لِحِفْظِ ٱلْبُخَارِ وَيَسْتَخْدِمُ لِنَقْلِهِ أَنَابِيبَ ٱلْقَصَبِ وَمَا إِلَيْهَا ثُمَّ ٱسْتَأْجَرَ حُجْرَةً وَشَرَعَ فِي صُنْعِ ٱلآلَةِ ٱلْمَنْشُودَةِ [3] طِبْقًا لِلنَّمُوذَجِ ٱلَّذِي ٱبْتَكَرَهُ حَتَّى ٱنْتَهَى مِنْ صُنْعِهَا . وَلَكِنَّهُ مَا كَادَ يَشْرَعُ فِي تَجْرِبَتِهَا حَتَّى ٱنْهَارَتْ صُرُوحُ آمَالِهِ كُلِّهَا . وَأَسْفَرَتِ ٱلتَّجْرِبَةُ عَنْ فَشَلٍ تَامٍّ لِضُعْفِ ٱلآلاَتِ وَٱلأَدَوَاتِ ٱلَّتِي ٱسْتَعْمَلَهَا .

وَكَادَ ٱلْيَأْسُ يَغْلِبُهُ لَوْ لاَ مَعُونَةُ « كُونْ رُوبِيكْ » مُؤَسِّسِ مَصَانِعِ ٱلْحَدِيدِ

فِي بَرِيطَانِيَا ٱلَّذِي قَبِلَ أَنْ يَمُدَّ لَهُ يَدَ ٱلْمُسَاعَدَةِ فَتَوَلَّى تَسْدِيدَ دُيُونِهِ وَشَجَّعَهُ.

وَمَضَتْ سَنَتَانِ بَذَلَ خِلاَلَهُمَا ٱلْمُخْتَرِعُ ٱلشَّابُّ كُلَّ مَا فِي وِسْعِهِ مِنْ قُوَّةٍ وَحِيلَةٍ لإِنْجازِ ٱخْتِرَاعِهِ ... ثُمَّ كَانَتِ ٱلصَّدْمَةُ ٱلْكُبْرَى حِينَ أَسْفَرَتِ ٱلتَّجْرِبَةُ ٱلثَّانِيَةُ عَنِ ٱلْفَشَلِ أَيْضًا. فعَادَ جِمِسْ وَاتْ إِلَى ٱلْبَحْثِ عَنْ عَمَلٍ آخَرَ .

وَكَانَ ٱلسَّيِّدُ رُوبِيكْ قَدْ حَدَّثَ عَنْهُ صَدِيقًا لَهُ مِنْ كِبَارِ أَقْطَابِ ٱلصِّنَاعَةِ فِي بَرِيطَانِيَا هُوَ « مَتَّى بُولْتِنْ » وَكَانَ بِدَوْرِهِ يَدْرُسُ آلاَتِ ٱلْبُخَارِ وَيُؤْمِنُ بِمُسْتَقْبَلِهَا ٱلْبَاهِرِ ، فَأَخَذَ يُفَاوِضُ « وَاتْ » لِلاتِّفَاقِ مَعَهُ عَلَى تَنْفِيذِ مَشْرُوعِهِ فِي مُؤَسَّسَتِهِ عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُ ثُلُثَ مَا يُغِلُّهُ (4) صُنْعُهَا وَبَيْعُهَا مِنَ ٱلأَرْبَاحِ .

وَسُرْعَانَ مَا تَنَاسَى وَاتْ يَأْسَهُ وَأَحْزَانَهُ . وَتَمَّ صُنْعُ ٱلآلَةِ ٱلْجَدِيدَةِ وَأَسْفَرَتْ تَجْرِبَتُهَا فِي هَذِهِ ٱلْمَرَّةِ عَنْ نَجَاحٍ بَاهِرٍ . ثُمَّ بَدَأَتِ ٱلطَّلَبَاتُ تَنْهَالُ عَلَى ٱلْمُؤَسَّسَةِ مِنْ جَمِيعِ ٱلأَنْحَاءِ لِشِرَاءِ ٱلآلَةِ ٱلْبُخَارِيَّةِ ٱلْجَدِيدَةِ وَمَا سَيَتْبَعُهَا مِنِ ٱخْتِرَاعَاتٍ .

عن كتاب الهلال « عصاميّون وعظماء »
أشرف عليه محمّد فريد أبو حديد
عدد 35، فيفري 1954، ص 235

الشّـرح :

(1) جِمِسْ وَاتْ : (1736ـــ1819) ميكانيكي ومهندس أسكتلندي آخترع الآلة البخاريّة .

(2) مِضَخَّة : اسم آلة من فعل ضخّ على وزن مِفْعَلَة وهي آلة جوفها اسطوانة من خشب أو حديد يُدفَع بها الماءُ .

(3) منشودة : اسم مفعول من نَشَد ينشُدُ . نَشَدَ الضّالّة : سأل عنها وطلبها .

(4) يُغِلُّ : مضارع أغَلَّ ، أغلّت الأرض : أعطت غلّتها أو صارت ذات غَلّة . في النصّ : يُكسِبه .

الأسئلـة :

1 ــ أذكر ما يمتاز به « جيمس وات » من صفات هيّأته ليكون مخترعا ؟

2 ــ ما هو أثر إصلاح المِضخَة البخاريّة في بحوث « جيمس وات » العلميّة من ناحية وفي ٱستغلال موارد الأرض من ناحية ثانية ؟

3 ــ لماذا أخفق « جيمس وات » في تجاربه الأولى وما كان أثر الإخفاق في نفسه وفي مسعاه ؟

4 ــ بيّن بالإستناد إلى النّصّ مختلف العوامل التي يجب أن تتضافر وتجتمع إلى بعضها حتّى يتمكّن الإنسان من السّيطرة على الطّبيعة وٱستغلال مواردها ؟

الفهرست

II ــ الكفاح من أجل الحرّية والكرامة

1 ــ الاضطهاد الاستعماري والتّضحية في سبيل الوطن

رقم النصّ	عنوان النصّ	المؤلّف	الصفحة
66	إلى طغاة العالم	أبو القاسم الشابي	9
67	الزّيتون لا يموت	عبد القادر بلحاج نصر	17
68	اغتيال فرحات	يحي محمّد	22
69	غارة	محمّد المختار جنّات	26
70	إلى جميلة بوحيرد	بدر شارك السّيّاب	32
71	أرض البرتقال الحزين	غسّان كنفاني	36
72	برقيّة من السّجن	محمود درويش	41
73	أعرف لماذا أموت	جمال بنّورة	44
74	أطفال غزّة	هارون هاشم رشيد	49

2 ــ مقاومة التّخلّف

75	من الفروع إلى الجذور	مصطفى الفارسي	54
76	عمر الشّجرة	توفيق الحكيم	57
77	ما أشبه العمل بالصّلاة	محمود تيمور	60
78	العمل والحياة	مجلّة العربي	63
79	السّعادة في الانتاج	محمّد الرّشيد ملين	65

80	عصير الذّهن	توفيق الحكيم	68
81	مرايا	طه حسين	70
82	في العلم والدّيمقراطيّة	طه حسين	73

3 ــ الوضع العمّالي بين الأمس واليوم

83	عمّال المرافئ	حنّا مينه	77
84	ليت الأرض تعود	عبد القادر بن الشّيخ	81
85	بدء الكلام	محمّد ديب	84
86	الرّحلة إلى الدّاموس	محمّد صالح الجابري	88
87	إلى عمّال المناجم	الطّاهر الحدّاد	92
88	ضحيّة	عمر بن سالم	96
89	باب السّعير	مبارك ربيع	99

4 ــ وضعيّة المرأة قديما وحديثا

90	الملكة أروى الصّليحي	عارف تامر	103
91	أمينة	نجيب محفوظ	107
92	دعيه ينم	علي الدّوعاجي	112
93	نفيسة	عبد الحميد بن هدوقة	117
94	لن أفهم منطقك	أمينة السّعيد	121
95	من الرّقّ إلى امتلاك الذّات	قاسم أمين	124
96	المرأة الجديدة	مي زيادة	128

III ــ قضايا انسانية

1 ــ الميز العنصري

97	إبـــــاء	طـــه حسيـــن	133
98	الأبـــيض والأسود	محمـــود تيمـــور	137
99	سيّـــدي المحافـــظ	عبد الحميد بن هدوقة	139
100	ثـــــورة سوداء	حبيب نحولي (مترجم)	145
101	مارتـن لوثـر كينـغ	مجلّـــة العربـــي	148
102	الطّوفـــان الأسود	محمّـــد الفيتـــوري	151

2 ــ السّلم والحرب

103	القائـــد الحربـــي والمنجّـم والصّانـع	ابـــن المقفّـــع	163
104	طعـــم المـــوت	ميخائيـــل نعيمـــة	167
105	غـارة على الحـيّ	محمـــود تيمـــور	170
106	الأشجـــار الملتويـــة	طـــه حسيـــن	174
107	جحيم في بيـروت	محمـــود درويش	177
108	هيروشيمـــــا	حسن محمود (مترجم)	181
109	لست أريد لها أن تموت	عبد الرّحمان الشّرقاوي	184

3 ــ مشاكل التّغذية

رقم النّصّ	عنوان النصّ	المؤلّف	الصفحة
110	بيت المونة	الطّاهر قيقة	187
111	كذلك كان يعيش أبوك	طه حسين	192
112	المقلاة	محمود التّونسي	195
113	آفة الجوع	فرحات الدّشراوي	199
114	الطّعام لكلّ فم	توفيق الحكيم	203

4 ــ النّموّ الدّيمغرافي

115	المعلّم نونو	نجيب محفوظ	207
116	أصبح الأمر لا يحتمل	محمّد القرش	212
117	جيش النّمل	يوسف إدريس	215

5 ــ التّعاون البشري

118	الإنسان مدنيّ بالطّبع	عبد الرّحمان بن خلدون	220
119	الحمامة المطوّقة	ابن المقفّع	222
120	درهم السّلّ	جارك أحمد	225
121	تضامن	عبد الرّحمان منيف	229
122	أخوّة صادقة	فرحات الدّشراوي	232
123	تآزر الفلاّحين	عبد الرّحمان الشّرقاوي	235
124	السّائل	أحمد اللّغماني	238

مرقم
ال مر 201304

كتاب النصوص

ثمن البيع
للعموم 1.000 د

مطبعة المركز القومي البيداغوجي